مخطوطات نجع حمادي الأثرية

إعداد

الدكتور عزت زكي

مراجعة

القس عبد المسيح إسطفانوس

أضواء على

مكتبة نجع حمادي الأثرية

قصة أعظم اكتشافات في دوائر علم الآثار الكتابي في مصر،

بعد اكتشافات قمران، والبحر الميت، مع دراسة لما تضمنته هذه الاكتشافات.

إعداد

د/ عزت زكي

مراجعة

القس/ عبد المسيح إسطفانوس

اسم الكتاب: *مخطوطات نجع حمادي*

إعداد: *الدكتور/ عزت زكي*

مراجعة: *القس/ عبد المسيح اسطفانوس*

الناشر: دار ومكتبة الحرية

ت: ٢٥٧٨١٠٤٩ - ٢٥٧٨١٠٤٧

فاكس: ٢٥٧٦٢٧٢٨

٤ش محمد بك عاصم - أول شبرا -

أمام مكتبة المحبة

Email:
alhorriyiea_house@yahoo.com

التصميم والتنفيذ: رانيا ريموند

رقم الإيداع: ٩٦٠٣ / ٢٠٠٨

I. S. B. N. : 977-6101-33-x

محتويات الكتاب

تقديم

"لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢ بطرس١:٢١)

لقد سجل لنا العهد الجديد، بداية من أول الكتابات وأقدمها وهو إنجيل مرقس الذي كتب نحو سنه ٦٣م، إلى آخرها وهو إنجيل يوحنا نحو سنة ١٠٠م، الذي كتبه القديس يوحنا والذي وضعت الضرورة عليه بأن يكتب إنجيله ليفند البدع التي بدأت في الانتشار حول شخص الرب يسوع، لذلك يقول **"وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكونوا لكم إذا آمنتم حياة باسمه"** (يوحنا ٢٠:٣٠،٣١).

لكن لم يمنع الآخرين من أصحاب هذه البدع من كتابة أسفار ممسوخة مشوهة خلطت بين المعتقدات المسيحية ومعتقداتهم الوثنية، ذلك من أجل إثبات معتقداتهم، بل وإمعانا في إقناع السُذّج والبسطاء وغير العارفين وأطلقوا على كتبهم لفظ "إنجيل" هذه الأسفار والأناجيل هي قصة هذا الكتاب الذي بين يديك، بل بالأحرى قصة الاكتشاف العظيم لمكتبة نجع حمادي، والذي يعده علماء الآثار أعظم اكتشاف في دوائر علم الآثار الكتابي في مصر، بعد اكتشافات قمران بالبحر الميت. إذ في سنة ١٩٤٥م وفي قرية القصر والصياد التابعة لمركز نجع حمادي- قنا بصعيد مصر، اكتشف في حوزة القرويون مجموعة تكاد تكون كاملة، تعتبر من أقدم الذخائر المسيحية في مجال الأدب المسيحي القديم، ولكن ليست هذه المخطوطات النادرة، على وتيرة أدب المسيحيين الأولين، لأنها تصور الجانب المقابل، فهي من أدب الغنوسيين، الذين ظهروا في أقدم حقب الرهبنة المسيحية الأولى.

إن هذه الأسفار قد حرمتها الكنيسة فعلاً، بل وحاربت تعاليمهاونفت أصحابها من وسطها، حتى اختفت هذه الظاهرة من المجتمع الكنسي.

وقد كتب الدكتور عزت زكي كتابه هذا، ليروي لنا قصة جماعات لها جذورها العقائدية، والطقسية، والفكرية، والميثولوجية، التي تمتد إلى القرون الغابرة قبل ظهور المسيحية، التي لما أشرق نور المسيحية، أرادت هذه الجماعات أن تلبس عقائدها رداءاً مسيحياً.

وقد شرح سيادته لنا عن ما هي مكتبة نجع حمادي؟، وقصة اكتشافها، ولمحات من تاريخ الغنوسية، وعقائدها وتقاليدها وأساطيرها، وقد ألقى الضوء على ما كتبوه من أناجيل الحق (توما- فيلبس)، ومن الحكمة (سلوانس- أقوال سكسنوس)، ومن الميثولوجيا (رحلة النفس، وقصة تاجر اللآلئ) مع عرض لملامح الأسفار الأخرى المكتشفة.

ونحن بعد أن تثبَّت الإيمان في قلوبنا طوال عشرين قرناً من الزمان، لا يعترينا أن نعرف الغث لنتبين قيمة الثمن، ولا يخيفنا ولا يعثرنا أن نعرف فكر من سبقونا.

وأخيراً نشكر السيد الدكتور/ عزت زكي. على ما قدمه لنا من عمل عظيم، إذ وضح لنا نحن أبناء إقليم نجع حمادي قصة هذا الاكتشاف الذي حدث في أرضنا. الرب يكافئه عن تعب محبته. منتظرين منه المزيد والمزيد.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

مطرانية الأقباط الأرثوذكس

بنجع حمادي

كلمة المؤلف

منذ سنوات عديدة، قدَّمتُ للمكتبة المسيحية، كتيباً منقولاً عن الأستاذ الألماني/ يواقيم أرميا Joachim Jeremias بعنوان: "كلمات المسيح غير المدونة في بشائر الإنجيل"، يتضمن أكثر من كلمة غير معروفة، جمعها الكاتب من اكتشافات بهنسة، ومن مخطوطات نجع حمادي، وغير هذه وقدم لها محللاً، ومفسراً وناقداً. وقد تلقفه جمهور القراء حتى نفذت الطبعة الأولى في وقت قصير...

ولقد كان من دواعي سروري، أن يقدم إليّ صديق كريم هو الأستاذ/ راسم فلتاؤوس من "قصر الصياد" بالقرب من نجع حمادي بصعيد مصر وهو المكان الذي اكتشفت بالقرب منه "مكتبة نجع حمادي"، نسخة من الترجمة الكاملة لها بالإنجليزية، مرفقة مع نسخة أخرى من مجلة "الأبحاث الكتابية الحفرية" وهو العدد الخامس الذي صدر في أوائل عام ١٩٨٠، بمناسبة إتمام ترجمة، ودراسة مخطوطات تلك الاكتشاف الأثري الفريد.

والصديق راسم فلتاؤوس من أقرباء "راغب إندراوس" الذي كان له الفضل الأكبر، في تقديم قصة الاكتشافات وكيف دارت المكتبة دورتها المتفرقة بين أيدي أكثر من قروي هناك، لتصل إلى أيدي الوسطاء، حتى تُجمع أخيراً وتستقر في المتحف القبطي بمصر القديمة بالقاهرة.

ولقد نفضت من يدي، في الحال، كل عمل كتابي آخر، وقمت بتقديم هذه اللمحات التخطيطية السريعة لتاريخ هذا الكشف الفريد، وقصته، كما للأسفار التي تضمنها...

ولكني أقول أن هذا العمل السريع الخاطف، لا يُغني على الإطلاق عن دراسة تلك المكتبة الأثرية. سواء في أصلها القبطي وقد نشرت نسخة مصورة له، أو في الترجمة الإنجليزية، لمن ليست لهم الدراية باللغة القبطية. وكما يقول "دكتور روبنصون" الذي أشرف على الترجمة الإنجليزية إننا في بداية الطريق وسوف تمضي أجيال قادمة، فيها يصبح شغل العلماء الشاغل، تفسير كل سفر وكل جملة وردت، بل أقول كل حرف، وتطبيق ما ورد فيها، على كتبنا المقدسة، أو تطبيق الكتاب المقدس عليها، أو إرجاعها إلى كتابات سابقة.

كلمة أخيرة أسوقها لأخوتي المتحفظين وقد إلتقيت بأحدهم وهو من رعاة الكنائس، فقال لي ما معناه "يبدو أنك من الأثينيين، الذين يحبون أن يسمعوا، ويكتبوا عن أي شيء جديد. إن كان ما في هذه الصفحات تضامناً في كتابنا المقدس، فما الداعي لها؟ وإن كان معارضاً لما في الكتاب، هل تعتقد بأنه من الجائز تقديمها على هذا النحو، للقارئ العادي؟ .. نفس الكلمة التي ترددت عند حريق مكتبة الإسكندرية قديماً ...

وإني أجيب بأن كاتب هذه السطور مؤمن مسيحي، له مكانته في كنيسته، وهو أساسيٌ إلى أبعد الحدود. ولا يطيق أي فكر يتعارض مع إيمانه القويم، أما الخوف على القارئ المسيحي الشرقي، فإني أقول أنه لا يوجد مسيحي يعتقد أن المسيح لم يُصلب فعلاً، وأن الذي وقع عليه الصلب شبيهه، أو ربما صورته، أما هو فلم يتألم بحسب الفكر الغنوسي. ولا يوجد أيضاً من يمكن أن يصدق أن العالم جاء نتيجة لغلطة إلهية كما يقول أولئك- إن القارئ الشرقي أيها العزيز المنتقد، ليس أقل نضوجاً من القارئ الغربي. ولماذا يُنشر في الغرب ما يحمل عنوان " المكتبة القبطية الغنوسية"، ولا يوف أبناء مصر شيئاً عن تفكير طائفة من أجدادهم القدامى؟ إن هذه الأسفار قد حرمتها الكنيسة فعلاً، بل أحرقتها، وطاردت الجماعات التي تمسكت بها، واستولت على أملاكهم، حتى اختفت هذه الظاهرة من المجتمع الكنسي. ولو أن ذلك قد اقتضى قروناً طويلة، من الجهاد، والصراع، وكتابة الأسفار الدفاعية، وتفنيد كل ما ورد بأسفار الغنوسيين من بدع، وتأكيد الحق المسيحي. وللكنيسة الحق في ذلك، فقد كانت في بدايتها، وكان يخشى عليها من البدع والهرطقات.

كما أن انتساب جماعات لها تمتد جذورها إلى الأحقاب الوثنية، وتتمسك بعقائد وتعاليم متضاربة، فيها الثنائية، وربما التعددية، كان لابد وأن ينتهي بالمسيحية كلها، إلى الفناء والإندثار، كما انتهت تلك الجماعات إلى الفناء والإندثار، شأن من يضم في سفينته عدواً، يعمل دائباً في صورة مغايرة لمن هم في السفينة، ويحاول توجيهها حسب قصده فيكون التمزق، وغرق السفينة بما تحمله.

الآن فإن الكنيسة قد وصلت، على ما أعتقد إلى قصارى القول أن هذا الكتاب، ليس سوى قصة جماعات لها جذورها العقائدية، والطقسية، والفكرية، والميثولوجية، التي تمتد إلى أكثر من تربة من ترب/أتربة القرون الغابرة قبل ظهور المسيحية

على تلك الجماعات، إذا بها تنظر إلى ثوبها الممزق، البالي، فتحاول أن ترتق مـــا تخرَّق، وتمزق، برقع جديدة من المسيحية، فيكون النتيجة هــذا الثــوب المتنـــافر الخليط، الذي يزهو في قطعة منه بجمال يبهر الأبصار، بينما بقية الثوب تبقى كما هي تحمل ملامح، وآثار القِدَم، والبلى.

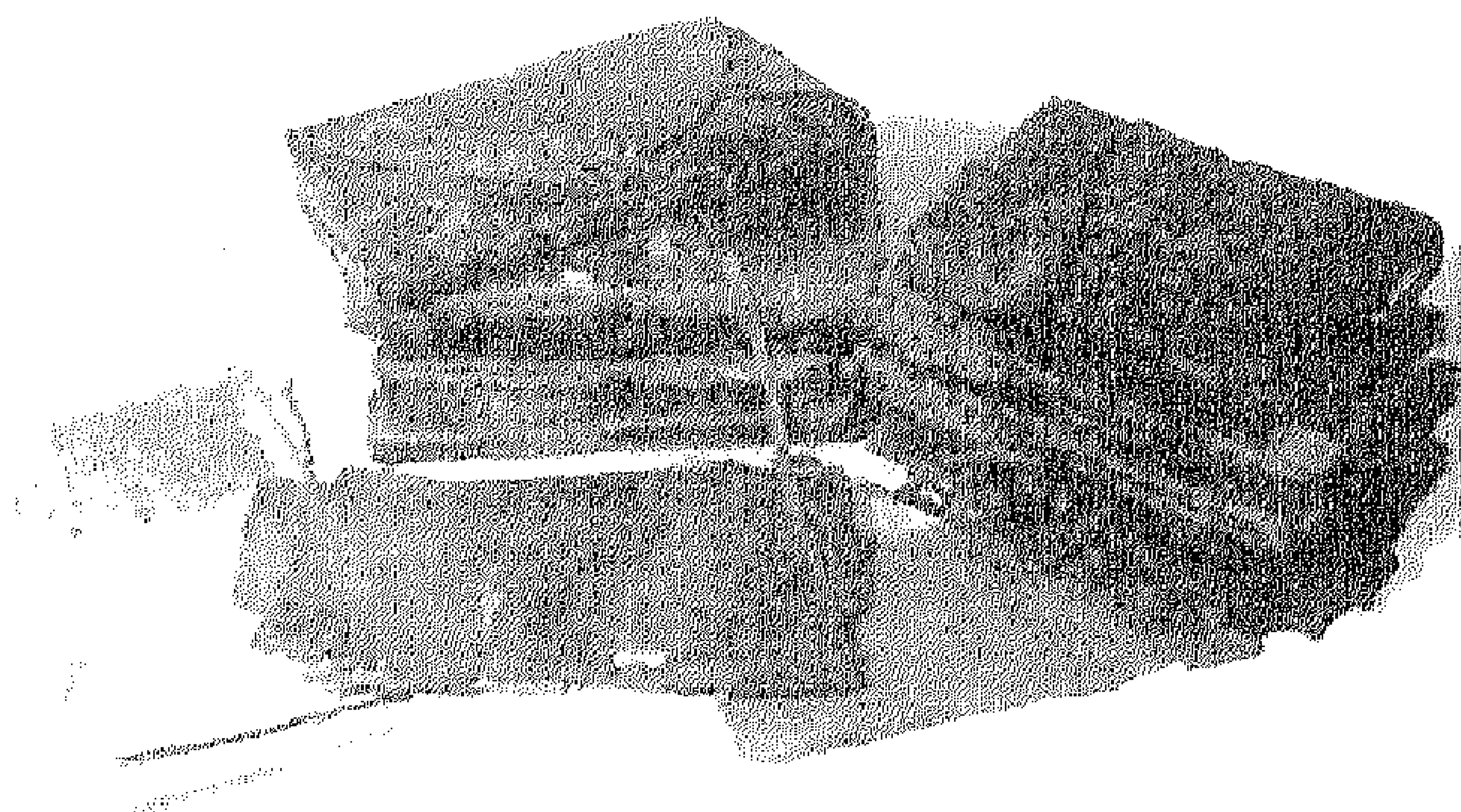
فلنقرأ، ولندرس، ولنبحث، ولننقد، فهذه سمات المفكر الداضج.

وليسامحني الرب، إن كانت في الصفحات التالية، كلمة واحـــدة، تعثـــر "أحـــد اخوتي هؤلاء الأصاغر"

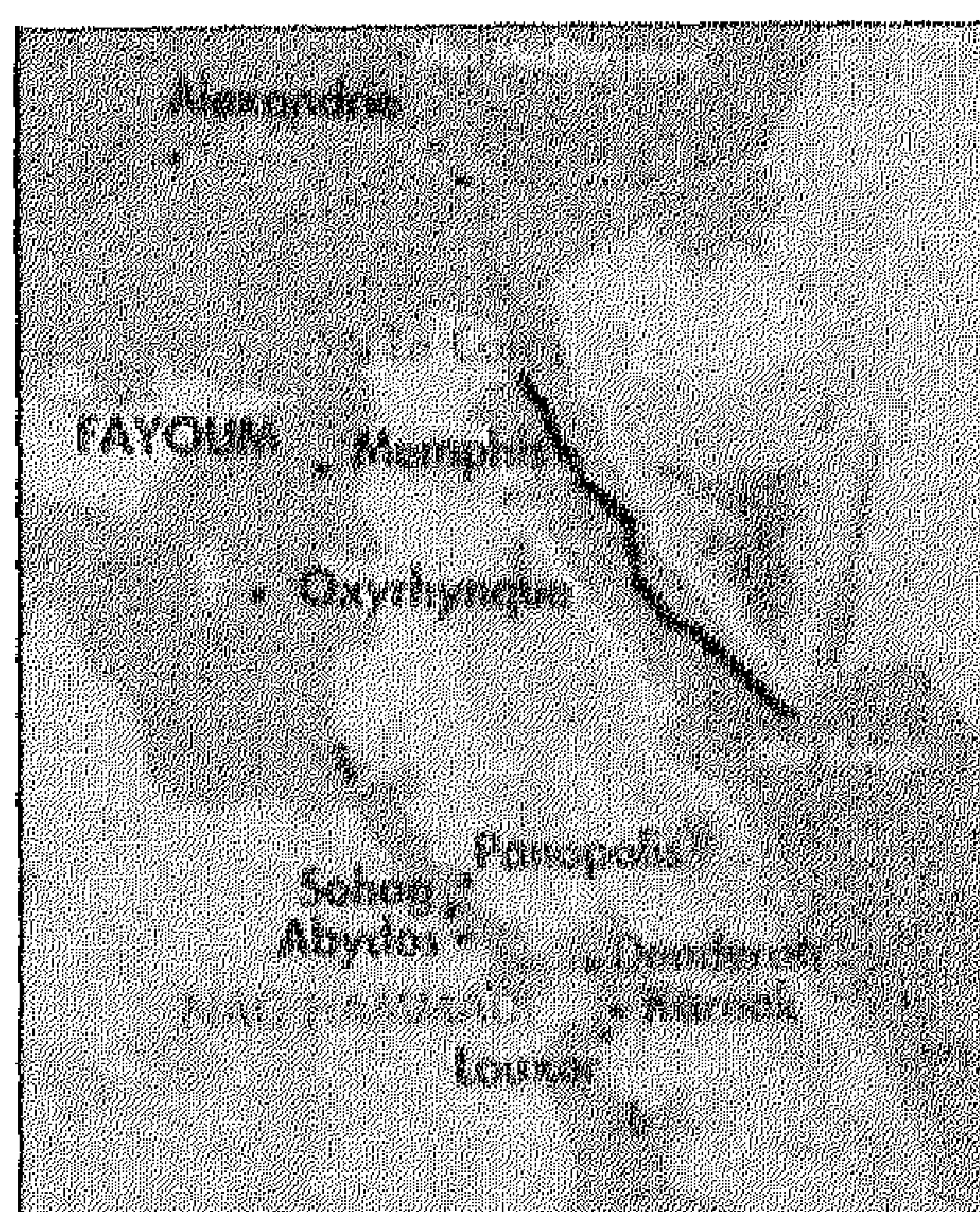
وليكن المجد لله وحده، أولاً وأخيراً .... آمين.

المؤلف

القاهرة في عيد الميلاد لعام ١٩٨١



صورة من مخطوطات نجع حمادي الأثرية



صورة لمكان الكشف الأثري



صورة لمحمد السمان مكتشف مخطوطات نجع حمادي

الفصل الأول

من هنا البداية

في ديسمبر من عام ١٩٤٥، بالقرب من مدينة نجع حمّادي، حيث يتقاطع خط السكة الحديدية مع مجرى النيل في صعيد مصر، اكتشفت في حوزة بعض القرويين، مجموعة تكاد تكون كاملة، تعتبر من أقدم الذخائر المسيحية في مجال الأدب المسيحي القديم. وليست هذه المخطوطات النادرة، على وتيرة أدب الآباء المسيحيين الأولين، لأنها تصور لنا الجانب المقابل: فهي من أدب الغنوسيين الذين ظهروا في أقدم حقب الرهبنة المسيحية الأولي أما دلالة هذا الاكتشاف، في مجال معرفتنا بالحالة الدينية، والفكرية للمجتمع المسيحي في مصر، وربما أيضاً للشرق الأوسط كله، قبل الغزو الإسلامي، فهي لا تقدر بثمن. ومع ذلك فقد ظلت هذه المخطوطات في طي النسيان– أو الغموض– طيلة خمسة وثلاثين عاماً كاملة بعد اكتشافها.

– أين اكتشفت؟ ومن الذي له الفضل الأول في اكتشافها؟ وما هو عدد النصوص المتضمنة فيها؟

لقد وصل إلينا حتى الآن، اثنان وخمسون نصاً من هذه النصوص ولكننا نعلم أنه كان هناك ما يزيد عن ذلك، حيث أن "أم أحمد" والدة أحد المكتشفين الرئيسيين، قد اعترفت بأنها أحرقت الكثير من هذه الرقوق الجلدية القديمة لتصنع الشاي وتخبز الخبز، في الفرن.!

وأولئك الذين على علم بقصة اكتشاف مخطوطات البحر الميت، يجدون صوراً مؤسفة مقابلة، سنذكرها بشيء من الإسهاب، في رحلة مخطوطات نجع حمّادي إلى القاهرة، وبعثرتها بين تجار العاديات الأثرية. وهناك ما يزيد على ذلك مما لا نعيب فيه بعض القرويين الفقراء الجهلاء، الذين يسعون وراء اكتشاف يضمن لهم بضعة قروش، ولكننا نوجه النقد فيه إلى علماء في الغرب لهم مكانتهم. ظلوا يتنازعون فيما بينهم طيلة هذه السنوات. على امتياز، وشهرة نشر هذه المخطوطات مع تفسيراتهم الخاصة لها، بينما كانت هذه الأمور السياسية الدولية، تزداد تعقيداً. هذه

المشاكل نفسها تتكرر أيضاً، في اكتشافات ألواح (إبلا) في إسرائيل، أما مصير مخطوطات سانت كاترين الجديدة فنحن في انتظار ما سيحدث. وأنه ليبدو لنا، أنه ولا واحد من الذين في حوزتهم، مثل تلك المخطوطات أو المستندات الأثرية يدرك هذه الحقائق التالية:

أولاً: أنه على الرغم من أن هذه الاكتشافات ترتبط أولاً باسم الدولة التي اكتشفت فيها، وتشكل ذخيرة عظمى لها إلا أنها فوق كل شيء، هي ملك للإنسانية جمعاء، وعلى الأخص، لدوائر العلم، في كافة الشعوب

ثانياً: إنه من الأصوب، نشر الوثائق أولاً، ثم يتقدم كل واحد بالتفسيرات التي يراها بعد ذلك.

ثالثاً: أن أولئك الذين يحتفظون بأجزاء من تلك الكتابات، ولكنهم في روح الأنانية، يحجمون عن تقديمها، للدوائر العلمية طمعاً في نشرها بمفردهم، أو ارتباط أسمائهم بها، لا يكتسبون كثيراً كسباً أدبياً من وراء تصرفات نظير هذه.

أما اكتشافات نجع حمادي، أو كما يحلو للعلماء تلقيبها "مكتبة نجع حمادي"، فقد وَجدَت بعض أجزاء منها طريقها إلى أوروبا، وبينما ظل العلماء يتداولون فيما بينهم عن مدى أهميتها، بذلت محاولات كثيرة دون جدوى لتكوين لجان دولية، للإشراف على هذه المخطوطات بينما كانت الأحوال السياسية الدولية تزداد تعقيداً وأخيراً قُدِّر للعالم الدكتور/ جيمس روبنصون من معهد الآثار المسيحية في كليرمنت بكاليفورنيا أن يتبنى هذه المهمة في العام الماضي، ولقد وضع نصب عينيه أمرين: الأول أنه لابد وأن تُنشر الوثائق بصورة واضحة منقولة عن الأصول الكائنة حتى يستطيع العلماء، أن يقوموا بدراستها، وبتعليقاتهم وتفسيراتهم عليها.

والأمر الثاني نشر ترجمة كاملة بالإنجليزية لهذه النصوص القبطية حتى تصبح في متناول كل واحد ليست له القدرة على دراسة الأصل في اللغة القبطية القديمة. وحتى تعم الفائدة للجميع .. وعلى النقيض من سواه من الذين عملوا في مجالات مماثلة لم ينتظر دكتور روبنصون للتفسيرات على هذه المخطوطات وبهذين الهدفين أمامه، وبجماعة متخصصة من العلماء قام البروفيسور العالم بنشر هذه الوثائق في لغتها الأصلية كما في ترجمتها الإنجليزية. ولم يكن هذا جهداً متواضعاً حيث أنه قدم نموذجاً لما ينبغي أن يسير عليه العلماء في مجالات مماثلة وأولئك الذين

يمتلكون مخطوطات لم تنشر بعد من برية اليهودية كما من تل مرديخ، أو من دير سانت كاترين أو من أي مكان آخر يفعلون حسناً لو ساروا على النهج الذي اختطه العالم الكبير في تعامله مع مكتبة نجع حمادي والتي أصبحت الآن ملكاً مشاعاً، بين أيدي كافة العلماء في كل مكان ...

ولم يكتفِ روبنصون وجماعته بنشر نصوص المكتبة وترجمتها، بل قاموا أيضاً، بعمل حفريات واسعة النطاق في المنطقة المحيطة التي ثبت أنها منطقة أثرية غاية في الأهمية، تقدم لنا مواداً تلقي لنا الأضواء على بداية الحركة الرهبانية في مصر، كما تقدم لنا آثاراً من العصر الروماني، لم يتم الكشف بعد عن مدى أهميتها وقيمتها الأثرية. وكذلك اكتشفت آثار هامة ترجع إلى الأسرة السادسة مظهرةً لنا أن هذه المنطقة الغنية بالآثار، سوف يكون لها إسهامها في إلقاء الضوء على أكثر من حقبة تاريخية من حقب التاريخ المصري القديم.

بقيت هناك بعض الأسئلة:

من الذي اكتشف هذه المخطوطات؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف وصلت إلى تجار العاديات بالقاهرة؟ وكيف أن بعضها وصل إلى دول أوربا؟ ثم كيف عادت إلى مصر مرة ثانية؟

إننا في محاولة الجواب على هذه الأسئلة نستطيع أن ندرك مدى الصعوبات القاسية التي اعترضت روبنصون وجماعته في وجه عادات وتقاليد، وجماعات، متباينة تصور الرجوع خمسة وعشرين عاماً إلى الوراء لنمسك بخيوط القصة، ونحاول أن نصنع منها نسيجاً متكاملاً؟

وهذا ما سنحاول بإذن الله في الصفحات القادمة، نقلاً عن تقارير أولئك العلماء، الذين أسهموا بالكثير في نبش تراب القرون الغابرة، وإلقاء الضوء على جانب كبير من تراثنا المصري القبطي. وربما كانت لنا الفسحة من الأجل لننقل للقارئ العزيز، في لغتنا العربية، ترجمة كاملة لمكتبة نجع حمادي.

الفصل الثاني

ما هي مكتبة نجع حمادي

إن مكتبة نجع حمادي، هي مجموعة من المخطوطات القديمة اكتشفت عام ١٩٤٥ في صعيد مصر، بالقرب من نجع حمادي، على بُعد (٥٩٥) كيلو متر جنوبي القاهرة، أو (١٢٧) كيلو متر شمالي مدينة الأقصر وأقرب كبرى المدن إلى موقع الكشف، هي مدينة نجع حمادي، وإذا كنا نوافق الأب دي فو، على خطأ تسمية مخطوطات قمران، بمخطوطات البحر الميت، حيث أن المخطوطات لم تكتشف في مياه البحر الميت، ولكن في المغاور التي تحيط بوادي قمران، فإنه من الخطأ أيضاً تلقيب الاكتشافات في صعيد مصر بمكتبة نجع حمادي المدينة التي تقع حيث يعبر خط السكة الحديدية النيل، متجهاً من الغرب إلى الشرق، ولكن في المرتفعات الصخرية التي تقع على بُعد عشرة كيلو مترات إلى الشمال من نجع حمادي. ولذلك فقد كان من الأنسب تلقيب هذه المخطوطات "بمكتبة جبل الطارف" إشارة إلى المرتفعات التي اكتشفت فيها. ولكن اللقب سرى على هذا النحو، وربما لأن مدينة نجع حمادي كانت المقر أو المعسكر الذي إليه جاءت وفود العلماء، ومنه انطلقت للبحث، والتنقيب هناك.

ومنذ زيارة "جان دوريس" العالم الفرنسي الشاب عام (١٩٥٠م) حتى زيارة العلماء الأمريكيين الذين يقومون بالحفر في الموقع الأثري، كان بيت الضيافة في مصنع السكر، بنجع حمادي، وهو المكان الذي ضمَّ العلماء. وهكذا أصبحت نجع حمادي، العنوان البريدي للاكتشاف. ولقد كان من رأي دوريس أن يلقب هذا الكشف بمخطوطات "كينو بوسكيون" أو مخطوطات "القصر" حيث أن الكلمة، هي الاسم القديم المعادل لاسم هذه القرية. وهي القرية التي ينتسب إليها كل الذين اسهموا في الكشف الأثري، والتي من بين أيدي مكتشفيها، بيعت الأسفار سفراً بعد سفر، أو بالأحرى جزءاً بعد جزء. أما قرية القصر، أو كينو بوسكيون، فهي القرية التي اعتنق فيها القديس باخوميوس المسيحية في القرن الرابع الميلادي، ولكن هذا اللقب لم يمر طويلاً، ربما لصعوبته، وأصبح لقب نجع حمادي على كل لسان.

أما المجتمع الأمريكي، فقد كان يعرف شيئاً عن مخطوطات نجع حمادي منذ عام (١٩٥٩م)، وهو العام الذي نشرت فيه الترجمة الإنجليزية "لإنجيل توما". وهو مجموعة من (١١٤) قولاً من الأقوال المنسوبة إلى يسوع تعود إلى سنة ٥٠ م لذا تعتبر أهم جزء من المكتبة يكشف لنا عن يسوع بالنسبة للعصور المسيحية الأولى، وهذا ما يجعل كشف نجع حمادي أبعد أثراً، وأجل قدراً بالنسبة للمسيحية، من كل اكتشافات وادي قمران. أما بالنسبة لكل المجموعة التي اكتشفت، فإن أعظمها هو، كما أسلفنا أقوال المسيح، أو الأقوال المنسوبة إليه، والمتضمنة في إنجيل توما.

ومجموعة نجع حمادي، تتضمن ستة وأربعين مكتوباً كانت في الأصل باللغة اليونانية، أربعون منها، كانت مفقودة في الأصل (عدا ثلاث قطع صغيرة) إنها مقتطفات نموذجية، أو عينات من الأدب النسكي في العالم الهلينستي (اليوناني)، من سوريا إلى مصر، يغطي حقبة القرون الأربعة الأولى من المسيحية (اللهم إلا إذا استثنينا جانباً من جمهورية أفلاطون) وبضع شذرات من سفر التكوين، على غلاف واحد من الأسفار. وهكذا فإن أهمية هذه المجموعة ليست وقفاً على صعيد مصر أو المنطقة التي فيها اكتشفت، ولا حتى إلى نصف القرن الرابع الذي إليه يرجع تاريخ جمعها بل إن أهميتها ترجع إلى كونها تقدم لنا أكثر من حلقة مفقودة، في مفهومنا عن الجناح الأيسر للمسيحية، أو ما يمكن أن نسميه باللاهوتية الفلسفية، وما يتضمنها من تفسير كتابي يغطي مناطق واسعة متباينة كما يتضمن حقباً طويلة من تاريخ الفكر المسيحي. وليس بأقل أهمية من ذلك، الحقيقة بأن تلك المكتبة أو المجموعة لم تقدم لنا في لغتها الأصلية التي كتبت بها، بل قُدِّمت في ترجمة قبطية وكان هذا عائقاً عن الوصول إلى محتوياتها، حيث أن العلماء المتمرسين في اللغة القبطية القديمة، في الغرب، هم قلة. على أنه قد يكون من إضاعة الجهد، وتشتيت التركيز، أن نهتم بالتركيز على التاريخ، والمكان، واللغة التي كتبت بها هذه الأسفار، وننسى حقبة الزمن الفاغرة التي تفصل بيننا وبينها، والفائدة العظمى التي سنجنيها من هذا التراث الأدبي والديني.

أما الستة والأربعون نصاً المختلفة فهي- بالمقارنة مع أسفار الكتاب المقدس- لا ترقى إلى مرتبة أسفار، بل تبدو في صورة لا تزيد عن مقالات أو نُبذ وهذا يرتبط بالحقيقة أن الملف أو الرق علاوة على حاجتنا إلى فرده، وطية كل مرة نريد أن نقرأ فيها جانباً منه، له بالفعل طول محدود كما أنه لا يحتمل إلا الكتابة على

وجه واحد. وإذا طال النص، فيلزم الأمر تقطيعه إلى أجزاء، أو أسفار، ولكن نحو هذا الوقت، كانت صناعة الكتاب قد دخلت في طور جديد، ساعد في إطالته وتطويره، وسهّل عملية تضمين المقالات الأقصر الكائنة في الملف، مثل "أسفار" الكتاب المقدس، إلى مجلدات من مجموعة مقالات، مثل ما نراه حالياً في الكتاب المقدس.

فإذا قام واحد، بقطع الملف الطويل. إلى قطع متساوية كل قطعة منها، تسع عمودين من الكتابة علاوة على الهوامش، وقام بطي القطعة عند المنتصف فإنه يستطيع أن يكتب على الوجهين، ومن أمام، ومن خلف. وهكذا يزيد من سعة الرق للكتابة. فإذا أخذ هذه القطع، ووضعها الواحد على الآخر، وقام بتثبيت المجموعة عند النصف، فإنه يتكون من هذا صورة الكتاب الذي نستخدمه حالياً وهكذا يُعفي الباحث، من مجموعات لا حصر لها من الرقوق. يحتاج في كل ساعة إلى فردها، وطيّها، كلما أراد البحث عن كلمة أو قراءة شئ.

كما إن أراد الاستغناء عن جزء من الأجزاء، ففي الإمكان انتزاعه بسهولة من المجموعة .. ومن الممكن أيضاً على هذا النحو، كتابة مجلدات ضخمة، حيث أن الكتابة على الوجه، والظهر، تتيح الفرصة لتضمين أكبر عدد ممكن من المقالات، أو الكتابات معاً.

وبسبب هذه المزايا الكثيرة اختفت لفائف الرقوق شيئاً فشيئاً، خلال القرون المسيحية الأولى، لتخلي الطريق للكتاب في صورته الحالية أو السفر code أو المجلد. والمجلد ككتاب موسّع، يستلزم أن يتضمن مجموعة من مقالات. Essays ، لحل أفضل صورة لها،"الكتاب المقدس" بأسفاره، أو مقالاته المتضمنة فيه، ونستطيع أن ندرك من هذا المثال. كيف أن ثلاثة عشر مجلداً code تضم ١١٥٢ صفحة مكتوبة، يمكن أن تتضمن أثنين وخمسين نصاً مع الملاحق، إذا ذكرنا أن هذه المجلدات الثلاثة عشر تتضمن ما ورد في ثلاثة أمثالها من الملفات أو الرقوق ..

ترى ما الذي تتضمنه هذه النصوص العديدة المتباينة؟ إن التقارير المبدئية تحدثت عنها، بأنها "من كتابات الغنوسيين". وهم جماعات عدة ظهرت في الثقافة الوثنية قبل المسيحية لكنها انتشرت بشكل واسع في القرون المسيحية الأولى وكانت أفكارها عبارة عن خليط غريب من الفلسفة اليونانية والديانات الشرقية ضمت إليه

بعض الأفكار المسيحية حتى ظن البعض أنها هرطقة مسيحية ولربما قصد المكتشفون إطلاق هذا الاسم على الكتابات التي اكتشفت، حتى يثيروا رغبة الجمهور في التهافت عليها، ومعرفة محتوياتها، والكشف عن أسرار تلك الهيئة، التي ألقت عليها الكنيسة الأولى ستاراً من الغموض، والنسيان. ولكن في واقع الأمر كان هذا اللقب صحيحاً. فمعظم الكتابات هي بصورة، أو بأخرى غنوسية .. حتى أن هذا المذهب، هو المركز لدائرة المجموعة كلها.

وهكذا نجد أن الطبقة النقدية التي أعدها معهد الآثار المسيحية، في جامعة كلير مونت، تحمل هذا العنوان: "المكتبة القبطية الغنوسية".

وإذا قد تمَّ الآن ترجمة المجموعة بكاملها، فإنه من الواضح أن قلة منها لا تنتسب إلى الغنوسيين، ولو أنها يمكن أن تُفسَّر بصورة ملائمة لأفكارهم، ومعتقداتهم.

هذا إذا سلمنا بما يراه البعض، من أن الغنوسيين لم يكونوا فلاسفة نظريين، يتجهون إلى التنظيم الفكري، بقدر ما كانوا مجموعات من الزهاد العمليين يرتبطون بالعادات، والتقاليد النسكية العملية الجذرية، حتى ولو كان إقرارهم العقيدى، والفكري يتباين إلى حد كبير.

وهذا يفسر لنا ما يبدو أنه الحلقة التي تربط بين النسخ التي ظهرت، وبين ظهور حركة القديس باخوميوس الرهبانية، والتي كانت معاصرة لها. فمن الجلي، أن حركة القديس باخوميوس في بادئ الأمر، لم يكن لها تنظيمها الثابت، أو صبغتها العقائدية التي تلتزم بها. بل كانت في إطارها العريض، جماعات من الرهبان، خرجوا من مغاور العزلة، والتوحد إلى الحياة الرهبانية الجماعية التي استطاع أن يصبغها، فيما بعد قانون الإيمان الأثناسي، ويغربل الحنطة من الزوان وينتهي بصورة تدريجية، إلى شجب كافة أسفار تلك المجموعة التي حفظها لنا التاريخ باسم: "مكتبة نجع حمادي".

أما دلالة مكتبة نجع حمادي، أو أهميتها، فهي تقع في دائرة الغموض، الذي يكتنف ماهية الغنوسية ومدى صلتها بالمسيحية، واليهودية، أو أية ديانات أخرى كائنة في العصر الذي ازدهرت فيه.

وقبل اكتشاف هذه المكتبة كانت المادة التي لدينا عن الغنوسية، ضئيلة هشة، بحيث يحتاج المرء إلى أن يجمع قطعة من هنا، ومعلومة من هناك، حتى يكون بناءًا، أو يرسم صورة ما أبعدها عن الكمال بالنسبة للصورة التي تقدمها لنا مكتبة نجع حمادي الحالية ومع ذلك، فنفس هذه المكتبة لا تقدم لنا الخيط الرفيع المتواصل الذي يعطينا فكرة عن الوحدة التعليمية، والعقائدية، والمثولوجية، لهذه الجماعات. وحتى النصوص الغنوسية الفردية، لا توائم قالب التقسيم الغنوسي المثالي، ولا تتفق مع ما عرفناه في وقت من الأوقات، أنه الغنوسية، بحيث يلزم إعادة النظر في كل مفاهيمنا السابقة، وربما يرجع هذا بصورة جزئية إلى أن العلماء، في مجال تفسير هذه النصوص، لا يزالون في الخطوات الأولى، حتى أن الأفكار القديمة بحاجة إلى إعادة تقييمها في نور المفاهيم الجديدة.

وعلى أية حال نقول، أنه يبدو لنا الآن، أن الغنوسية ما كانت ديانة رئيسية مستقلة، أو هرطقة لها جوانبها المستقلة المميزة بل أكثر من انحراف، أو اتجاه متباعد، أو موُدة عصر، أو عصور، أو ممارسة عملية، وجدت الطريق إلى التعبير عنها في قلب تقاليد دينية متباينة، وفي قوالب مثولوجية، وتعبيرات شبه فلسفية. وهي تشترك في هذا، مع الكثير من الحركات الدينية الفلسفية التي كانت سائدة في عصرها مثل التصوفية اليهودية الرؤوية Apocalypticism ، والمسيحية المبدئية، والأفلاطونية الحديثة، مظهرة الضيق ومشاعر الأسى، بسبب الوجود الإنساني وإذ كان ينقصها الافتراض العصري، بأن العلم، والتكنولوجيا، يمكن أن يوجها المجتمع إلى ما هو أفضل، اتجهت إلى الحل الجذري، بالانسحاب من المجتمع، والانطواء على ذاتها والزهد، وممارسة الاستنارة.

وقد يكون انحرافها- من وجهة نظر المسيحي القويم- في أنها اتخذت لنفسها وضعها الخاص، في الوقت الذي اتجهت فيه كافة الحركات المماثلة إلى تطوير نفسها بسرعة، حتى تنخرط في سلك المسيحية القويمة، وتصبح جزءاً لا يتجزأ منها.

والخلاصة:

أن مدى إسهام مكتبة نجع حمادي في معرفتنا بالمسيحية وتاريخ تطورها، يكمن في دائرتين...

أولاً: إعادة تقييم تطورات الحركات الدينية التي منها ظهرت المسيحية، وتبلورت.

ثانياً: إلقاء الضوء على موقفنا الذاتي، الذي يحتاج منا إلى وقفة تفكير، وتأمل وسوف نوالي الحديث عن النصوص الغنوسية في فصول قادمة، بعد أن نتريث قليلاً أمام قصة اكتشاف هذه المكتبة، وكيف وصلت إلى أيدي الوسطاء، والعلماء، بعد أن تلقفتها أيدي حفنة من القرويين في إحدى القرى التابعة لنجع حمادي، في صعيد مصر ..

الفصل الثالث

قصة الاكتشاف

تُرى ما هو المكان الذي تم فيه بالفعل اكتشاف مكتبة نجع حمادي؟!. وإذا كنا نقول أن الكشف، قد تم عام (١٩٤٥م)، فلماذا تأخر تحديد المكان طيلة ما يزيد على ثلاثين عاماً كاملة؟! ومن هم بالفعل أولئك الذين عثروا على هذه المخطوطات؟! وكيف وصل الخبر إلى علماء الآثار في الغرب؟! وهل عثر أولئك على هذه المخطوطات، لدى القرويين الذين قاموا باكتشافها أم تسربت إلى أيدي الوسطاء الذين قاموا بدورهم ببيعها إلى تجار العاديات الأثرية بالقاهرة؟!!! وهل وجد بعض هذه المخطوطات طريقه إلى متاحف أوربا، قبل أن يتنبه الذهن العالمي إلى قيمتها، ويتكل العلماء مكونين لجاناً، لضم هذه المخطوطات معاً وجمعها، أو على الأقل جمع صورها، من كل مكان، والإشراف على تجميعها- والمقصود بالكلمة الأخيرة ترميمها-، وترجمتها وتفسيرها. أو إلقاء الأضواء عليها؟

إن البعض من هذه المخطوطات قد وُجدت سليمة للغاية حتى أنه كان من الأمور السهلة على علماء الغرب، بالتعاون مع علماء الآثار القبطية في مصر، ترجمتها، وتحقيقها، على الرغم من مرور ما يزيد على ستة عشر قرناً كاملة منذ تاريخ كتابتها.

أما البعض الآخر، فحينما فُتحت المحافظ الجلدية أو الأغلفة الجلدية التي تضمها، تناثرت محتوياتها إلى آلاف القطع الهشة التي احتاجت إلى سنين عديدة من العلماء لتجميعها وترميمها.

بل أن ما ظنه القرويين البسطاء- حينما قام أحدهم بكسر الآنية الفخارية التي تضم هذه المكتبة فإذا بغبار يندفع منها متصاعدا- ما ظنه أولئك أنه التبر، أو أساس الذهب الذي صنع منه الأقدمون صياغتهم، وآثارهم، لم يكن سوى غبار بعض

الأجزاء، والصفحات المتكاملة، التي ظلت مكتومة في تلك الأواني طيلة هذه الألوف من السنين، فإذا بها تتدفع عند كسر الآنية، في شبه الإنفجار.

على مثل هذه الأسئلة، أو على بعض منها يجيبنا الدكتور روبنصون سكرتير هيئة يونسكو لمخطوطات واكتشافات نجع حمادي، وأستاذ الآثار المسيحية بمعهد كليرمونت بكاليفورنيا، والمحرر المشرف على نشر هذه الوثائق الثمينة، منقولة عن أصلها القبطي وكذلك نشر ترجمتها باللغة الإنجليزية

يقول روبنصون- أن قصة اكتشافات نجع حمادي وتاريخها يرجع الفضل في تقديمها إلى أثنين من القتلة- على حد تعبيره. وهذه هي نظرته إلى عادة الأخذ بالثأر في صعيد مصر!!

والقصة تبدأ بـ (علي بن محمد بن خليفة من قبيلة السمان بالقصر) وهي قرية تبعد مسافة أحد عشر كيلو متراً جنوبي نجع حمادي. فقد كان يسهر على حراسة ماكينة الري، الكائنة وسط الحقول على مشارف القرية، حينما أبصر لصاً يكمن بالقرب منها فأطلق عليه النار، وقطع رأسه. وكان ذلك اللص من قرية حمرة دوم، عزبة تقع في أسفل الصخور التي اكتشفت عندها مجموعة الكتب. وفي ظهر اليوم التالي، ذهب ابن على (محمد الملقب بالجميل)، يحمل الغداء لوالده فإذا به يشاهد والده جثة هامدة مُسندة إلى جثة القتيل الأول، وقد أخترق رأسه طلقٌ ناري..

كان ذلك في يوم الاثنين، لشم النسيم، الموافق ٧ مايو عام ١٩٤٥. ويؤكد محمد علي "الجميل"[1] الذي كان له شرف اكتشاف المكتبة مع شقيقيه الأصغرين خليفة وأبو المجد- وإذا نظرت صورة "الجميل" كما نُشرت في مجلة علم الأبحاث الحفرية الكتابية، لعرفت أنه أن تسمع بالصعيدي خير من أن تراه- إن تاريخ اكتشاف الجرة التي تضم هذه المخطوطات، جاء بعد تلك المأساة التي وقعت للأسرة بستة شهور..

[1] ظن محمد علي السجاني مكتشف هذه الأواني أن بها كنزاً ذهبياً فكسر إحداهما فإذا بغبار كثيف يندفع منها فهرب من أمامها وهو يظن أن الذي خرج منها مارد من الجن.

ولقد تم الاكتشاف، عَرَضاً حينما كان محمد علي وجماعته معه يقومون، بالحفر، لجلب التراب الناعم من الجبل لتسميد الأرض القاسية، عندهم وهذا يحدث عادة في ديسمبر من كل عام أي أن الكشف تم قبيل عيد الميلاد حيث أن دفتر الوفيات بنجع حمادي يرجع بتاريخ موت علي محمد خليفة إلى السابع من مايو (١٩٤٥م). وهذا يؤكد لنا أن تاريخ الكشف هو على وجه التحديد، أحد أيام ديسمبر (١٩٤٥م). أما موقع الاكتشاف فهو في حضن مرتفع صخري يُعرف بجبل الطارف ويقع على بعد ١١ كيلو متراً من نجع حمادي.

وهنا ينحرف مجرى النيل من الشرق إلى الغرب قبل أن يأخذ نصف دائرة يستأنف بعدها مجراه إلى الشمال. وعلى هذا المنحنى توجد المدينة التي اشتهرت بقصب السكر، وصناعة السكر، مدينة نجع حمادي على الشاطئ الأيسر لمجرى النيل.

هذا المثلث الخصيب من الأراضي الزراعية، والذي اكتشفت عند حافته الجبلية مخطوطات نجع حمادي ظل طوال ثلاثين عاماً، منطقة خطرة، بسبب جرائم الثأر المتزايدة، بين قبيلة السمان بالقصر، والهوارة بحمرة دوم، وبهذا تعطل الكشف طيلة هذه الثلاثين عاماً؛ ومن المعروف أن حَمرة دوم، والمناطق التي تحيط بها تسكنها قبيلة الهوارة العربية الشرسة، والتي تدَّعي الانتساب إلى نسب النبي العربي وتتعالى على ما يحيط بها ولذلك فقد كان من الصعب إغراء أي واحد من قبيلة السمان، الكثيرين في العدد في منطقتهم بأن يغادر تلك المنطقة، ويخاطر بحياته في الذهاب إلى منطقة جبل الطارف، الذي يقع في نطاق سيطرة العدو..

وحيث يقترب الطريق الزراعي هناك، بطريق السكة الحديدية، عند منحنى النهر الشمالي الشرقي، أو بمعني آخر، حيثما يبعد مجري النيل عن الجبل مسافة٢ كيلو متر، يقوم طريق فرعي ترابي مرتفع منحرفاً إلى الاتجاه الشمالي الغربي، ليحتضن، قرية عزبة البوصة الهادئة. وهذا الطريق يستمر في مواجهة المرتفع الصخري الذي توجد تحته أكداس السباخ، والأتربة، والركام، ممتداً مسافة اثنين ونصف كيلو متر، حتى يصل إلى قرية "حمرة دوم" التي أشرنا إليها.

وعند هذا المرتفع الصخري في مقابل كنيسة القديس باخوميوس، في فاو قبلي، الواقعة بالقرب من النهر، يرجح أنه اكتشفت مخطوطات نجع حمادي. ثم اكتشفت، في مسافة إلى الشرق، بعد ذلك بعشر سنوات، مجموعة برديات "بودمير"..

نعود إلى قصة الثأر فنقول، أن الدم لم يخمد بمصرع واحد مقابل واحد. فقد عزمت أسرة "علي" من قبيلة السمان، على الأخذ بثأر القتيل. وفي أحد الأيام واتت الفرصة أفرادها- حينما أبصروا بواحد من الهوارة ويُدعى "أحمد إسماعيل"- وقد كان أبناء علي يتهمونه باغتيال والدهم- نائماً بجوار جرة من العسل للبيع، فانقض عليه الأولاد السبعة بفؤوسهم، وقطعوه إرباً إرباً، واشتركت معهم "أم أحمد"، والدتهم في تمزيق صدر القتيل، وإخراج قلبه، يتقاسمونه ويمضغونه.

ولم يثبت التحقيق أدنى اتهام بالنسبة لهم، بل أن أهل القتيل الأخير، رفضوا اتهام أحد، حتى يأخذوا ثأرهم بأيديهم...

وبعد ذلك بشهور ثلاثة يسقط قتيلان من أسرة السمان مقابله. بل أن "ابن أحمد إسماعيل"، وكان سنه في ذلك الوقت لا يتجاوز الحادية عشرة- يصر على أن يأخذ بثأر والده وفي فرصة دفن أحد الموتى من قبيلة السمان، حيث تقع المدافن إلى الشمال الشرقي من قرية القصر، تربص هو وجماعة من إخوانه، مسلحين بالأسلحة النارية، واستطاعوا أن يظفروا بما يزيد على عشرة من القتلى من موكب المشيعين..

نقول إزاء هذه الحالة المضطربة، لم يكن من السهل على أفراد الجمعية العلمية الأمريكية بقيادة روبنصون، استدراج أحد من المكتشفين، ليدلي بأوصاف المكان على وجه التحديد. والمكان، كما أسلفنا يقع في دائرة المنطقة القريبة من حمره دوم "قرية الهوارة" .. وكم من أشخاص أدلوا بأوصاف ربما مزعومة، وربما بسبب مضي السنين، خاطئة، وربما أيضاً بسبب وجود مقبرة قديمة فرعونية بالقرب من المكان، ظنوا أنها هي.

وتمضي السنون في حفريات لا طائل لها، ولا تسفر عن أي دليل يشير إلى صحة هذه الأماكن، وهذه بعض الأمثلة...

هناك واحد من قرية القصر، ويُدعى "عبد المجيد بدري" كان يعمل خفيراً تابعاً لهيئة الآثار، في حفريات جبل الطارف. لمدة عشرين عاماً، منذ عام (٤٧م) إلى عام (٦٧م). وقد أكد أنه علم، من أحد أبناء "علي" عن أماكن الاكتشاف، وأنه يقع في أسفل الركام والأتربة، المكدسة في ظل صخرة مستديرة ضخمة ولكنه لم يحدد أين هذه الصخرة، حيث أن هناك أكثر من صخرة أو جرف boulder ينطبق عليها الوصف كما أن البحث فيما أقترحه من أماكن لم يسفر عن أي دليل على صحة أقواله وخاصة أنه في الفترة التي كان يعمل فيها خفيراً ما كان يجرؤ واحد من أبناء "علي" أن يأتي إلى المكان، ويشير إلى الموقع المزعوم.

وهناك آخر من "حمره دوم" ويُدعى "أحمد إسماعيل" تقدم في أوائل ديسمبر ١٩٧٥م، ليروي قصة أنه كان بالقرب من مقبرة تحوتي التي تقع شمال المكان. وأنه علم من أحد أقاربه، ويُدعى "عبد الناصر" عن المكان، حيث أنه اشترك في الحفر، في أسفل الجبل، وقد جاء في اليوم التالي "بعبد الناصر" هذا، الذي حدد المكان على بُعد خمسين متراً من صخرة ضخمة أوردها "جان دوريس" في كتابه "سر أسفار الغنوسيين المصريين"، ولكن "محمد علي" كذّب هذا الادعاء مؤكداً، أنه أثناء الكشف لم يكن هناك واحد من الهوارة، أو من حمره دوم، صحيح أن المكان الذي أشار إليه "عبد الناصر"، توجد به آثار حفر، ولكن من المعروف أن عمدة حمره دوم قد قام من جانبه بعمل حفريات في أكثر من بقعة في أسفل الجبل. ولربما ما أشار إليه "عبد الناصر" هو مكان إحدى الأعمال الحفرية التي قام بها عمدته، والتي لم تسفر عن شئ.

لذلك لا غرابة أن تتضارب أراء العلماء، في مكان اكتشاف مكتبة نجع حمادي، فيحددها "لود فيج كيمر" على أنها في مغارة. ويحددها "هنري شارلس" على أنها في مقبرة أو محراب أما "دوريس" فيشير إلى جبانة أو مقبرة، والصخرة والمكان الذي يعنينا في البحث في المنطقة سواء في قمتها، أو في الصخور الجانبية المتفرعة

منها يزينه ما يزيد على ١٥٠ كهفاً أو مغارة. والبعض منها محاريب طبيعية. ولكن معظمها كهوف منقورة، تكفي لدخول تابوت من خلالها، إلى غرفة للدفن في أسفلها. ولكن الكثير من تلك المقابر لم يكمل بعد. وهناك من المقابر ما توجد فوقه غرفة، تشبه كنيسة صغيرة في نهايتها شق ينزل إلى المدفن

هذه الحقائق وُضعت أمام "محمد" المكتشف الرئيسي للوثائق في سبتمبر عام ١٩٧٥ ليحدد مكان الاكتشاف بدقة، ولو أنه كان يؤكد أن الاكتشاف لم يتم في مقبرة أو مغارة، بل كان تحت الركام في أسفل الجبل، ولما سُئل عن حجم المكان قال أن الواحد يستطيع أن يقف فيه براحته، دون أن ترتطم رأسه بأعلى الصخور، ولكنه لم يذكر أن المكان له جدران من هنا، وهناك. وهذا الوصف ينطبق فقط على مقبرتي عُذو وتحوتي من الأسرة السادسة.

أمام هذه الصورة المتضاربة، طلب الدكتور/ روبنصون من "محمد علي" أن يصطحبهم معه بنفسه، ليحدد المكان، وبعد إغرائه بالمال، وافق، على شريطة أن يتنكر في زي روبنصون ويرافق البعثة في سيارة جيب حكومية، تابعة لمصنع السكر، ومعروفة في تلك المنطقة بأنها سيارة مدير الشركة، وأن يجلس المدير نفسه في الكرسي الأمامي وأن يجلس روبنصون إلى جواره من ناحية حمره دوم. وأن يكون الرحيل، قرب موعد الإفطار- فقد كان الوقت شهر رمضان- حينما يكون الناس في تعب وإرهاق كلٌ في داره. ومع أن تلك الرحلة لم تسفر عن شئ، حيث أن الحكومة قد سدّت مداخل مقبرتين أثريتين بجدران من الأسمنت المسلح بالحديد، لتكرار سرقة الآثار منهما فغيرت إلى حدٍ ما، معالم المنطقة، عما كانت عليه منذ ثلاثين عاماً، إلا أنه في رحلة تالية استطاع أن يصل إلى مكان يُرجَّح أن الكشف وُجد فيه في أسفل صخرة كبيرة دائرية تهدم أغلبها حيث راح ينبش الأتربة بيديه محدداً الموقع...

وقد قال "محمد علي" أنه كان جوار الجرة جثة ميت بأصابع طويلة مسجاة على ما يشبه الرماد الأسود وأنه قام هو وأخوه أبو المجد بدفنها، بعد أخذ الجرّة ولكنه أنكر أنه كانت- حسبما سارت الإشاعات- سجادة وعصا. ومهما كان الأمر فلا

يُعدم وجود آثار لقطع من جلد متناثر، أو كسر من خزف. على أن الحفر لم يثبت وجود شئ، كما أن العمال وقفوا عند حد ورفضوا الاستمرار في العمل خوفاً من أن تنهار الصخرة العليا عليهم، وتدفنهم أحياء.

أما قصة الجثة، فربما هي مِن خيال مَن رواها. حيث أن المكان لا يصلح على الإطلاق أن يكون مدفناً لأن المياه، قبل السد العالي، كانت ترتفع لتصل إلى أسفل الجبل.

أما عدم وجود أي دليل يشير إلى المكان فربما مرجعه إلى أنه حينما عُرفت قيمة الاكتشافات هناك، قام أكثر من واحد، بنبش المكان، طيلة هذه الثلاثين عاماً، طمعاً في العثور على شئ ذي قيمة ..

وعلى ذلك من المرجح بالفعل أن يكون هذا المكان هو الموضع الحقيقي. فالركام المتكدس يمكن أن يكون مكاناً معقولاً لدفن الجرة، وهو كهف صغير، تنتثر حوله العظام، وقطع الفخار ويقع على بعد عشرين متراً من الصخرة الضخمة المستديرة القابعة في أعلى، إلى الجنوب الشرقي منها. وعلى بعد ثمانمائة متر إلى الشمال من الأكفان في كهف آخر، أثبتت تجربة كربون (١٤) أنها ترجع إلى القرن الخامس للميلاد وعلى ذلك يمكن أن يقال أن هذا المنحدر كان مستخدماً كمدفنة في تلك العصور. كما أن أقرب كهف للصخرة هو مقبرة، قبطية، منحوتة في الصخر، ولو أنها لم تكمل بعد، سطرت على أحد جدرانها بالطلاء الأحمر، مخطوطات باللغة القبطية، من افتتاحيات بعض المزامير وكانت الأرض مغطاة بالركام. وفوق الكتابة المذكورة في فقرة في الجدار اكتشفت كمية من قطع النقد البيزنطية تاريخها يرجع إلى عهد انسطاسيوس الأول (٤٩١–٥١٨م) وبعضها إلى هيراكليون أو هيرقل (٦١٠–٦٤١م).

وهذا يثبت أن المنحدر الصخري، كان مكاناً معروفاً اعتاد " القديسون " زيارته حتى هذه الحقبة من التاريخ القبطي، منذ عهود ما قبل المسيحية، حيث اكتشفت في مقبرتي عدو، وتحوتي بالطلاء الأحمر، من عهد عبادة سيرابيس اليونانية

وهذه هي القصة التي يرويها "محمد علي" عن الاكتشاف. فقد قام هو، واثنان من اخوته، خليفة، وأبو المجد، وهم أبناء علي الذي أشرنا في بداية الفصل إلى قصة اغتياله، وأم أحمد والدتهم- قام الثلاثة بالذهاب إلى منطقة جبل الطارف لاستجلاب السباخ من هناك مع أربعة من الجمّالة. وفي أثناء تحميل الجمال- عثر أبو المجد على الجرة وسط السباخ. وكان لون الجرة أحمر، على خلاف الجرار العادية التي تميل إلى الاصفرار ولها أربع آذان صغيرة عند حافتها. أما ارتفاعها فيبلغ ستين سنتيمتراً وقد غطيت بغطاء فخاري يسدها تماماً. وقد أخذ خليفة، الذي كان يعمل بواباً لدى "صليب عبد المسيح"، الغطاء الفخاري، وأهداه إلى سيده. وحافة الغطاء، آثار القار الذي سُدت به الجرة، والذي يرجع إليه الفضل في بقاء بعض المخطوطات سليمة حتى يومنا هذا، فما حدث من عطب بالنسبة للبعض الآخر ربما يرجع إلى عدم تخزينها بسرعة، أو إلى عدم تداولها بحرص عند اكتشافها.

ولقد حاول محمد علي في البداية فتح الجرة، ولما لم يفلح هوى عليها بفأسه فتحطمت فشاهد تراباً أصفر، يتصاعد منها ويختفي على حد روايته. ولعل ذلك الغبار من بعض الأوراق التي تحللت بفعل الزمن، لأنه حينما فتح إحدى المحافظ الجلدية التي تضم المخطوطات، ما لبثت بعض أوراقها أن تحطمت إلى عشرات القطع، تطاير بعضها في الهواء ولم يبق منها إلا القليل.

ولقد قرر محمد علي، أن يقسم المخطوطات بين السبعة الجُمالة- اثنا عشر مجلداً فقط وُجدت. أما المجلد الثالث عشر، أو الكتاب الثالث عشر، فلا يزيد عن ثمانية أوراق، انتزعت من وسطه ووضعت في الجلدة الأمامية، للمجلد السادس. ولابد وأن بقايا المجلد الثالث عشر، هي التي تناثرت حينما قام المكتشف بفتح المجلد هناك ساعة اكتشافه

وحيث أن عدد المجلدات يكفي ليقدم لكل واحد اثنين منها لذلك فقد أعطي جمال مجلداً سليماً، وقام بتمزيق أوراق المجلدات الباقية، تاركاً محافظها الجلدية هناك ووزعها بالتساوي عليهم.أما الجمّالة فقد خافوا، من أنها قد تحوي أسحاراً، فرفضوا

أخذها. وعندها فرد محمد علي شاله، وجمعها كلها في صرة واحدة علـــى كتفـــه، وعاد إلى منزله بالقصر، حيث ألقى بها بجوار الفرن وسط كومة من القش تستخدم كوقود. ولقد قامت والدته "أم أحمد" بواجبها فأحرقت الكثير من أوراق البردي مـــع الأغلفة، في صناعة الخبز...

وهكذا فُقدت أغلفة المجلد الثاني عشر، ومعظم أوراقه أيضـــاً، وربمـــا معظـــم محتويات المجلد العاشر كذلك، وضياع هذه لا يمكن أن نرجع بـــه إلـــى عوامـــل طبيعية مثل التآكل أو العفن، أو الحشرات. ولكن من المرجح أنه حدث بعـــد ذلـــك الكشف.

وتنطبق نفس الحقيقة على الأوراق الضائعة (ورقة من المجلد الثاني، وتسعة من الثالث، وثلاثة من الثامن، واثنان من التاسع).

ومع أن قد حدث ضياع لبعض الصفحات، عند نقلها، وبيعها- كما يبدو ذلك من المجلد الثالث، إلا أن معظم الضياع قد حدث أثناء الكشف عام ١٩٤٥ وفي حـــوزة المكتشفين الأولين- وهذا يفسر لنا أنه لا رجاء، للبحث عـــن الأوراق أو الأجـــزاء المفقودة من مكتبة نجع حمادي.

الفصل الرابع

بين أيدي الوسطاء

ولقد تحقق تقدير محمد علي بأنه لم يحصل على شيء له قيمته حينما حاول بكل وسيلة بيع "مجلدات" لأهل بلدته، ببضعة سجائر أو بضعة قروش، دون جدوى ثم قام بعرضها على قبطي يدعي زخاري حنان، فرفض شرائها على أساس كونها مكتوبة بالقبطية قائلاً أنها كتب كنسية وكان كل ما يطلبه في المجلد جنيهاً واحداً، على أساس أن البقية تباع، إذا بيع واحد منها ولكن ليس من يشتري. ونزل بالثمن إلى خمسة وعشرون قرشاً. وأودع مخدومه "إلياس بلامون" ثلاثة منها، بقيت عنده يومين. دون أن يشتريها، أما "صهيون قديس" فقد قال أنه إنجيل قبطي، والكنائس زاخرة به. أما القمص "متي سرجيوس" من القصر، وهو كاهن متقدم في السن فقد عرض ثلاثة جنيهات للمجلدات كلها. وفي أزمة مقتل "أحمد إسماعيل"، قام محمد علي بإيداع أكثر من مجلد لدى القمص "باسليوس عبد المسيح" وهذا ألقي بها في درج مكتبه وزوجة الأخير هي ابنة "أندراوس القس عبد السيد" ... ويأتي دور "راغب أندراوس"، وهو مدرس تاريخ، ولغة إنجليزية، في أكثر من مدرسة من المدارس القبطية الكائنة في المنطقة، وراغب شقيق زوجة القمص باسليوس. وفي زيارة لأخته، يطّلع على المخطوط، فيدرك قيمته. ويستأذن القمص في أخذه، وحينما يأتي به إلى دار والده أندراوس، يأمره بأن يغادر المكان في الحال، حيث أن الشرطة في مجال التحقيق في اغتيال أحمد إسماعيل، وقد كان من شهود الواقعة.

ويتصل راغب بأم محمد طالباً منها ما لديها من مجلدات. ويأتي ابنها الأصغر بمجلد ثان لراغب. يدفع فيه خمسين قرشاً. ولكن الصبي يرفض المنحة، فيعطيه راغب "بالطو" قديم ولا يبخل عليه أيضاً ببضعة قروش، يشتري بها جلباباً جديداً. ولكن راغب يقطن الدور الأرضي. ويخشى أن تتلف الفئران المجلدين، فيودعهما في الدور العلوي عند المشرفة على منزل بهية جرجس.

ومن الجانب الآخر، يتصل زكي بسطا، وهو جامع عاديات من قنا، بتاجر الآثار القبرصي في القاهرة، "فوكيون تانو" الذي يخبره بأنه قد اشتري من اثنين من الفلاحين من قرية "القصر" يعملان في الجيزة، مجلدين أثريين. وحيث أنه لا يعرف اسميهما يبقي الأمر مجهولاً. وهناك أحد الكهنة ويعرف باسم" أبونا داود" يتحدث عن نجار باع مجلداً ثالثاً في القاهرة وأتاح ثمنه له الفرصة ليحيا هناك. أما محمد علي فيقول أنه باع مجلدين آخرين لفكري جبرائيل ميخائيل، وهو صاحب دكان بقالة بقرية القصر، مقابل شاي وسكر. وشقيق فكري ويدعي عزيز، يؤكد أن لديه مجلداً آخر. أما فكري فقد تحسنت أحواله- بعد أن كان يمتلك دكاناً صغيراً بالقرية- وبعد سنوات قلائل رحل إلى القاهرة، وأصبح يمتلك "مخازن نجع حمادي للمواد الغذائية" بشارع القبيصي، وقصة هذا النجاح، تعود، كما يؤكد راغب إلى بيع المجلدات. وحينما ذهب روبنصون للاستفسار منه عن حقيقة هذا الأمر، أنكر إنكاراً قاطعاً. مؤكداً أنه عُرض عليه شراء المجلدات ولكنه لم يشتر منها شيئاً .. ويبدو أن الإنكار كان بسبب خوفه من المسئولية القانونية والاتهام ببيع عاديات مسروقة.

نعود إلى زكي بسطا، جامع الآثار من الصعيد، فنقول أنه كان أحد مُلاّك سينما فريال بقنا. ولكنه كان يحتفظ بدكان صغير في منزله، يجمع فيه الآثار من كل قرية من قرى الصعيد. أما وسيطه في القصر فقد كان "بهيج علي" الذي حصل من أم أحمد، بعد الاكتشاف بوقت قصير، على بعض المجلدات. وأرسل بهيج إلى زكي مجلدين، اشتري زكي أحدهما متفقاً معه، على أنه في حالة البيع يتقاسمان المكسب، أو الخسارة، واصطحبه، مع ثالث صاحب دكان صائغ ويدعي أيوب، إلى القاهرة، إلى تاجر العاديات "منصور عبد السيد منصور" بشارع إبراهيم باشا. وفي حضور الثلاثة، ويتصل منصور تليفونياً بوسيط أجنبيين يحضر على الفور، ويطلب شراء ليس فقط المجلدين، بل كافة المجموعة على أساس ٣٥٠ جنيهاً للمجلد. ولما عجز أولئك عن إحضار ما تبقى، لم تتم الصفقة.

ويتصل منصور بتاجر العاديات "تانو" الذي، يحضر، ويدفع أربعمائة جنيهاً ثمناً للمجلدين، يتقاسمهما زكي وبُهيج سوياً.

وعند عودته من القاهرة، يتجه إلى شراء كل ما تبقى لدى أم أحمد، وهي أربعة مجلدات، علاوة على محتويات المجلد الخامس الذي فك محمد علي أوراقه لتوزيعه على الجمالة، ويذكر بهيج أنه دفع لأم أحمد ما يقرب من ١٨ جنيهاً بينما يؤكد

محمد علي، أن كل ما دفعه ١٢ جنيهاً وأربعين برتقالة! وهكذا عاد بهيج بعد ذلك بمفرده إلى القاهرة فقد عرف الطريق، وباع كافة المجلدات لتانو على أساس ٢٠٠ جنيهاً للمجلد الواحد.

وإذ اتضحت الآن قيمة المجلدات، يذهب ثلاثة من الأخوة مسلحين، إلى راغب وقد حملوا أسلحتهم، يهددونه بالموت هو وبناته الثلاث إذا لم يعد إليهم المجلدين اللذين أخذهما دون شئ، ولقد أعاد إليهما المجلد الثاني الذي أخذه من الأخ الأصغر فقط. ذلك لأن المجلد الأول قد أرسله مع زميل له يُدعى "يني بقطر" إلى القاهرة، ليفحص محتوياته. ولما عاد يني إلى دشنا، بدون المجلد، أرسله راغب ثانيةً إلى مصر ليحضره ...، وفي الوقت الذي عمل عمدة قرية القصر، على تهدئة خواطر الشقيقين وألا يلجئا إلى العنف..

ولقد قال راغب أن يني بعد أن أخذ المجلد وعرضه على البطريرك، وعلى يسّى عبد المسيح حافظ المتحف القبطي، أعاده إلى راغب عن طريق البريد، حيث اكتشف فيه ضياع خمسة أو ستة من الأوراق، وقد ظلت هذه ناقصة من المجلد الثالث، كما أن راغب قال أيضاً أن بهية اكتشفت ورقة أو ورقتين أثناء تنظيف الشقة، ألقت بهما في سلة المهملات ...

ويُقال أن بهيج علي، قد اشترى كافة ما تبقي من مجلدات لدى أم أحمد، وقام ببيعها في القاهرة إلى التاجر القبرصي" تانو".

ثم يأتي دور وسيط آخر هو ناشد بسادة تاجر قمح بنجع حمادي أن ناشد قد اشترى من أم أحمد مجلداً، به بضعة أوراق ممزقة لا تزيد عن سبعة أوراق وقال ابن ناشد أن الأوراق كانت سمراء، وهشة بهذه الصورة حتى أن الواحد لو لمسها بأصابعه، تتهرأ، وتتساقط، وقد قال أن والده، دفع فيها مائتي جنيه، وأنه أودعها عند صائغ في نجع حمادي يُدعى اسكاروس، وطلب منه أن يبيعها في القاهرة، ويرد إليه ما دفع، ثم يتقاسم معه المكسب، ولقد سافر اسكاروس للقاهرة، وباع المجلد كما قال- بمبلغ ٣٥٠ جنيهاً، وتقاسم مبلغ الـ(١٥٠ جنيهاً) مع ناشد

أما مسعود فقد مات في وباء الكوليرا عام (١٩٤٧م) ثم يذكر ابن مسعود، في تهكم، كيف أن والدته عرضت عليه مجموعة عشرة مجلدات لشرائها بثمن لا يزيد

عن ثلاثة جنيهات. ولكنه رفض شرائها حيث أن أحد الكهنة، كان موجوداً بالدكان، وقال له أن منظر الجلد الذي جُلدت به، لا يشير إلى أنها أثرية.

ثم يتحدث عن مجلد آخر خبأه والده في أرضية الغرفة لعدة شهور. ثم قام بعد ذلك بزيارة للقاهرة مع ابنه نبيه لبيع المجلد فذهبا إلى صائغ صديق يدعي جورجي اندراوس، الذي أرسل في استدعاء تاجر آثار يدعي توفيق. وقد اشترى توفيق المجلد بمبلغ ٣٠٠ جنيها. وقال أنه سمع أن المجلد قد بيع بمبلغ خمسة آلاف جنيه. هذا هو المجلد الأول الذي يضم أربعين ورقة ...

وتدور دورة المجلد، حتى يصل إلى أيدي "أ /قنواتي" وهو تاجر له دكان بالإسكندرية اسماه "خان الخليلي" ولصاحب الدكان هذا شقيق هو الأب جورج قنواتي مدير معهد الدومنكان للدراسات الشرقية بالقاهرة، وقد قام الأب قنواتي بتصوير بعض صفحات المجلد (٧، ٨ ،٤٣، ٤٤) وأرسلها إلى الأب كوربير رئيس قسم الدراسات القبطية في مدرسة الكتاب في أورشليم ليبدي رأيه فيها وبعد مشاورات مع عالم آخر يدعي "ج بولوتسكي" كتب هذا التقرير في يناير (١٩٤٧م).

"أن اللغة المستخدمة ليست اللغة الأخميمية النقية أو ما تحت الأخميمية أي لغة كتابة المانتشيين ولكنها وسَط بين هذه وتلك أنها لغة لا نعرف عنها كثيراً حتى أن المخطوط الحالي، يمكن أن يكافئ متاعب دراسته. ومحتويات الصفحتين (٧، ٨) تدور حول محادثة بين الرب وتلاميذه، وعلى الأخص يعقوب أما قواعد اللغة، والمبني فهي تنتسب إلى الأدب الذي منه (الإيمان الحكمي) Pistis Sophia ، ومحادثات يسوع بعد القيامة، هي أصدق الأمثلة على ذلك. ومن جهة الفكر اللاهوتي، فإننا نجد أن أنفسنا على الحدود ما بين الثيولوجية القويمة، وبين الغنوسية، وفي حالة هذا المخطوط لست أجد ما يدعو إلى الاعتقاد بأن بين أيدينا عمل غنوسي. فالرب يتحدث إلى تلاميذه ولكن ليست في أمثلة. واللوجوس يُشبَّه بحبة حنطة ونحن هنا نتجه إلى التقريب approximation

وهكذا يكون المجلد الأول هو أول مجلد خضع للفحص العلمي والتحليلي في مدى عام واحد من اكتشافه وفي لقاء مع تانو في أواخر (١٩٧١م)، أقرَّ بأنه اشترى على دفعات هذه المجلدات، من أكثر من واحد. وهذا بالمقارنة إلى شهادات أولئك الذين باعوا إليه ما معهم، يتضح أنه اشترى مجلدين من فكري جبرائيل، واثنين من

زكي بسطا، وبهيج علي (المجلد الثاني والسابع) ثم اثنين (المجلد العاشر، والثاني عشر) من بهيج بمفرده. ثم أجزاء من المجلد الأول ربما من ناشد بساده. وهكذا يكون كل ما حاز عليه ثمانية مجلدات (الثاني، والرابع والتاسع والحادي عشر) ثم من أجزاء من (الأول، والعاشر، والثاني عشر، والثالث عشر). فإذا افترضنا أنه باع كل مجلد على أساس مائتي جنيه للواحد، فإن مجموع ما دفعه لا يصل إلى ألفي جنيه. وقد وصلت إليه عطاءات من سويسرا، وألمانيا وصلت إلى مائة ألف جنيه. ولكنه يذكر بمرارة، أنه حينما وضعت الحكومة يدها على المجلدات كأثر قومي، لم ينل إلا خمسة آلاف جنيه.

أما المجلد رقم (٣) فلم يكن ضمن هذه، بل كانت له قصة طويلة في رحلته إلى القاهرة. ويروي لنا القصة راغب اندراوس، بطريقته المطولة الطريفة يقول:

أن الأمر يبدأ حينما سمع أسقف قنا " المطران الأنبا كيرلس " بأنني أمتلك مجلداً أثرياً. وحينما كان في زيارة لدشنا انتحى بي جانباً، وأصر على أن يأخذ المجلد، إلى القاهرة ليعلم مدى قيمته. وقبيل سفره كنت في وداعه على المحطة، وقد أحضرت معي المجلد، في علبة من الصفيح حتى لا يكتشف أمره، وباقة من الورد. وقد ألتقي بي مدرس زميل يُدعى أحمد عبد الكريم، الذي أصر على البقاء معي لتوديع المطران وسلمت المطران المجلد، وباقة الورد، ومع ذلك، بدا عليه الغضب، لأنه ظن أنني أحضرت معي زميلي، ليكون شاهداً عليه. وبعد شهر أو أكثر عاد الأسقف كيرلس إلى قنا، فذهبت إليه مصطحباً ناظر مدرسة دشنا القبطية شاكر مكسي، وكان الغضب يبدو على الأسقف، وهو يسألني: لماذا جئت؟. فقلت لأسأل على سلامة وصول أبينا.

وبعد محادثة قصيرة انتحى بي جانباً ووبخني لأنني أحضرت شاهداً معي على القطار. وقد بذلت قصارى جهدي لأفسر له كل شئ، فلم يقبل. ثم طلب مني أن أكتب إيصالاً علي باستعادة المجلد. فرفضت بشدة، خوفاً من أن يكون قد وشى بي أحد، وأنه أراد بهذا أن يقدمني للمحاكمة. وقلت له يا أبانا، هل أعطيتك المجلد بإيصال، حتى تريد أن تسلمه لي بإيصال؟ فهددني بطردي من المدرسة. فقلت له أفعل ما شئت ولكني لن أمضي على نفسي إيصالاً بهذا الشكل، ولقد صدره خادم الأسقف للتوسط بيني وبينه لكنه نال صفعة على وجهه".

ويستمر راغب قائلاً:

"وسالت دموعي على وجنتيّ، وقمت من مكاني لأغادر المكان. وبعد أن سرت نحو الباب، أسرع ورائي اثنان من الخدم، وطلبا مني العودة. وفتح أبونا حقيبتـه، وأخرج المجلد، وهو يعد أوراقه قلت له لا داعي لأنني لم أُعِدّ الأوراق عليك، فقال لي خذ كتابك وأمض. فقلت له لن أمضي بدون بركاتك، فصلى، واضعاً يده علـى رأسي، ورشمني برسم الصليب، ثم نصحني لأن آخذ المجلـد وأهديـه للمتحـف القبطي..."

"وفي الإجازة الصيفية، ذهبت مع قريب لي، هو القمص اسـحق حنّـان، إلـى القاهرة، ونزلنا ضيوفاً على أحد أعمامي بمصر الجديدة، ويُدعى درياس القس عبد السيد، وهناك قمنا بزيارة باشا قبطي ثري، كان طريح الفراش، وبقينا في الردهـة ساعتين، وهو يرفض مقابلتنا، حتى أرسل إليه أبونا قائلاً: أنـه يريـد أن يصـلي لأجله، ويباركه. ولما رأى المجلد في يدي، وضع ناضـوره علـى عينيـه، وراح يفحص صفحات منه، ثم قال بأنني سوف أصبح ثرياً جداً، وربما أصبح باشا! ولقد سررت جداً من قوله. ثم قال لنا، لو رجعتم لي بعد يـومين، فسأصـطحبكم إلـى أمريكي مهتم بالآثار، يدفع لكم أي ثمن تطلبونه، ولكننا في لهفة، فلم ننتظـر بـل أسرعنا في اليوم التالي إلى عيادة طبيب مهتم بالدراسات القبطية، يُدعي الـدكتور/ جورجي صبحي بك. وحينما أبصر الطبيب المجلد، وفتح، صاح من شدة الفـرح، وقام يقفز من مكانه، ويقول "سوف تصبح يا راغب من كبار الأثرياء ثم طلب منا العودة في اليوم التالي في السادسة مساءً. ومع أننا كنا نخشى ضياع المجلد، إلا أننا رأينا التليفون أمامه وفي إمكانه أن يبلغ رجال الأمن عنا، فآثرنا قبول عرضه.

وذهبنا إليه في الموعد المحدد، فدهشنا أن نجد بالباب بضعة سيارات ليمـوزين الفاخرة، ومعها سائقوها بالثياب الرسمية. وفي الداخل، وجدنا في الانتظار "اتـين درايتون"، مدير قسم الآثار، و"توجو مينا"، مدير المتحف القبطي، مع آخرين مـن الموظفين بالمتحف، وسألني درايتون عن مصدر المجلد. فقلت له أنني أرثه عـن أجدادي منذ مئات السنين. فضحك "درايتون"، وقال: يبدو أن أجدادك أولئـك مـن بلجيكا، حيث أنني رأيت في أحد حوانيت الآثار في خان الخليلي، ويملكه بلجيكي، مجلداً مماثلاً له. (وهذا يشير إلى أن المجلد الأول كان قد وصل بالفعل إلى ألبرت عيد) وهددني درايتون بالسجن، محاولاً أن يستولي على المجلد مقابـل لا شـئ.

ولكنني تمسكت بحقي، وأخيراً قلت له الحقيقة فوبخني غاضباً لأنني لم أشتر كل المجموعة، ثم سألني إن كنت أعرف المكان الذي اكتشفت فيه هذه المجلدات. فقلت له لا أعرفه. ولكنني اعتقد أن الأمر يحتاج للجيش المصري كله، للقيام بحفر كل مكان في الجبل!!

وحُدد ميعاد لراغب، مع بعض المسئولين في المتحف القبطي، لشراء المجلد. وقد طلب دكتور/ صبحي منه أن يكون هناك، ولكن راغب كان غاضباً من صبحي، لأنه وضعه أمام الأمر الواقع. وأخيراً لم يجد بداً من الذهاب إلى المتحف. وقد قيل له أن الثمن الذي حُدد ثلثمائة جنيهاً، وإذا آثر الانتظار بضعة شهور، يمكن أن يزاد الثمن إلى ستمائة. ولكنه قبل المبلغ الأول ولما عاد إلى (توجو مينا) لاستلام الثمن أخبره أن المبلغ لن يصرف من خزانة المتحف. وأن عليه أن يقدم طلباً إلى وزارة الثقافة. وقضي الرجل الصيف كله، متنقلاً من مكتب إلى مكتب معطياً هدايا لكل من يظن أنه يستطيع أن يعاونه، حتى تبخرت كل أحلامه في قضاء إجازة سعيدة في الإسكندرية.

وأصبح لزامًا عليه أن يعود إلى دشنا. لأن موسم الدراسة قد بدأ.

وأخيراً أخبره توجو مينا مدير المتحف أنه يستطيع أن يسرع بصرف المبلغ إذا تبرع للمتحف بمبلغ "خمسين جنيهاً" فيكتب اسمه على لوحة من المرمر في مدخل المتحف، ويأخذ في الحال ما تبقى وطمعًا في أن يصبح "شهيراً" على حد قوله قبل العرض. ولكنه حينما عاد في ديسمبر (١٩٧٦م) ولم يجد اسمه قد سجل أصابته خيبة أمل كبرى. ولكنه وجد أن اسمه قد سجل في مضبطة الواردات للمتحف على هذا النحو.

* (٤٨٥١-بردية) مخطوطة قبطية باللغة الصعيدي من القرن الرابع مجلدة. معظم محتوياتها تالفة وناقصة. مجموع الصفحات ٧٠- البعض منها لا يزيد عن كسر صغيرة للغاية. الثمن "٢٠٥ جنيهاً" اشتريت من راغب أفندي اندراوس القس عبد السيد. سلمت في ٤ أكتوبر ١٩٤٦- أرشيف ١٣/٥.

وقد تحدث راغب أيضاً عن مصير المجلدات التي حصل عليها تانو. إذ حاول تانو تهريبها خارج البلاد بصحبة سيدة إيطالية تُدعى "ماريا دناري" قاصدة إهداءها على حد قولها للبابا الكاثوليكي بروما. ولكن السلطات منعتها من السفر، فلما قدمت

شكواها إلى وزير الثقافة وقد كان وقتها الدكتور طه حسين أخبرها أن هذه ضمن الآثار الوطنية، والتي أصبحت ملك الدولة، وأنها لا تستطيع الخروج بها خارج البلاد. ثم عرض عليها أن تتنازل عنها مقابل ثلثمائة جنيه للمجلد الواحد. ولكن ماريا رفضت، وحاولت أن تتصل براغب ليقوم الإثنان بمحاولة لتهريب المخطوطات أو رفع قضية على الحكومة. ولكن بعد أن استشار راغب محاميه الذي نصحه بأن مثل هذه الدعوة مرفوضة لم يشاء أن يقحم نفسه معي في قضية فاشلة، وانتهى الأمر إلى استيلاء الحكومة على المجلدات مع دفع تعويض مناسب لتانو. وهو مبلغ "الخمسة آلاف جنيه التي تحدث عنها".

وفي عام (١٩٤٦م) حينما قام راغب بزيارة المتحف شاهد توجو مينا مدير المتحف وهو يقوم بترميم صفحات المجلد بقطع من اللاصق الشفاف. وفي نهاية العام عرضه على فرانسوا دوماس، وهنرى كوربن حيث اتفق معه على حفظ الأوراق بين رقائق زجاجية قبل عودة دوماس في الخريف التالي لنشر الوثائق وإذا رأى عنوان أبو كريفون يوحنا" في الصفحة الأولى. خمَّن دوماس أنه لابد وأن يكون أحد كتب الغنوسية.

وفي باريس وفي صيف العام التالي أخبر دوماس العالم أنطوان جوميه واتفق الاثنان على مقارنة النسخة. بمثيلها في متحف برلين (رقم ٨٥٠٢). وفي ٢٠ سبتمبر (١٩٤٧م) غادر داريتون مارسيليا إلى القاهرة مصطحبًا تلميذته ماريان دوريس وزوجها جان. وفي القاهرة كان توجو مينا وهو زميل ماريان في الدراسة، قد أعد العدة لنشر المجلد. حالما يصل دوماس في نوفمبر. وفي ١٠ يناير (١٩٤٨م) أعلنت كل هذه المشروعات بالنسبة (لمجلد٣) في صحافة القاهرة الأمر الذي أصاب جورجى صبحى بخيبة أمل. حيث كان يطمع في نشر المجلد باسمه وهكذا أصبح الاكتشاف بين يدي العلماء. ثم كان موت العالم توجو مينا في أكتوبر ١٩٤٩ م مدير المتحف القبطي ولولا قصة راغب اندراوس ومجهوداته وآخرون من سكان قرية القصر أو قصر الصياد، لما قدّر لهذا الفصل الممتع أن يظهر للوجود ولما عُرف كيف وصلت مجلدات نجع حمادي إلى أيدي العلماء، وإلى هيئة اليونسكو وإلى العالم أجمع في صورها وترجماتها واليوم عادت جميع مكتبة نجع حمادي من أكثر من مكان لتحتل مكانها في المتحف القبطي بمصر القديمة ووضعت لها أرقامها ... وفي عام (١٩٦٠م) أبرم مدير يونسكو "رنيه ماهيو" من

فرنسا عقدًا مع الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة بمصر لنشر طبعة كاملة للمكتبة تحت إشراف هيئة مشتركة من علماء مصر ويونسكو ولكن لما اكتشف أن أفضل النصوص في أكثر من مكان قد أعد للطبع أكتفت الهيئة بنشر طبعة مصورة للوثائق بدأت تظهر في عام (١٩٧٢م) في الوقت الذي ظهرت فيه طبعات كاملة للمكتبة في الإنجليزية، الألمانية، والفرنسية وأما الطبعة الأمريكية بإشراف الدكتور جيمس روبنصون فقد صدرت عام (١٩٧٧م) في مجلد واحد عن الطبعة الإنجليزية "المكتبة القبطية الغنوسية"

الفصل الخامس

لمحات عن تاريخ الغنوسية

في هذا الفصل .. سوف نحاول في شيء من التوسيع، أن نستمر فيما بدأناه في الفصل الثاني بعد أن عرفنا قصة اكتشاف هذه المكتبة وكيف وصلت أجزاؤها إلى أيدي العلماء وكما أشرنا نقول أن مكتبة نجع حمادي وهى مجموعة من النصوص الدينية يختلف الواحد عن الآخر فيها في طريقته وأسلوبه ومتى وأين وبقلم من كتب ذلك النص وهذا الاختلاف يصل إلى حد الاعتقاد بأن هذا ليس نتاج جماعة واحدة أو هيئة واحدة ومع ذلك فهذه النصوص المتباينة لابد وأنها تشترك في شيء واحد مما دعا جامعها إلى أن يضمها معاً ولابد وأن من قاموا بجمعها قد وجدوا خيط يربط بينهما جميعها هو أن هناك معنيين، المعنى الواضح الذي يقصده الكاتب والمعنى الخفي الذي لا يقصده تماماً وأننا لنجد في مستهل إنجيل توما وسوف نعرض له في فصل مستقل أنه يبدأ بكلمة يوجهها للحكماء "أن من يصل إلى تفسير هذه الأقوال لن يختبر الموت وهكذا نستطيع أن نقول أننا نستطيع أن نقرأ تلك الكتابات على مستويين ما قصد الكاتب أن يقدمه لنا وما أمكن الوصول إليه بعد ذلك من تأويلات أو تفسيرات قد لا يكون الكاتب يقصدها تماماً.

أما المحور الذي جذب هذه المجموعة معاً فهو الشعور بالتغرب والعزلة عن كتلته الإنسانية والشوق إلى نظام مثالي يمكن أن يسمو فوق مستوى الحياة كما نعرفه وكما اعتدنا ومناهج للعيشة يختلف جذرياً عن الممارسة العادية أما هذا المنهج فقد كان يتضمن الكف عن كل المقتنيات التي يرغبها الناس ويتقاتلون عليها والشوق للتحرر المطلق من قيود المادة. ولم يكن المقصود ثورة عارمة ضد المجتمع بقدر ما كان عزلة وانطواء عن المجتمع وعما يتضمنه من تلوثات تغشي البصيرة وتعيق عن الرؤية الناضجة السليمة.

إلى هنا لا نجد عيباً في هذا فهذا قاسم مشترك مع المسيحية البدائية ومع الديانات الشرقية ومع القديسين في كافة العصور. فالاستغنائية في عالم متكالب على الاقتناء وتجاذب صفوة من العقول الصافية المختارة في مجتمعات متماثلة. بعيدًا عن عالم يموج بالضوضاء والأحقاد والأنانية وعدم الإنطواء تحت أي نظام سياسي والمشاركة في معرفة واحدة نتيجة إلى هدف مثالي قد يكون غريباً عن الوسط المحيط- هذا في التعاريف الحديثة هو التحدي الحقيقي الذي يتغلغل في تلك النصوص المقدمة لنا والتي ندعوها بمكتبة نجع حمادي.

وفي واقع الأمر أن هذه الأسس ولو أنها تبدو أمام عيوننا ساحرة خلابة إلا أنها يمكن أن تكون مربكة ليس فقط بالنسبة للشخص غير المتفتح لما يقدمه أولئك بل حتى بالنسبة للذكي الذي يستطيع أن يدرك الأشعة الساطعة من خلال السطور. ذلك لأن مكتبة نجع حمادي أو الأدب الغنوسي بوجه عام قد تشكل في أنظارنا ومفاهيمنا بالطريقة التاريخية التي ظهر بها أخيراً للنور وعلينا أن نفك عنا القيود الأولى إذا أردنا أن ندرك حقاً هذه النقطة أن تقاليد العالم القديم الدينية والفلسفية والميثولوجية قدمت كلها لتعبر عما هو في الحقيقة، موقف ينأى عن المسيحية التقليدية إلا أن هذا الموقف كان أكثر جذرية من أن يتغلغل في الديانات المنظمة أو المدارس الفلسفية الكائنة في تلك العصور وهكذا ما كانت له المقدرة أن يستغل الهيئات الثقافية التربوية لينمو ويتطور ويحدد موقفه أو مطالبه.

لقد ترعرعت المدارس الفلسفية في قلب المسيحية كما في أحضان الأفلاطونية الحديثة إلى الوقت الذي اتفقت فيه الاثنتان على نبذ الحركة الجديدة كهرطقة وهكذا تحولت ميثولوجية تلك الجماعات ونصوصها الفلسفية إلى نفاية يستخدمها الكتاب الأقل، وهو ما وصل إلينا من أدب الغنوسية، ولو أن هناك نصوصاً ضمن مكتبة نجع حمادي يمكن أن تدخل ضمن الأدب الكلاسيكي.

ولقد ترجمت هذه النصوص وقد كانت في الأصل باللغة اليونانية إلى القبطية الواحدة بعد الأخرى وما كان المترجم دائماً يدري شيئاً عن عمق ما يقوم بترجمته.

هناك على سبيل المثال اقتباس من جمهورية أفلاطون ما كان المترجم يـدرى شيئاً عن فلسفة ما ينقله ولو أنه كان يشعر بأنه يترجم ما هـو جـدير بالترجمـة. ولحسن الحظ فإن جميع النصوص مترجمة جيداً ولو أنه حيث يوجد ازدواج فـإن الترجمة الركيكة تتضح بالقياس إلى الجيدة، وهناك أيضًا أخطاء تسللت على أيـدي النساخ الذين قاموا بنقل الأصل جيلاً بعد جيل عن نسخ قد تكون بها أخطاء أما عدد هذه الأخطاء غير المقصودة فلا نستطيع أن نصل إليه حيث أنه لا توجد نسخة جيدة للمقارنة ولسنا أيضاً نجد كما هو الحال في الكتاب المقدس، عددا من المخطوطات الأصلية لنفس النص يمكن أن تقارن أحدها على الآخر هناك أيضاً الفساد الذي حل بالكتب في تحللها. الأمر الذي بدأ قبل تخزينها في القرن الرابـع بوقـت طويـل واستمر بعد تخزينها وهى مدفونة، وظل يعمل بها أيضاً منذ اكتشافها عام ١٩٤٥م حتى ثلاثين عاماً بعد ذلك حينما حفظت نهائياً وأننا لنستطيع أن نستدل على بضعة حروف حينما تكون ناقصة، عن طريق سياق الجملة. أما إذا كانت هنـاك ثقـوب تشمل الصفحات كلها فلابد أن يترك مكانها فارغاً.

لا نقول إن الذين قاموا بجمع هذه المكتبة وتخزينها منذ ستة عشر قرناً. كـانوا من المسيحيين أو الكثير من المقالات المتضمنة في أسفارها كتبها كتاب مسيحيون. بل غنوسيون يختلفون عن المسيحيون رغم أن المسيحية البدائية كانت فـي ذاتهـا حركة راديكالية. حيث نادى يسوع بقلب كل القيم معلمنا نهاية العالم كمـا عرفنـاه واستبداله "بأتوبيا" جديدة في الحياة فيها يصبح المثالي واقعياً. كما أتخذ موقفاً يغاير كل المغايرة موقف السلطات التي كانت في عصره، مثبتًا ذلك في اختياره كمـا أن أتباعه قد أكدوا موقفه الراسخ فقد كان بالنسبة لهم تجسيماً للهدف الأسمى. ولكـن جانباً من الدائرة التي أحاطت به اتبع تلاميذه طريقًا للحيـاة أكثـر تقليديـة. وإذا بالدائرة تصبح مؤسسة ثابتة شيئاً فشيئاً متجهة إلى تنظيم ثابت باذلة جهدها لحفـظ النظام والاستمرار في رئاسة ثابتة في الكنيسة.

لذلك لا غرابة أن نجد أولئك الذين يتمسكون بالحلم الراديكالي من الغنوسيين ينظرون نظرة ازدراء بل يقفون موقف الوراء من الهيئة الأخيرة كمستوى مُفسد، لما ينبغي الوصول إليه وهذا يعتبر خيانة ويشكل تهديداً للتنظيم.

وإذ تغير الموقف الثقافي بمرور الوقت وتبدلت الظروف، تغيرت تبعًا لذلك لغة التعبير عن هذا الاستعلاء التجديدي الراديكالي (الأصولي). إن العالم الفكري الذي منه أتى يسوع وأتباعه الأولون كان خشوعية المجمع اليهودي، كما تتمركز في تعبيرات المعمدان الإعلانية في التحول من النظام القديم إلى العالم المثالي الجديد الذي هو على الأبواب وعلى هذا النمط الفكري فإن النظام الرديء السائد ليس هو الطريق الذي فيه هذه الأشياء كامنة. فهذا الوجود في المبدأ وليس في الاختبار حسن.

أما الشر الذي يتخلل حقب التاريخ فهو غريب بالكلية عن الوجود في ذاته ولكن بصورة متزايدة في التركيز على صورة الحياة المظلمة، نُسبت نشأة العالم إلى خطأ مرير وإذا بالشر يصور في صورة الحاكم على الوجود المسيطر عليه وليس المغتصب غير الشرعي لكرسي السلطان. وعلى ذلك، فالرجاء الأوحد هو في الهروب لأن البشرية أو على الأقل جانبًا منها هي في الأعماق ليست نتيجة هذا النظام المعكوس الخاطئ ولكنها في طبيعتها تنتسب إلى المطلق. أما نقطة الضعف فيها فهي أنها قد اجتذبت وخُدرت لتصبح قانعة وعلى هذا أصبحت التصوفية الباطنية هي الطريق الأوحد للوصول إلى الراحة، والاندماج في الكل الذي هو هدف الشرارة الإلهية الكائنة في الإنسان.

ولقد تبلورت الغنوسية المسيحية (أي التي اصطبغت بالمسيحية) كمحاولة للتأكيد ولو بتعبيرات جديدة، عن الكيان الأول الأسمى الذي كان محور المسيحية الأولى وهكذا أعتبر الغنوسيون أنفسهم استمراراً أمينًا تحت ظروف متغيرة لذلك الكيان الأصيل الذي جعل من المسيحيين. مسيحيين حقًا ولكن هذه الظروف المتغيرة استلزمت تعبيرات متغيرة وتضمنت أيضاً انحرافات فعلية. وهكذا اعتبر المسيحيون الآخرون. أن هذه الغنوسية انتقاصاً على الموقف المسيحي الأصيل حتى أنه بانتظام

المسيحية وتبلورها في هيئاتها اتسعت شقة الخلاف بصورة لا تطاق بين الثائرين الراديكالين المجددين وبين أولئك الذين يتمسكون بالمسيحية التقليدية القويمة.

وانتهى الأمر إلى فرز الغنوسية كهراطقة منحرفين وأننا لنجد اثنين من أولئك في العهد الجديد وقد أفرزتهم الكنيسة في بداية القرن الثانى (٢تيموثاوس ٢: ١٦،١٨) يقول الرسول بولس لتلميذه "أما الأقوال الباطلة الدنسة فأجتنبها لأنهم يتقدمون إلى أكثر فجور وكلمتهم ترعى كاملة. الذين منهم هينمايس وفيلتس اللذان زاغا عن الحق. قائلين أن القيامة قد صارت فيقلبان إيمان قوم".

وهذه النظرية أن القيامة المسيحية قد حدثت بالفعل كحقيقة روحية نجدها ضمن مكتبة نجع حمادي في مقالة عن القيامة "وتفسير عن النفس" و"إنجيل فيلبس" ولكن مكتبة نجع حمادي تثبت لنا من الجانب الآخر أن الاتهام كان متبادلاً بين هذه الهيئة أو الجماعات وبين المحافظين القويمين في الإيمان. وأننا لنجد أتباعها في "رؤيا بطرس" يتحدثون بلسان المسيح موجهين النقد القاسي لمعارضيهم قائلين "وسوف يسقطون في اسم خاطئ وفي يد الشرير وسوف تكون رئاستهم هرطوقية لأن البعض منهم سوف يجدفون على الحق مبشرين بتعليم شرير مُتقوّلين على بعضهم البعض بأقوال شريرة. وهناك آخرون من الذين هم خارج تعدادنا يلقبون أنفسهم أساقفة وأيضاً شمامسة وكأنهم قد أخذوا سلطانهم من الله هؤلاء هم جداول جافة...."

وبتحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية ذات الجانب التقليدي قلت فرص المسيحية الغنوسية كما تُصورها لنا مكتبة نجع حمادي- للبقاء وإننا لنجد أبيفانيوس أسقف قبرص الذي تصدى لكافة الهرطقات. يصف مجابهته للغنوسية في مصر في وقت يقرب من وقت جمع مكتبة نجع حمادي فيقول: ......

"لقد كانت لي فرصة التصدي لهذه الهيئة ووصلت إليَّ أخبار عاداتها من أفواه أتباعها رأسا وهناك نسوة تؤمن بتلك التفاهات، تحدثن لي عنها بل الأكثر من هذا لقد حاولن في وقاحتهن.إغرائي نظير المرأة الشريرة المصرية، التي كانت زوجة رئيس الطباخين. ولقد كنت شاباً وهذا جعلني أروق في أنظارهن ذلك لأن النسوة

اللاتي أخبرني عن هذه البدعة كن في الظاهر غاية في الجمال ولكن كـل قباحـة الشيطان كانت في عقولهن الدنيئة. ولكن الإله الرحيم أنقذني من تعاستهن وحينذاك قرأت كتابات أولئك وأدركت ما يرمون إليه ولم أنقاد لبدعة الضلال فأدبهم ما لمس مشاعري قط، وفي الحال شَكوت هذه الجماعة إلى الأساقفة المحليين واكتشفت من منهم يتخفى كأعضاء في الكنيسة وهكذا طُردوا مـن المدينـة- ثمـانون مـنهم- وطهرت المدينة من انتشارهم الشائك. ولقد أقتلعت الغنوسـية تمامـاً مـن جسـم المسيحية بعد ذلك، عدا بعض الحركات السرية وكذلك الاتجاهات التصـوفية فـي القرون الوسطى كما نجد أصداء هادئة لها في الرومانتيكية الإنجليزية كما يتضـح في هذه الأبيات.."

وما مولدنا إلا نومٌ ونسيان

فالنفس التي تطلع معنا، نجم حياتنا"،

"لها مغربها في أفق آخر"،

"كما أنها تأتى من بعيد..

ولقد استطاعت الغنوسية أيضاً بشكل أو بآخر أن تستمر وراء جبهـة مسـيحية الإمبراطورية الرومانية. ومثالاً لذلك نجدها في جماعات من الفلاحين يطلق عليهم لقب "المنديين" إشارة إلى أنهم من أصحاب المعرفة هذا الاتجاه إلى الباطن، والزهد من العالم والهروب منه الذي يتميز به الموقف الغنوسي قد ساد وتغلغل ليس فقـط في العصور المسيحية الأولى ليقدم لنا كيان الغنوسية المسيحية (أي كياناً غنوسـياً شبه مسيحي) بل أيضاً في سحيق القدم ليشكل هيئـات الغنوسـية خـارج دائـرة المسيحية وهناك أكثر من مناظرة بين مؤرخي الأديان حول ما إذا كانت الغنوسـية تفهم على أنها تطور مسيحي باطني أم أنها دائرة أوسع من ذلك بمعنى أنها مستقلة عن المسيحية وسابقة لها.

هذه المناظرة يبدو أنها سوف تجد تقريرها في مكتبة نجع حمادي فالدلائل كلها تشير إلى أنها دائرة أكثر اتساعاً مما تدل عليه مقاومة الآباء الأولين من أنها طائفة

مسيحية هرطوقية فالبعض من المقالات الغنوسية يبدو أنه لا يبني على التقليد المسيحي المتوارث بل على العهد القديم أو أسفار اليهود فهل معنى هذا أنه كان هناك غنوسية من اليهود؟

هذا المفهوم الذي أيده البعض ينفي نفسه بنفسه كتناقض حتى في التعبير .. فكيف يتحدث اليهود عن الله كقوة ذات قصد شرير سيئ (maleuolent) كان من نتاج عثرتها غير الرشيدة ظهور العالم إلى الوجود؟ أو إنه إله لا يدري شيئاً عن الإله الصالح الخفي ورائه؟ وما دام المسيحيون لا يختلفون عن اليهود في عقيدة الألوهية فإن هذا الاعتراض يمكن أن يوجه إلى فكرة وجود الغنوسية المسيحية حتى ولو اصطبغت كتابات البعض منهم بصبغة مسيحية ولكن حيث أن الآباء مقاومي الهرطقات في المسيحية الأولى قد أظهروا الغنوسية كهرطقة مسيحية فأنه قد تمركز هذا المفهوم وأرتبط بتلك الحركة ....

وهناك صورة أخرى؛ سيمون الساحر أو المجوسي، وهو من السحرة، وقد كان من الغنوسية الأولين ولو أن السامريين كانوا يتعبدون لله شأن اليهود والمسيحيين ولذلك فالمشابهة أو المقارنة نستطيع أن نقول أن المفهوم الغنوسي اليهودي معقول ولو أن استخدام ذلك اللقب وارتباطه بدائرة اليهودية أو المسيحية أو السامرية يبدو في تناقض ظاهري.

أما اكتشاف مخطوطات البحر الميت فقد جذب الانتباه للحقيقة أن يهودية القرن الأول كانت متعددة الجوانب في فكرها اللاهوتي وكانت تتضمن عدداً من الهيئات المتضاربة ولقد كان الأسينيون لا يعرف عنهم الكثير حتى اكتشف مخطوطات قمران وكذلك كان الغنوسية لا نعرف عنهم الكثير حتى اكتشاف مكتبه نجع حمادي أولئك أيضاً كانوا حركة لم يُعرف عنا إلا القليل حتى تقابلت بالجدية اللائقة بهم ونحن الآن نعرف بأن الأسينين كانوا طائفة يهودية قطعت عنها ربط يهودية هيكل أورشليم وانسحبت إلى برية وادي قمران ولقد عبَّروا عن موقفهم بتعبيرات مستعارة من صراع النور مع الظلمة والحق والباطل في ثنائية يمكن أن نرجع بها إلى الثنائية الفارسية– ثم اتجهوا إلى الغنوسية وآخر كتابات مخطوطات البحر الميت

يوافق في الزمن، وفي الاتساع واحداً من أقدم مخطوطات نجع حمادى: "رؤيا آدم" التي فيها يتحدث الكاتب بأن الغنوسية نقلت إلى شيث بواسطة آدم وهو على فراش الموت كالوصية الأخيرة التي يتقدم بها أب لابنه.

وهكذا فإن تاريخ الغنوسية كما تظهره لنا وثائق نجع حمادى يبدأ من حيث ينقطع تاريخ الأسينيين كما تشير إلى ذلك وثائق البحر الميت كما أن التقاليد اليهودية السرية التي تتبعها العالم "جرشوم شوليم" تُظهر لنا بأن الاتجاهات الغنوسية قد استمرت لتثبيت وجودها الخفي في قرائن اليهودية.

ولربما يكون هناك بصيص من الحق التاريخي إلى جانب وجهة نظر الآباء مقاومي الهرطقات في المسيحية، أن البعض من الهرطقات المسيحية يرجع إلى أصل يهودي أو إلى طوائف يهودية. والمسيحية في واقع الأمر تربت ونشأت في أحضان اليهودية كما أن المسيحية المبدئية نفسها، وأصبحت في بداية الأمر هيئة يهودية حتى أتسع نطاق انتشارها بين الأمم ثم فصلت عن اليهودية بعد خراب أورشليم ذلك لأن اليهودية قُيمت أولاً، في مدى التهديد الذي تعرض له الكيان اليهودي بسبب سقوط أورشليم وخرابها عام ٧٠ للميلاد وبسبب هذا أضيفت الصلوات والابتهالات في المجامع لعنة على المنحرفين المارقين، حتى تضمن عدم انتماء أية هيئة أخرى بعيدة عن الحق اليهودي إليها.

وهكذا يبدو من الواضح أن حركة مثل "الشيثيين" لابد وأنها كانت تطوراً لهيئة من اليهود الغنوسيين تبلورت عنها الغنوسية المسيحية.

وهناك نص من نصوص مكتبة نجع حمادي "تفسير عن سام" يقدم لنا وجهة نظر غنوسية ولكن لا تخلو من تقاليد مسيحية واضحة ويقتبس "هبوليتس" أحد الآباء المقاومين للبدع "تفسيراً عن شيث" يبدوا متشابهاً لتفسير سام عدا أنه يصطبغ بوضوح بصبغة مسيحية وأما "رؤيا آدم" فهي نص شيثي ومع أن هذا التطبيق الميثولوجي (الأسطوري) لسفر التكوين يتضمن مُخلّصا غنوسيا فإن التصوير كما يبدو هنا لا يُبنى على تقليد يسوع الأناجيل ولعل أقرب مشابه له في أسفار العهد

الجديد ما وردِ في سفر الرؤيا (١٢) عن الميلاد الميثولوجي لذلك الطفل الذي ولدته المرأة المعجزة الذي يبدو مستقلا عن قصة مريم ويسوع. كما أنه مستقل عن أي تقليد ميثولوجى سابق لقصة مريم ويسوع.

ومع ذلك فإن سفر "رؤيا آدم" يقف على قدم المساواة في نفس التقليد مع "إنجيل المصريين" وهو من أسفار المكتبة الغنوسية المسيحية وهناك نص شيثي ضمن مكتبة نجع حمادي بعنوان "أعمدة شيث الثلاثة" يُقدم لنا نوعاً من الغنوسية الأفلاطونية الحديثة دون أساس مسيحي أو اتجاه يهودي ومع ذلك تبرز فيه الربة الأنثى "باربيلو" التي تذخر بها الغنوسية المسيحية... وهناك نصوص أخرى في مكتبة نجع حمادي لها اتجاهها الفلسفي أو الأفلاطوني الحديث أكثر من الاتجاه اليهودي أو المسيحي. ولو أن مثل تلك الجذور المسيحية أو اليهودية تضاف في عصور تالية كإدخالات على النص وضمن كتابات أفلوطين في القرن الثالث وهو رائد الأفلاطونية الحديثة، ما يشير إلى وجود الغنوسيين وسط أتباعه يقول..

"وأنني أكن الاعتبار لجماعة من أصدقائنا الذين كان لهم مثلي هذا النهج التفكيري قبل أن يصبحوا لنا، والذين استمروا كذلك على الرغم من أني لا أدرى كيف هذا" ولكن المدرسة الأفلاطونية الحديثة ثارت ضدهم فيما بعد ولم يخبرنا بذلك أتباع أفلوطين.

يقول.. "بروفرى" في حياة أستاذه وهو مؤرخ للأفلاطونية الحديثة: "لقد كان هناك في وقته الكثيرين من المسيحيين وغيرهم وأتباع طوائف أخرى هجروا الفلسفة القديمة ونسبوا إعلانات أو رؤى لزرادشت وزوستريانوس والوجينس وميسوسْ وأشباههم مخدوعين ربما أو خادعين منادين بأن أفلاطون لم يتغلغل إلى أعماق الحقيقة ولقد هاجم أفلوطين أولئك في خطاباته وكتب رسالة بعنوان "ضد الغنوسية" وهناك أميليوس وصل إلى حد كتابة أربعين مؤلفاً ضد مُؤلف "زوستريانوس" وضمن مكتبة نجع حمادى نجد نصوصاً بعنوان "زوستريانوس" والوجينس التى قاومها أميليوس وغيره أما مقاومة أفلوطين للأناشيد السحرية الغنوسية. فربما يكون مداره نظائر الترانيم التي وردت في نصوص شبيهه بأعمدة

شيث الثلاثة" وهى من مكتبة نجع حمادي وهكذا فإن هذه المكتبة تسهم بنصيب وافر ليس في تاريخ الديانة فحسب بل أيضاً في تاريخ الفلسفة.

وتتضمن مكتبة نجع حمادي أيضاً موادًا أخرى مستقاة من مصادر غير التراث اليهودي المسيحي فهناك نصوص هرمسية مبنية على أقاصيص وحكم فرعونية وهى تصور محادثة بين الإلهين هرمس وابنه تات. ومثل هذه النصوص في مكتبة نجع حمادي نجدها أيضاً في "مقال عن الثامن والتاسع" وهو نص هرمسي لم يكن معروفاً من قبل وحيث يحاول الدارس أن يميز إن كان بعض تلك النصوص التي تتضمنها المكتبة من النصوص الغنوسية أم لا؟ مستنداً على مفاهيم الغنوسية أو تفسير النصوص فإنه يكتشف أن هناك القليل مثل "أقوال سكستوس" لاتنتسب إلى الغنوسية في شئ ولكن حيث يجد تفسيرًا وتفسيراً غنوسياً للكتاب فأنه يستطيع أن يصنع مثل تلك الحكم الأخلاقية في إطارها الغنوسي الحقيقي وحيث أن مكتبة نجع حمادي يبدو أنها جمعت في نطاق الغنوسية المسيحية فإنه من العسير علينا أن نفسر وجود البعض من تلك النصوص فيها مثل" نصوص هرمس" وكيف كان يستخدمها أناس يظنون في أنفسهم أنهم مسيحيون وهناك نص منها ينسب إلى تراث زرادشت على أننا نرى الغنوسيين هم أكثر شمولاً أو عالمية من أن ينتسبوا إلى المسيحية القويمة. فهم لذلك يستطيعون أن يجدوا في شيث رمزاً ليسوع ويقدموا لهرمس وزرادشت تفسيراً مسيحياً.

وفي مثل آخر نستطيع أن نكتشف هذه الصبغة المسيحية أو هذا التطوير المسيحي جارياً أمام أعيننا في مكتبة نجع حمادي فالمقالة الفلسفية غير المسيحية بعنوان "يُوجنستوس المطوَّب" قُسمت بصورة مقصودة في خطابات منفصلة كل منها يقدم جواباً على لسان يسوع لسؤال تقدم به تلاميذه بعد قيامته من الأموات وكل من النوعين من النصوص موجود جنبا لجنب في المجلد الثالث وفي حالات أخرى نجد إشارة أو مرجعاً مسيحياً بقلم المحرر أو الكاتب أو المترجم أضيف إلى ذلك النص الذي كان أصلاً نصًا غير مسيحي وعلى سبيل المثال نجد هذا في كتاب "يوحنا السرّي" وفي "جوهر الأراخنة" وغيرها .. ولا ريب أيضًا أن مثل هذه الفبركة

المسيحية قد أجريت على السفر المقدس للروح الأعظم غير المنظور والذي أعطى لقب "إنجيل المصريين".

وعلى ذلك فإن الغنوسية كما يبدو – لم تكن في جوهرها صورة أخرى أو جانباً مقابلاً للمسيحية. ربما من الأصوب أن نقول أنها اتجاه راديكالي للتحرر من سلطان الشر والاستعلاء الذي ساد على القديم، وجد طريقة إلى اليهودية والمسيحية والأفلاطونية الحديثة وديانات الأسرار وغير هذه، وكديانة جديدة كانت محاولة توفيقية تستقى من أكثر من ينبوع ومن أكثر من تراث ديني ومع ذلك يمسكها كيان محدد هو الوحدة في وسط متنافر متنابذ ومما لا شك فيه أن هذا الكيان الاتحادي أكثر من القصص والميثولوجيات أو العقائد هي التي تفسر جمع أسفار هذه المكتبة واقترانها بالرهبنة المسيحية حيث تتم العزلة والإنفصال عن العالم في مجتمع يمكن أن تتوقع فيه وجود أتوبيا (مثالية). وهذا هو الاتجاه الغنوسي في الحياة وليس من قبيل الصدفة أن تكتشف مكتبة نجع حمادي مقابل كنيسة القديس باخوميوس من مؤسسي ورائدي الرهبنة المسيحية.

الفصل السادس

جولة حول المكتبة

كما أسلفنا الحديث في الفصل الثاني تتكون مكتبة نجع حمادى من إثنى عشر مجلد زيادة على ثماني ورقات انتزعت من مجلد ثالث عشر ووضعت في داخل الجلدة الخارجية للمجلد السادس. وهذه الأوراق تكون نصًا كاملاً أو بحثاً مستقلاً أخذ من سفر من مجموعة أعمال أخرى وكل مجلد من هذه المجلدات في واقع الأمر عدا المجلد العاشر يتكون من مجموعة من المقالات أو النبذ أو الكتيبات القصيرة وبهذا يكون لدينا (٥٢) نصاً أو نبذة ومع أن المكتبة هي باللغة القبطية إلا أن النصوص الأصلية كانت باليونانية وعلى ذلك فاكتشافها في صعيد مصر يكون مضللاً لحقيقة أمرها وأصلها غير أن البعض منها قد كُتب فعلاً في مصر بأقلام مصرية حيث نجد على سبيل المثال اسكلبيوس يلقب مصر "بصورة السماء" وفي "أصل العالم" نجد إشارة إلى "تماسيح مصر" وإلى "العجلين في مصر" كشاهدين وفي "خطاب عن الثامن والتاسع" نلتقي بتوصية إلى الابن أن "يكتب هذا السفر باللغة الهيروغليفية لاستخدامه في معبد دياسبوليس (وهذا الاسم ربما بماجنا بالقرب من الأقصر أو بارفا بالقرب من نجع حمادى).

ومع ذلك فالذين سطروا الأسفار باليونانية في الأصل ربما كانوا يعيشون في أماكن أخرى من العالم القديم حيث كانت اليونانية منتشرة وذائعة الاستعمال مثل بلاد اليونان نفسها أو سوريا أو الأردن ومثل الحال نجده مع أسفار الكتاب المقدس والنصوص الأخرى القديمة التي سطرت في أكثر من منطقة من مناطق العالم وتداولتها الأيدي لتودع أخيراً طيات رمال مصر وهكذا فإن مكتبة نجع حمادي تتضمن مجموعة كانت في الأصل من الأدب اليوناني كتبت بأقلام كُتاب عديدين متباينين، ينتشرون في النصف الشرقي للعالم القديم كما أن هذه المكتبة تغطي ما يقرب من فترة خمسة قرون كاملة إذا أدخلنا في الاعتبار الجزء المقتضب الذي أُدخل ضمنها من جمهورية أفلاطون.

على أننا لا نعرف شيئاً عن أولئك الذين قاموا بترجمتها إلى القبطية أو أولئك الذين قاموا بتخزينها في الجرة أكثر مما يمكن أن نستنتجه من الأسفار نفسها ولقد كان الجمهور المصري القديم في تلك الأثناء معتاد على اليونانية عارفاً بأصولها وهكذا كان الأدب اليوناني تتناقله الأيدي وتنسخه الأقلام بل كانت هناك حامية رومانية في دياسبوليس بارفا تضم فصائل من الجند من غلاطية وآسيا الصغرى يتكلمون اليونانية بالقرب من نفس المكان الذي اكتشفت فيه المكتبة وفي كنوبوسيكا في الشاطئ الأيمن للنيل مقابل مكان الاكتشاف أسفرت الحفريات عن لوحة تحمل نصاً يونانياً تحية "للحظ السعيد للإمبراطور تراجان هادريان أوغسطس" واكتشفت أيضاً صلوات باليونانية إلى زيوس سيرابيس يرد فيها ذكر أنطاكية في كهفين بصخرة قريبة من مكان الاكتشاف وشيئاً فشيئاً ترجمت أسفار أخرى مثل أسفار الكتاب المقدس (اليونانية) ومكتبة نجع حمادي الغنوسية إلى اللغة القبطية

وفي "حياة باخوميوس" التي اكتشفت بالقبطية واليونانية نجد شيئاً عن راهب يتكلم باليونانية من الأسكندرية أتى إلى باخوميوس "حيث عينه ليعيش مع راهب نظيره يعرف اليونانية وكذلك القبطية. أما باخوميوس نفسه فقد بذل قصارى جهده "ليتعلم اليونانية بنعمة الله وحتى يقدم له تعزياته ثم عينه رئيساً ومدبراً للأخوة الغرباء الذين أتوا من بعده"

ومكتبة نجع حمادي كتبت بلهجتين قبطيتين وأننا لنجد حتى بين الأسفار التي ترجمت إلى نفس اللهجة الواحدة خلافات طفيفة تشير إلى تعدد المترجمين وهذا لا يعني بطبيعة الحال تعدد النساخ الأصليين الذين تنسب إليهم النسخ التي وصلت إلينا وفي حالات الإزدواج فإن هذا ينتسب إلى مترجمين ينقلون عن نصوص يونانية مختلفة أما عمل الترجمة فلابد وأنه كان منتشراً في مصر في أكثر من مكان، ولابد وأنه استمر إلى عدة قرون.

أما التاريخ الصحيح لمن قام من الأقباط بترجمة النصوص وكذلك للأقلام اليونانية التي سطرت الأصول فلم تصل إليه بعد حيث لم تتم دراسة كافية لذلك ولكن يرجح أن نسخ الأسفار وترجمتها قد استمر من القرن الأول حتى نهاية القرن الرابع- في حالة واحدة- حيث لم تكتب تواريخ على الأسفار- نجد إشارة تصلح أن تكون نقطة البداية ففي المجلد السادس في "مفهوم قوتنا العظمى" يرد النصح "امتنع

عن الشهوات الشريرة والرغائب وتعاليم وهرطقات الأنومويين الرديئة التي لا أساس لها".

ونحن نعلم أن الهراطقة الأنومويين قد ازدهروا لفترة قصيرة في الأسكندرية أثناء فرصة اختفاء أثناسيوس بطريرك الإسكندرية حوالي عام (٣٦٠م) ومما لا شك فيه أن هذا النص كتب في وقت يقرب من هذا التاريخ.

أما المجلدات فقد جُلدت بالمجلد الذي قُوِّىَ داخله بطبقات من أوراق البردي المستعملة، ملصقة معاً حتى تجعل الجلدة قوية الاحتمال وهذا البردي المستعمل يتكون من وثائق تجارية وخطابات باللغة القبطية أو اليونانية وقد ساعدت هذه في معرفة الأمكنة التي جُلدت فيها المجلدات، وكذلك التواريخ المرتبطة بها.

إن مكتبة نجع حمادي قد أعطتنا علاوة على ما قدمته دينياً وفلسفياً صورة قوية عن فن التجليد وصناعته في تلك العصور ..... والمجال يقصر عن الحديث تفصيلياً عن ذلك ....

أما تلك العناية الفائقة في صناعة الكتب وتجليدها فهي تظهر لنا مدى تقدير بل أقول تقديس أصحابها لها ومع أن الجلدة غير مزينة من الخارج مثل كتابات المانشيين بعد قرن من الزمان والتي يقال أنها كانت مرصعة بالجواهر إلا أن هذا لا يقلل شيئاً من حقيقة تقدير الغنوسيين لكتبهم. أما تلك البساطة فربما مردُّها إلى تعاليم أديرة باخوميوس للرهبان بأن تكون البساطة رائدهم ... وفي "حياة القديس باخوميوس" نقرأ هذا القول:

"ولقد علَّم أيضاً الأخوة بأن لا يهتموا بالمظهر الخارجي ولا بجمال هذا العالم سواء كان الطعام الجميل أو الثياب الجميلة أو الكتب المغرية في مظهرها .."على أن بعض الجلد لا تخلو من شيء من الرموز المسيحية فهناك الصلبان على أغلفة المجلدات الثاني، والرابع، والثامن وعلى المجلد الثاني أيضاً يوجد رسم مفتاح الحياة عند المصريين الذي أصبح ضمن الرموز المسيحية عن الصليب.

أما رمز السمكة: "يسوع المسيح ابن الله مخلص" فإننا نلتقي به في المجلدين الثالث والسابع ضمن ملاحظات للكتبة في المجلد الثالث نجد اسم الكاتب "في الجسد اسمي جُونجسوس" وهكذا فإنه يوقن أنه له الكيان الروحي كما أنه يشير إلى إخوته بأنهم "الإخوة الأنوار في غير فساد" وفي نطاق تلك الدائرة الروحية، يصف النص

بأنه "مكتوب من الله" وحتى ولو كانت تلك الكلمة بقلم الكاتب الذي قام بنسخ النسخة التي لدينا، أو أنها أتت تعليقا من ناقل سابق فإن ناسخ المجلد الثالث لم يشعر بأن هذه في غير موضعها، ولم يقدم تحذيراً للقارئ إذ كان يعتبرها هرطقة .. وهناك بعض الملاحظات بقلم الكتبة نكتشف من حيث إنها كتبت في النهاية إنها أضيفت بقلم الناسخ لاحظ ما ورد في نهاية المجلد الثاني، وكيف يشعر كاتبه بما وجده في المكتوب من روح القداسة ... "واذكروني أيضاً يا أخوتي في صلواتكم .. السلام للقديسين والروحانيين".

وفي المجلد السابع نجد ملاحظة ختامية نظير هذه .. "هذا المكتوب ينتسب إلى الأبوة (الآباء) إنه الابن الذي كتبه. باركني يا أبي. أباركك يا أبي في سلام" أما تعبير الأبوة (Fatherhood) فقد يكون إشارة إلى آباء الدير وعلى أية حال هذه الملاحظات الختامية للنساخ مع اهتمامهم بتصحيح الأخطاء، وإضافة بعض الهوامش وما يساعد القارئ على الدراسة يرينا أن النساخ كانوا بنفس الروح الدينية المماثلة لما ينقلونه ...

ولربما من قبيل الخطأ، في استنباط أحداث، وتسلسل التاريخ، أن نتحدث عن الحركة الرهبانية، في القرن الرابع الميلادي، بأنها كانت قويمة تماماً فحينما ينسحب راهبٌ من دائرة الحضارة إلى دائرة الصحراء، وإلى التوحد في البراري، فإنه بالتالي يفقد صلته بالكنيسة .. بتعاليمها .. بسلطانها .. بشركتها .. بممارستها .. بأسرارها وقد تذهب به، في بعض الأحيان، شطحات رأسه بعيداً وفي مستهل القرن الرابع، الذي نحن بصدده يذكر لنا التاريخ شيئاً عن راهب في الدلتا يُدعى هيراكاس كان كاتباً وناسخاً بالصناعة، وعالماً، متعلماً، ومفسراً للكتاب وشطحت به تحمساته للرهبنة، إلى حد أنه نادى بأن الزواج وقفٌ على العهد القديم فقط!. وأن كل إنسان متزوج، لن يرث ملكوت السموات!.

ومع أن البطريرك قد أصدر القرار بحرمانه إلا أن هذا لم يمنع من أن تلتصق به جماعته من أتباعه. وفي "شهادة الحق" من مكتبة نجع حمادي، نلتقي برأي مماثل ...

"لأنه لا يوجد إنسان تحت الناموس، وتكون له المقدرة على أن ينظر للحق لأن تدنيس الناموس واضح أما النقاوة فهي تنتسب للنور فالناموس يأمر الواحدة بأن

يكون لها بعلها، ويأمر الرجل بأن تكون لــه زوجتــه وأن يكــون هنــاك أولاد، ليستمروا، ويكثروا، كالرمل الذي على شاطئ البحر ولكن الشهوة التي تلبس ثوب السرور بالنسبة لهم، تحصر النفوس التي تولد في هــذا الوضــع- أولئــك الــذين يُنجّسون، وأولئك الذين يتنجسون حتى يتم حكم الناموس فيهم وبواســطتهم وهكــذا يظهرون أنهم يعاونون العالم وينحرفون عن النور .. حتى يوفوا الفلسَ الأخير"

وفي "حياة القديس باخوميوس" نلتقي برواية عن فيلسوف مــن بــانوبوليس أو إخميم، حيث أقام القديس ديراً على بعد ٦٧ ميلاً إلى جنوب مجرى النيل من المكان الذي اكتشفت فيه مكتبة نجع حمادي، جاء إلى الدير ليمتحن الرهبان في مدى فهمهم للكتب وقد أرسل باخوميوس مساعده ثيودور لمقابلته ...

"وسأله الفيلسوف عن أمور ليس من العسير الجواب عليها " من الذي لم يُولــد ومع ذلك مات؟ ومن الذي وُلد ولم يمت؟ ومن الذي مات من البشر وجثته لم تعــط رائحة التحلل؟ .. وأجاب ثيودور على أسئلته قائلا: أن آدم هو الذي لم يولد ومات، وأن أخنوخ هو الذي وُلد ولم يمت، وان امرأة لوط ماتت ولكن لكونها قد أصبحت عمودا من الملح فلم تعط رائحة التحلل. ولقد اكتفي الفيلسوف بأجوبته وانصــرف عائداً .. وهذا قد يعطينا صدى عن المناقشات أو المجادلات التي كانت تقــع بــين المسيحيين، وبين الغنوسية، قبل منتصف القــرن الرابــع. ذلــك لأن محــاولات ابيفانيوس لطرد الغنوسيين المسيحيين من المدينة حدثت في مصــر حــوالي هــذا التاريخ ...

وفي عام (٣٦٧م) نجد أثناسيوس الرسولي رئيس الأســاقفة يصــدر مرســوما كنسياً، يدين فيه تلك الأسفار الأبوكريفية، التي يحاول أصحابها أن يصبغوها بصبغة القدم، وصورة القداسة. ولقد قام ثيودور رئيس الأديرة الباخومية في تلــك الأثنــاء بترجمة ذلك المرسوم إلى القبطية وإيداعه في الدير لكي يصبح قانونــاً للرهبــان- ولابد وأنه كان بين الحركة الرهبانية الباخومية، من كانوا يتبعون الغنوسية أو على الأقل يقدسون كتاباتهم ويتخذونها كتبا لهم وإلا لما استدعى الأمر مثل هذا الإجراء وفي واقع الأمر نجد أن الكثير من أسفار نجع حمادي يحمل أسماء قديسين قــدامى أو ينسب إليهم وفي واحدة من الأقاصيص الباخومية نجد إشارة مأخوذة من "تلــك الكتب التي يكتبها الهراطقة" ولكنهم ينسبونها إلى القديسيين ...

"فبعد أن خُدعت حواء، وأكلت من ثمار الشجرة حبلت بواسطة الشيطان، وولدت قايين" وفي "جوهر الرياسات" في مكتبة نجع حمادي نجد قصة تشير إلى نفس الاتجاه..

"وحينئذ أتى الرؤساء إلى آدمهم. وحينما شاهدوا حواءه تتحادث معه، امتلأوا اضطراباً عظيماً والتهبت قلوبهم من نحوها. وقال أحدهم للآخر "تعالوا نزرع زرعنا فيها" فتبعوها. أما هي فسخرت منهم، لأجل عماهم. وبين أيديهم أصبحت شجرة وتركت لهم ظل شبهها الذي يشبهها فدنسوها بغباوة ...

لقد دنسوا الشبه الذي كان على صورتها حتى إنهم هم والشبه الذي صاغوه قد أصبحوا تحت حكم الدينونة"

وفي مستهل القرن الخامس، نقرأ عن شنودة رئيس الدير الأبيض في نفس دائرة بانوبوليس التي أسس فيها باخوميوس الأديرة، والتي منها جاء الفيلسوف إنه هاجم جماعة بالقرب من معبد بانيوت كانوا يدعون أنفسهم أنهم "بلا ملك" ويتعبدون لمساعد الخالق إله هذا الدهر الأسمى[٢] (Demiurge) ويرفضون زعامة البابا كيرلس، بطريرك الأسكندرية، كمرشدهم الروحي ورئيسهم، ومُنيرهم (illuminator) مثل هذه التعبيرات التي يقتبسها شنودة، كثيراً ما تتردد في كتابات مكتبة نجع حمادي. حتى نستطيع أن نعتبر هؤلاء من الغنوسيين المسيحيين، ربما من جماعة شيث، ولو أن شنوده يصفهم بأنهم هراطقة ووثنيون.

وأنه ليخبرنا أيضاً أنه صادر كتبهم الممتلئة بالدنس، وبكل أنواع السحر. وهناك الكثير من الألفاظ الغامضة، والكلمات السحرية غير المفهومة- التي يلقبها أفلوطين شقشقة أو همهمة- نلتقي بها في مكتبة نجع حمادي نفسها. ولقد أرسل باخوميوس، رسائل إلى رؤساء الأديرة مستخدماً شفرة، لم يستطع من أتوا بعده أن يفكوا رموزها..

وعلى هذا فإن مكتبة نجع حمادي، والخطابات الروحية لباخوميوس، لا تختلفان في المظهر، عما أسماه شنودة بكتاب السحر .. ولقد هدد شنودة الهراطقة على هذا النحو "سوف أجعلكم تعرفون ... بأن البابا كيرلس، أو السيف .. سوف يقضي على معظمكم .. وأيضاً من يتبقى سيكون نصيبه المنفى.."

---

[٢] في الغنوسية مساعد الله في الخليقة وقد ذهبوا أيضاً إلى انه خالق الشر في الوجود ..

وكما اكتشفت مخطوطات قمران محفوظة في أواني فخارية، ومدفونة في المغاور عند اقتراب الكتيبة العاشرة الرومانية هكذا حُفظت مخطوطات نجع حمادي، في آنيتها الفخارية، وخُتِم عليها ودفنت في كنف جبل الطارف بالقرب من نجع حمادي خوفاً من اقتراب السلطات الرومانية، التي أصبحت في ذلك الحين مسيحية ولكنها كانت في عداء مع الغنوسية ...

أما طريقة حفظ الكتب في جرار فخارية، فقد كان القصد منها ليس إخفائها، بل حفظها من الضياع. لأنه ليس فقط مخطوطات البحر الميت، قد حفظت بنفس الطريقة بل أيضاً الوثائق الكتابية قد اكتشفت محفوظة في الجرار في الكهوف الصخرية على شواطئ النيل وأن الكتاب يذكر لنا طريقة الحفظ في الجرار للمحافظة على كتاب، وطريقة الإحراق لإبادة مخطوط (أرميا٣٢: ١٤-١٥) ، (٣٦: ٢٣).

وفي "حياة القديس باخوميوس" نقرأ أنه تخلص من أحد كتابات أوريجانوس التي اعتبرها هرطوقية بإلقائها في النيل. ثم أضاف أنه لولا وجود اسم الرب بها لكان قد أحرقها بالنار أما إحراق مكتبة الإسكندرية بواسطة غير المسيحيين في النصف الأول من القرن السابع الميلادي فإنه يرينا أن هذا كان ولابد، مصير مكتبة نجع حمادي، لولا أن أسرع أصحابها بإخفائها ودفنها على هذا النحو ..

وهناك فقرتان في مكتبة نجع حمادي تشيران إلى أنها خزنت ودفنت للحفظ إلى نهاية الدهر .. ففي ختام "إنجيل المصريين" نقرأ القول ..

"لقد كتب شيث العظيم هذا السفر في مائة وثلاثين عاماً وخبأه في الجبل الذي يدعى شاركسيو، حتى أنه في نهاية الزمن .. يظهر للوجود، ويُعلن هذا الجنس الذي بلا فساد الذي ينتمي إلى المخلص العظيم وأولئك الذين يعيشون معهم في المحبة، والروح الأعظم السرمدي غير المنظور وابنه الوحيد المولود"

وفي نهاية "ألوجينيس"تقرأ" اكتب هذه الأشياء التي أخبرك بها وسوف أذكّرك بها لأجل خاطر أولئك المستحقين من بعدك وسوف تترك هذا الكتاب على الجبل، وتدعو الحارس منادياً "تعال أيها الرهيب، الأوحد".

وهكذا بقيت مكتبة نجع حمادي في جرتها مدفونة في موضعها في الجبل، قرابة خمسة عشر قرناً أو يزيد حتى أتيح لها أخيراً أن تظهر للوجود ...

الفصل السابع

عقائد، وتقاليد، وأساطير

وسوف لا نغفل في هذا الفصل أكثر مما يفعله الذي يمر متعجلاً بجوار شجرة مثقلة بالثمار يهز جزعها أو يلقفها حجران فتتساقط بعض ثمارها عليه أما تسلق الشجرة والبحث بين غصونها غصنا غصنا، واختبار كل ثمرة على حدى واقتطاف الجنيّ منها، والعودة بالسلة وقد تثقلت فهو أمر نتركه للبستاني الخبير وكما قال الدكتور جيمس روبنصون أننا ما قمنا في ترجمة الأسفار إلى الإنجليزية إلا بالخطوة الأولى وسوف يقتضي الأمر أجيالاً، فيها يصبح شغل العلماء الشاغل تفسير كل سفر وكل نص على حدى ..

وفي هذا الفصل سوف نتجه إلى مختارات من كتابات الغنوسيين كما اكتشفت في مكتبة نجع حمادي في مجال العقيدة، والتعليم، والاختبار .. غامسين قلمنا، في أقل القليل من المداد، لنلقي الضوء عليها ....

ولنبدأ بعقائدهم الرئيسية .. لنبدأ بالثالوث في ارتباطه بقصة الخلق[1] ولعل أوضح نصوص عقائدية في هذا الصدد نلتقي بها في النبذة ذات الأركان الثلاثة "وهي النص الخامس من المجلد الأول .. وهذه النبذة تروي لنا قصة نشأة العالم من البداية، إلى أزمنة رد كل الأشياء. وهي تبدأ بالحديث عن الآب، الذي هو فوق الكل وهو "جذر كل الأشياء" وهو الأوحد غير المولود وهو "العمق والهوة" ومع أن هذه اللغة تشبه لغة الغنوسية الفالنتنيين، فإن الكاتب على النقيض من أولئك يتحدث عن الآب بأنه الوحيد الذي بلا شريك، والذي يحتوي في ذاته كل الصفات التي ينسبها الفالنتينيون إلى الأنثى (الأم، والسكون، والنعمة) ...

---

[1] إن ثالوث الغنوسية يختلف عن ثالوث المسيحية. وسيتضح ذلك من خلال دراستنا للأسفار حيث يظهر أن ثالوث الغنوسية ثالوث منقسم على ذاته لا يجمع بين أطرافه الوحدانية الكاملة التى تمثل أساس عمل الثالوث المسيحى، أما الخلق فيأتي نتيجة لخطأ الربة الخالقة باربيلو، ورغبتها في خلق الوجود دون استشارة الآب وهكذا تكون النتيجة مجيء العالم الشرير ....

"فلنبدأ بالآب الذي هو جذر كل الأشياء، الواحد الذي منه أخذنا نعمة، لنقول عنه أنه الكائن، قبل أن يظهر ماعداه إلى الوجود"

والآب وحده ولكنه "من فيض حلاوته" يرغب في مُشارك لذاته وهكذا يولد الابن "الوحيد المولود منذ البدء، في فكر الله ... "إنه الآب ... ولكن حيث هناك الآب فيتبع أن يكون هناك الابن"

إلى هنا تبدو العقيدة، ليست مغايرة كثيراً لقانون إيماننا حتى نجد أن الكاتب الغنوسي يتجه بأصحابه إلى الاعتقاد، بأنه مع الابن منذ البدء، توجد الكنيسة، في وجود روحي مسبق. أي أن الكيان الإلهي أو الكائن الإلهي – ويلقبه هنا "بليروما" ومعناها الملء – يتضمن الآب، والابن، والكنيسة .. وهو فكر لاهوتي مبتدع ينسبه ترتليان إلى المعلم الفالنتيني الغربي هيراكليون ..

ويمضي كاتب النبذة الثلاثية، متخذاً أحداث قصة مثولوجية فالنتينية عن الصوفيا، أو الحكمة، ومطوراً القصة ليطبقها على اللوجوس أو الكلمة فاللوجوس الإلهي، يجتاز في أطوار الألم كالمخاض للتي تلد، ليُولد منه كل العناصر الكائنة في الخليقة، والمكونة لها .. هذا هو الجزء الأول من النبذة الثلاثية ...

وفي الجزء الثاني يورد الكاتب قصة الخلق التي تنتهي بالسقوط، ثم سيادة الموت .. ومن هذه يخلص إلى ظهور أنواع ثلاثة من الكائنات البشرية: أولئك الذين يتميزون ويرتبطون بالروح وهم الروحانيون، وأولئك الذين يرتبطون بالمادة، وهم الهيوليون، أو الجسدانيون وأولئك الذين يرتبطون ويتميزون بالنفس وهم النفسانيون الذين هم مزيجٌ من الروح، والمادة.

ثم نأتي إلى الجزء الثالث الذي يروي كيف جاء المخاص إلى العالم ليعتق الإنسانية من الموت ويخلص الكنيسة ويرد كل الأشياء إلى الآب أما استجابة البشر لرسالة يسوع، ولمجيئه فمردها إلى طبيعة كل واحد منهم فالذين يتجهون إلى المادة أو الذين طبيعتهم مادية، يرفضونه، ويكون في ذلك هلاكهم أما الروحانيون (الغنوسيون)، وكذلك النفسانيون الذين يؤمنون بالمسيح ويسلمون أنفسهم لقيادته، فنصيبهم الفداء، والرجوع إلى الله. ونختتم النبذة بتقديم الحمد للآب، في الابن وعن طريق الروح القدس ..

وفكرة وجود الكنيسة في كيان روحي، مرتبط مع الروح الأعظم أو أبي الأرواح أو وجود الأرواح المسبق مع الله الآب نجدها تتردد في معظم نصوص مكتبة نجع حمادي وهناك نص بكامله بعنوان "تفسيرٌ عن النفس" يدور حول رحلة النفس من الوجود الأسمى مع الخالق لتهبط إلى سجن الجسد مرهفة ذليلة تتلقفها مجموعة من اللصوص إشارة إلى شهوات هذا الدهر وأباطيله لتصبح "بغيا" على حد التعبير الغنوسي، يلقى بها هذا إلى ذاك، حتى تعرف التحرر أخيراً والعودة إلى أحضان ذاك الذي منه هبطت .. وسوف نعرض للنص بكامله لطرافته ..

والفكر ليس جديداً بالنسبة للمتصوفة وما الفكر التصوفي في إطاره العريض، إلا صوراً متطورة عن تلك العقائد القديمة ... يصطبغ في كثير أو قليل، بالصبغة الدينية لأصحابه .. استمع إلى القول المنسوب في "إنجيل توما" وهو مجموعة من أقوال المسيح غير المعروفة– يقول السيد لتلاميذه "إن قالوا لكم من أين أتيتم؟ قولوا لهم من النور. الموضع الذي جاء منه النور إلى الوجود بإرادته، وأثبت ذاته، وأصبح ظاهراً في صوره وإن قالوا لكم هل أنتم كذلك؟ قولوا: نحن أبناؤه ونحن مختاروا الآب الحي. فإن سألوكم: ما هي علامة أبيكم فيكم؟ قولوا لهم: هي الحركة، والراحة"

وتقول النبذة الثلاثية ....

"إن الجنس الروحي هم الذين نظير النور من النور، والروح من الروح، حينما يظهر رأسهم يندفعون إليه في الحال .. فيصبحون جسداً للرأس وعنه يستلهمون ... المعرفة في الإعلان"

وعن "إنجيل توما" أيضاً نقتبس القول ...

"يقول يسوع، حينما تبصرون أشباهكم، تبتهجون ولكن لو رأيتم صوركم: التي وجدت قبلكم، والتي لا تموت ولا تظهركم ترون أنه عليكم أن تحتملوا كثيراً"

"لقد أتى آدم من سلطان عظيم، ومن ثروة عظمى ولكنه لم يكن مستحقاً لكم لأنه لو كان مستحقاً لما أختبر الموت ولكن أساس الخلاص هو عمل المسيح وشفاعته لقد أتى يسوع إلى عالم العميان المتخبطين بعيدا عن الطريق ونفسه ذابت فيه وهو يرى أن البشر سكارى لا يفيقون .. وهاهو في "سفر يعقوب السرّي" (أبو كريفون يعقوب) وهو خطاب يوجه إلى المدعو كيرنثوس مبني على محادثة بين يعقوب

وبطرس وبين شخص المسيح المقام- يوضح المسيح أساس الخلاص في صليبه .. قائلاً "احتقروا الموت، ... وركزوا أفكاركم في الحياة تذكروا صليبي، وموتي، وأنتم ستحيون.. ""

فيعترض يعقوب عليه قائلاً ..

"الحق أقول لك، لن يخلص أحد إلا إذا آمن بصليبي لأن من يؤمنون بصليبي، لهم ملكوت الله. لذلك اتجهوا إلى الموت كأموات يبحثون عن الحياة .. الحق أقول لن يخلص واحد ممن يحجمون عن الموت لأن ملكوت الموت ينتسب لأولئك الذين يخضعون للموت"

هنا نرى الفكرين يرتبطان في خلاص الإنسان مع موت المسيح، اختبار المؤمن للموت في المسيح، وعدم اهتمامه بالموت المادي ..

"مرة أخرى أوبخكم يا من أصبحتم مثل الذين ليسوا هُمْ لكي تصبحوا مع الذين ليسوا هُمْ" علينا أن تميت الذات في اتباعنا للمسيح، فنصبح "لسنا نحن"، وإلا سيكون مصيرنا مع الذين ليسوا هُمْ" أي سقطوا من الاعتبار في نظر الله ..

"لا تجعلوا ملكوت السموات، برية في دواخلكم. لا تمتلئوا كبرياء" بسبب النور الذي ينير (فيكم). ولكن كونوا لأنفسكم نظير ما أنا لكم .. لأجلكم قد وضعت نفسي تحت اللعنة لكي تنالوا أنتم الخلاص"

وإذا كان أساس الخلاص هو اللعنة التي حلت على المسيح بصلبه فإن طريق الخلاص هو الإيمان .. "الحق أقول لكم من يقبل الحياة، ويؤمن بالملكوت فلن يفترق عنه .." وإن يسوع المسيح من جانبه يتشفع لنا مع الآب ..

"ابتهجوا وامتلئوا فرحاً كأبناء الله .. احفظوا إرادته حتى تنالوا الخلاص ... اقبلوا التوبيخ مني وخلصوا أنفسكم وأنا أتشفع من أجلكم عند الآب وهو يسامحكم بالكثير" علينا أن ننكر ذواتنا، ونحمل صليبنا، ونتبع يسوع ... على أن مفهوم التبعية قد يتخذ معنى ضحلاً بالنسبة لنا إن له مفهومه الأعمق بالنسبة لمطاليب يسوع منا فهناك الاتباع الأعمى وما أبعده عن الرفقة الحبيبة ... الرفقة التي يفني فيها الرفيق إلى رفيقه، ويذوب المحب في حبيبه .. "والآن ها أنا أصعد للمكان الذي منه أتيت ولكنكم وأنا أتشوق للذهاب، قد طرحتموني خارجاً وبدلاً من رفقتي قد

اتبعتموني ولكن انتبهوا للمجد الذي ينتظرني وإذ تفتحون قلوبكم استمعوا إلى الترانيم التي تنتظرني في السماوات لأني عتيد اليوم، أن اتخذ مكاني عن يمين الآب"*

ويعود الحديث عن الوجود المسبق للأرواح في القول .. "طوبى لأولئك الذين استعلنوا الابن قبل نزوله .. تطويبا مثلثا لأولئك الذين استعلنهم الابن (أي اعترف بهم ونادى بهم) قبل أن يظهروا للوجود حتى يكون لكم النصيب فيما بينهم"

هنا نرى أساس الخلاص وهو الصليب وموت المسيح وطريق الخلاص وهو الإيمان وإماتة الجسد واتباع المسيح وحمل الصليب وفوق الكل المعرفة .. وعن الصليب نقول أن الآراء تتضارب بين الغنوسية في هذا المجال فبينما نجد البعض- كما في أبو كريفون يعقوب في النص الذي اقتبسناه- يؤمن بأن المسيح قد صلب وقاسى في جسده كل آلام الصليب وويلاته وعذاباته، بالفعل فإننا نجد في الرسالة الثانية لشيث العظيم من المجلد السابع ما ينفي عقيدة الصلب أو على الأقل يعطيها مفهوماً آخر، غير الذي درجنا على الإيمان به .. إن خلاصة الفكرة، أن ناسوت يسوع، ليس نظيرنا يجوز عليه الألم، والموت إن الذين قاموا بصلبه قد صلبوا شبيه يسوع- وليس المقصود بذلك إنساناً آخر[4]- ولكن ناسوت يسوع الذي يشبه في مظهره جسدنا ولكنه في حقيقته لا يجوز عليه الصلب والألم والتعذيب .

وها هم في هذا النص ينسبون إلى يسوع قوله .. "إنني لم استسلم لهم كما خططوا ولكنني لم أعذب على الإطلاق والذين كانوا هناك عاقبوني ولكنني لم أمت في الحقيقة بل في المظهر .. ولم أشعر بضعف الفؤاد في وجه ما حدث لي على أيديهم. لقد كنت سأستسلم للخوف وقاسيت بحسب فكرهم ونظرهم .. لأن الموت الذي ظنوا إنه حدث (لي) حدث لهم في خطأهم وعماهم، حيث إنهم سمروا فتاهم، حتى الموت ... لأنهم أصابهم الصمم والعمى ولكنهم بفعلهم هذه الأشياء، قد حكموا على انفسهم نعم لقد رأوني وعاقبوني ولكن آخر أباهم هو الذي جرع المر، والخل، وليس أنا لقد ضربوني بالقصبة .. ولكنها وقعت على آخر، سمعان الذي حمل الصليب على كتفه .. ولكني كنت مبتهجاً فوق كل ثروة الأراخنة ... وأمجادهم الباطلة وكنت أضحك على جهلهم"

---

* هناك تتضارب الآراء، بين أكثر من نص من نصوص مكتبة نجع حمادي

ولعل هذه هي إحدى العقائد الرئيسية التي من أجلها ثـارت ضـدهم الكنيسـة وطاردتهم وصادرت أملاكهم وأحرقت كتاباتهم ... أننا وإن كنا نركز على جانـب واحد هو الغنوسية المسيحية وذلك لكي لا نصدع رأس القارئ بمتاهات الفالنتينيـة وغيرها وندخل به في مثولوجيات وقصص ورمزيات لا نهاية لها فالوقت والمجال لا يتسعان لذلك، إلا أننا نود أن نضع نصب أعيننا على الدوام أن الغنوسية، وجدت قبل المسيحية وأن الغنوسية المسيحية ما هي إلا محاولة توفيقيـة بـين الأفكـار، والفلسفات القديمة، وبين العقائد المسيحية، وأنه في غالب الأحيان ما يحاول الكاتب الغنوسي، أخذ القصة القديمة، ليصبغها بالصبغة الجديدة، ويضفي عليهـا مفهومـاً مسيحياً. فيقدم لنا صورة غريبة عن أفهامنا، باعد الزمن، والتعليم، والعقيدة، بيننـا وبين تفاصيلها. وهذا شأن نصوص مكتبة نجع حمادي

نعود إلى موضوعنا الرئيسي فنقول أن الغنوسية تؤكد أيضاً أهم من كل ذلـك دور المعرفة في الخلاص من هنا أتى تلقيبهم بأصحاب المعرفة في "أبو كريفـون يعقوب" نقرأ.

"وطالما أنا معكم، انتبهوا لي، وأطيعوني، وحينمـا افتـرق عـنكم تـذكروني وتذكروني لأني كنت معكم، ولم تعرفوني. طوبى لأولئك الذين عرفـوني والويـل لأولئك الذين سمعوا ولم يؤمنوا. وطوبى لأولئك الذين لم يروني، وآمنوا "

وأيضًا من نفس السفر.

"هل تحزنون لأنكم تتعلمون في الملكوت؟ ولكنكم بالإيمان والمعرفة قـد قبلـتم الحياة؟ الحق أقول لكم من يقبل بالحياة ويؤمن في الملكوت، فلن يفتـرق عنـه .." ولكن علينا أن ننتبه،لأن الروح يشتهي ضد الجسد والجسد ضد الروح ومـع ذلـك فكيف يخطئ الجسد، إن لم يكن بتوجيه من الروح؟ إن دور الروح أقسى "لأنه بدون النفس لا يخطئ الجسد، كما أن النفس لا تخلص إلا بالروح .. ولكن إن خلصـت النفس، حينما تصبح بلا شر وكذلك خلصت الروح فإن الجسد يتحرر من الخطيـة لأن الروح تحيي النفس، أما الجسد فهو الذي يقتلها.

إن علينا أن نخلع الجسد بشهواته .. "لأنه ولا واحد قد لبس الجسـد سـيخلص" وأعلى مراتب الخلاص في الغنوسية هو التحرر المطلق من الجنس، حينما لا يكون هناك ذكرٌ وأنثى ..

وفي "إنجيل توما" نقرأ

"حينما تجعلون الاثنين واحداً، وتجعلون الباطن مثل الظاهر والظاهر مثل الباطن .. حينما تجعلون الذكر، والأنثى واحداً .. حتى لا يكون الذكر ذكراً فيما بعد ولا الأنثى أنثى .. حينذاك تدخلون ملكوت الله .."

ألم يقل يسوع في البشائر القانونية أنهم في الأمجاد، في أعلى مراتب الخلاص- "لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء؟ " (مت ٢٢:٣٠) ألم يقل "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد لن تدخلوا ملكوت السموات؟ " (مت ١٨:٣)

اقرأ أيضاً في "إنجيل توما"

"ورأى يسوع أطفالاً يَرضَعون فقال لتلاميذه: هؤلاء الأطفال الذين يرضعون هم مثل أولئك الذين يدخلون الملكوت . فقالوا له: وهل نصبح أطفالاً حتى ندخل الملكوت؟"

ولكن ألم تكن هناك نسوة بين أتباع يسوع؟ وكن يخدمنه أليست هناك مريم المجدلية؟ فما هو موقف المسيح من المرأة؟ استمع في ختام "إنجيل توما" إلى القول..

"وقال سمعان بطرس لهم (أي التلاميذ): دعوا مريم تفترق عنا، لأن النسوة لسن مستأهلات للحياة .. فأجاب يسوع: وأنا سأقودها حتى تصبح ذكراً، حتى تصبح هي أيضًا روحاً حية تشبهكم أيها الذكور. لأن كل امرأة تحول نفسها ذكراً، سوف تدخل ملكوت السموات"[٥]

ألا نصغي إلى نغمة مثل هذه عن حنة النبية في الهيكل، التي باركت الطفل يسوع، وكيف يثبت البشير عنها أنها "عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها، وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً"

---

[٥] قد يعني هذا التخلي عن التبعية للرجل التي ورثتها عن آدم كأحد عواقب الخطيئة، واستقلالها في مسيرة الملكوت خلف المخلص .

ومن "إنجيل توما" نقتبس القول ..

وقال له تلاميذه "متى تُستعلن لنا، ومتى نراك؟ "

فأجاب يسوع "حينما تتجردون من ثيابكم فلا تخجلون، وتأخذون الثياب وتضعونها تحت أقدامكم، مثل الأطفال الصغار، حينذاك ترون ابن الحي الأوحد، ولا يعتريكم الخوف" أي أن الجنس انتفي عنها تماما ..

من له أذان للسمع فليسمع. ومن يسمع ليحول ما يسمعه إلى عمل بناء في حياته، يتمم به خلاصة.

وفي "السفر السري ليعقوب" يوجه السيد تحذيره لتلاميذه. هاتفا.

"أيها التعساء.. أيها الأدعياء بالنسبة للحق.. أيها الذين يزّورون المعرفة.. أيها الخطاة ضد الروح... هل تحتملون أن تظلوا نائمين، في الوقت الذي يليق فيه بكم، أن تستيقظوا.. حتى تقبلكم السموات؟"

أما دور الروح القدس[٥] في إيقاظ النائمين، فإننا نقرأ عنه في "إنجيل الحق"...

"هذا هو طريق، الذين ألقوا عنهم الجهل جانبا كالنوم... وقدّروا معرفة الآب كالفجر هذا هو الطريق، الذي تصرف فيه كل واحد. كأنما كان نائماً في وقت جهله. هذا هو الطريق الذي وصل فيه إلى المعرفة كأنما استيقظ ... طوبى لذلك الذي فتح أعين العميان. والروح أسرع وراءه موقظاً إياه.

"وهذا هو الإنجيل لأولئك الذين كّملوا في مراحم الآب، بالسر الخفي يسوع المسيح، الذي به أنار أولئك الذين في الظلمة" هذا هو إنجيل العهد الجديد .. إنجيل النعمة والحياة، الذي حل للأبد مكان العهد القديم- ومن حادثة قطع رأس يوحنا المعمدان، يتخذ كاتب "السفر السري ليعقوب. استعارة رمزية، لانقطاع رأس النبوة، أي رأس العهد القديم، في مجيء المسيح. وما دام الرأس قد قطع. فما قيمة الجسد الذي بلا رأس؟

[٥] ومفهوم الروح القدس أيضاً عندهم، يختلف عن المفهوم المسيحي

هنا ينسب السفر ليسوع، قوله لتلميذه يعقوب. "ألا تعلم أن رأس النبوة، قد قطع مع يوحنا؟" نفس الفكرة مكتشفها بين ثنايا قصة ميلاد المسيح. فإننا نقرأ "شهادة الحق" مقارنة غريبة بين رحم العذراء مريم التي ولدت يسوع، وتجدد عذراويتها بعد ذلك، إشارة إلى العهد المتجدد في المسيح، وبين رحم أليصابات العجوز، التي شاخت، وصارت إلى الاضمحلال، "لقد وُلد يوحنا المعمدان،... عن طريق امرأة هي أليصابات. ووُلد المسيح بالكلمة، عن طريق عذراء هي مريم. ما هو معنى هذا السر؟ لقد وُلد يوحنا من رحم عتيق في العمر. ولكن المسيح خرج من رحم عذراء. فحينما حُبل بها، ولدت المخلص. وزيادة على ذلك، لقد وُجدت عذراء مرة ثانية. لماذا إذاً تخطئون، ولا تبحثون عن هذه الأسرار، التي سبق وصوّرت من أجلنا.؟"

يقول يسوع في "سفر يعقوب" لتلاميذه. "وأنا أطلب أن البداية تبدأ منكم. لأنه عن هذا الطريق تكون لي المقدرة على الخلاص. لأن البشر سوف يستنيرون بواسطتي، بالإيمان"

إن أسرار الإنجيل، ما أبسطها، وما أعمقها في نفس الوقت. وكما وردت صلاة المسيح في البشائر القانونية "أحمدك أيها الآب... لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال. " (مت ١١:٢٥) هكذا نقرأ عن موقف المسيح من الأطفال في "إنجيل الحق".

"بعد كل هذه، أتى إليه الأطفال أيضاً، أولئك الذين تنتسب إليهم عن معرفة الآب. وإذ نالوا القوة، تعلموا الكثير عن انطباعات الآب.. لقد عَرفوا، وقد عُرفوا. لقد تمجدوا وقد مجدوا. ففي قلوبهم قد أعلن السفر الحي للأحياء. السفر المكتوب في فكر الآب، قبل تأسيس الكل... هذا السفر الذي ما استطاع أحد أن يأخذه لأنه مخصص للواحد الذي سيأخذه، ويُذبح... لأجل هذا فإن الأمين الواحد، الرحيم الواحد، يسوع، أحتمل بصبر الآلام، حتى أمسك بالسفر. حيث أنه كان يعرف أن موته، حياة لكثيرين.."

"لهذا السبب، ظهر يسوع، وأخذ السفر، وسُمّر على الشجرة وأعلن مرسوم الآب على الصليب.

"وإذا جرّد نفسه من الخرق البالية[٧] لبس عدم الفناء، الذي لا يمكن أن ينزعه عنه أحد.."

فإذا أتينا لأمثال المسيح، فإننا نلتقي بصور محوّرة فيها إضافات بعضها يبدو طريفا فيه تعليم، والبعض الآخر تافها لا لزوم له.

إليك مثل الراعي الصالح، الذي ورد في "إنجيل الحق" يقول الكاتب مطبقا المثل على الآب...

"أنه الراعي، الذي ترك وراءه التسعة والتسعين خروفاً التي لم تفقد. وذهب يبحث عن الواحد الذي فقد. ولكم ابتهج حينما وجده. ذلك لأن (٩٩) هو العدد في اليد اليسرى. ولكن حينما وجد الواحد، انتقل العدد كله إلى اليد اليمنى. هكذا حال الذي ينقصه واحد. وبالحق الكامل يجتذب ما هو ناقص، ويأخذه من اليد اليسرى، لينقله إلى اليمنى. وهكذا يصبح العدد (١٠٠) إنها دلالة الواحد الذي (يسعى) في إثر القطيع[٨].

هنا نجد المثل يتخذ صورة جديدة، وتطبيقا جديداً ليشير إلى عمل الله في الخلاص، وإلى اكتمال عدد المخلصين، وأزمنة رد كل الأشياء، حينما يعود الواحد المفقود، ليكمل الـ(٩٩)، أي العدد الناقص، فيصبح المجموع وحدة كاملة متكاملة في يمين الآب.

ثم يستمر المثل بعد ذلك، متحدثاً عن عمل الله في كل الوقت، حتى في يوم السبت. وأننا نجد في هذا صدّى لقول المسيح "أبى يعمل حتى الآن"

"وحتى في السبت يسعى لأجل الخروف الذي سقط في الحفرة. وهو يعطى الحياة للخروف الذي أنقذه من الحفرة حتى تعرفوا في الباطن، يا أبناء المعرفة الحقيقية. ما هو السبت. فلا يليق أن يبقي الخلاص خاملاً، حتى تتحدثوا عن اليوم (المشرق) من العلاء، الذي لا دليل له، وعن النور الذي لا يغرب، لأنه كامل.. قولوا إذا من القلب أنكم أنتم النهار الكامل، وفيكم يسكن النور الذي لا يسقط أبداً"

---

[٦] هذا هو المنطق الغنوسي عن ناسوت المسيح، وسنعرض له في الملاحق.

[٧] إن مفهوم الخلاص هنا، لا يتجه إلى إنقاذ الضال بقدر ما يتجه إلى تكميل عدد المخلصين. أما الخلاص فهو في الاستنارة بالمعرفة.

وفي "إنجيل توما" نلتقي بالتحليل الغنوسي لأكثر من مثل ... فهناك ما أورده هذا السفر عن مثل الخروف الضال أيضاً "يشبه الملكوت راعٍ له مائة خروف، وواحدٌ منها، أضخمها، ضل بعيداً فترك التسعة والتسعين، وسعى لأجل الواحد حتى وجده. وحينما احتمل إلى هذا الحد من التعب، قال للخروف: "ها أنا أعتني بك أكثر من التسعة والتسعين".

هنا نرى أكثر من إضافة تلقي ضوءاً جديداً على المثل فهو أولاً من أمثال الملكوت. لأنه يختص بجمع الضال، والبعيد، والشارد، في الملكوت الجديدة. "أذهبوا إلى السياحات والأزقة، وادعوا العرج والعمي والعتم".وهو يذكر هنا المتاعب التي تحملها، الأمر الذي لم يرد ذكره في المثل الوارد بالبشائر القانونية. وهو يختم بنصيحة للضال على أساس محبة الراعي، وعنايته الفائقة به أكثر من التسعة والتسعين. أن قلب الراعي مع الحمل الشارد. يقول يسوع بعد قيامته "اذهبوا قولوا لأخوتي، ولبطرس" إنه يذكره بالذات لأنه أنكره– "طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك"

ومن أمثال الملكوت نلتقي أيضاً بمثل الكنز المخفي "يشبه الملكوت إنساناً له كنز خفي في حقله دون أن يعرف. شيئاً... فباعه. والذي اشتراه راح يحرثه. فوجد الكنز، وراح يقرض بالربا[٩] كل من أراد.

أما مثل المرأة والخميرة عن الملكوت فنقرأ عنه هكذا. "يشبه ملكوت الآب امرأة، أخذت خميرة صغيرة وخبأتها في بعض العجين، ومنه صنعت أرغفة كبيرة من له أذان للسمع فليسمع" هنا نجد الإضافات، في صغر الخميرة، إشارة إلى النشأة المتواضعة للملكوت، وصناعة الأرغفة، إشارة إلى الإشباع الذي تجده الجموع الجائعة في خبز الحياة. وكذلك نرى إشارة للواسطة البشرية التي يصنع بها الخبز. ويقدم إلى أن الله يعمل عن طريق البشر.

وفي مثل حبة الخردل، نقرأ عن الملكوت أنه... "يشبه حبة خردلٍ، وهي أصغر جميع الحبوب، ولكن متى سقطت في الأرض المحروثة، تخرج نباتاً كبيراً، وتصبح مأوى لطيور السماء" هنا الإضافة، في طبيعة الأرض التي تسقط عليها الحبة. فلابد

[٩] ن الإقراض بفائدة يشير إلى متاجرة من يصل إلى كنز الملكوت، عن طريق ربح النفوس للمعرفة الغنوسية

وأن تكون مجهزة بوسائط النعمة، محروثة بمحراث الألم، منكسرة بروح الاتضاع. حتى ينبت فيها بذار الملكوت الجديد.

إلا أن هذا الملكوت، له رافضوه، والثائرون عليه. وفي مثل فعلة الكرم الأردياء الذين قتلوا الابن، نرى صورة لهذا.. والمثل هنا صورة طبق الأصل لما ورد في البشائر القانونية؟؟

ومع أن هذا ما فعله أولئك الأردياء، إلا أن الدعوة ما تزال تقدم إليهم، وباب المراحم مفتوح أمامهم، إذا عادوا لصوابهم. وقبلوا مراحم الآب وفي مثل الرجل الثري، صانع العشاء نكتشف هذا "وحينما أعدّ غداءه أرسل عبده، ليدعو الضيوف فذهب إلى أولهم وقال: "أن سيدي يدعوك" فأجابه "أن لي حقوقاً ضد بعض التجار. وينبغي أن أذهب، وأعطيهم شروطي أسألك أن تعفيني. من العشاء. وذهب الآخر وقال له "أن سيدي يدعوك" فأجابه "لقد اشتريت بيتاً.. وليس لديّ وقت فراغ" وذهب لآخر وقال له "أن سيدي يدعوك" فقال له "أن صديقي يستعد للزواج. وعليّ إعداد المأدبة. ولن أستطيع أن آتي، أسألك أن تعفيني.. "وذهب لآخر وقال له "إن سيدي يدعوك. فقال له "لقد اشتريت حقلاً، وأنا في طريقي لأجمع الإيجار. ولن أستطيع أن آتي. أسألك العفو" فرجع العبد. وقال لسيده أن الذين دعوتهم للغداء، إلى الشوارع، واصطحب أولئك الذين تلتقي بهم" ثم يختتم المثل بالقول. "أن التجار، ورجال الأعمال، لن يدخلوا أماكن أبي" كلمة غريبة ولا شك. ولكن ألا نستمع فيها إلى صدى كلمات المسيح. "ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى الملكوت؟"

حذار إذاً .. قبول الملكوت يتعلق- إلى جانب كبير- بإرادة الإنسان. لذلك فإن المسئولية قائمة، والدينونة واقعة. على أن الملكوت أيضاً يمكن أن يُفقد من الإنسان، بعد قبوله .. يمكن أن يفلت من يدي إنسان، وهنا تكون الطامة الكبرى. لأن الذين استنيروا مرة ... وسقطوا لا يمكن قبولهم ثانية. ولا ينتظرون إلا نار دينونة رهيبة عتيدة أن تأكل المضادين إذا أنهم يصلبون ابن الله ثانية ويشهرونه.

ويؤكد كاتب "إنجيل توما" هذه الحقيقية، في مثل طريف "يقول يسوع، يشبه ملكوت الآب امرأة، تحمل (على رأسها) جرة مملوءة طعاماً. وبينما تسير في الطريق بعيداً عن المنزل، إذا بيد الجرة تتكسر وتسقط (ولعل الإناء كان

مشروخاً)[10] والطعام يُفرغ خلفها في الطريق وهي لا تعرف ذلك، ولم تلاحظ أي حادث. وحينما وصلت إلى المنزل، أنزلت الجرة، فوجدتها فارغة.."

ولكن أين هذا الملكوت؟ هل ننزل إلى البحر لنكتشفه؟

هل نصعد إلى السماء لنجدة؟ بأية وسيلة نصل إليه؟

وعن "إنجيل توما" أيضاً نقتبس الجواب. "يقول يسوع: إن كان أولئك الذين يقودنكم. يقولون لكم، انظروا ها الملكوت في السماء. فأن طيور السماء قد سبقتكم. بل بالحري ها الملكوت داخلكم... وحينما تصلون إلى تحقيق ذواتكم... حينئذ تتحققون بأنكم أنتم أبناء الله الحي..." ألا نجد هنا صدى لقول المسيح لتلاميذه "ها ملكوت الله داخلكم؟" غير أن المفهوم الغنوسي لهذا القول هو مغاير لهذا الفكر تماماً.

ويُنسب إلى المخلص قوله في: أبوكريفا يعقوب[11] "لقد قبلتم مراحم (الآب) ألا ترغبون في أن تمتلئوا؟ إن قلوبكم سكرى (بالعالم) ألا تريدون أن تفيقوا؟ لذلك أخجلوا. وسواء كنتم صاحين، أم نائمين، اذكروا أنكم رأيتم ابن الإنسان، وأنه تحدث إليكم بشخصه. واستمعتم إليه بأنفسكم ... فالحياة لكم. أعلموا أنه شفاكم حينما كنتم مرضى، حتى تحتلوا عرس الملك.... لذلك أقول لكم كونوا ممتلئين، ولا تتركوا فراغاً في داخلكم. حتى لا يسخر منكم الآتي...

لقد قلت لكم امتلئوا حتى لا تكونوا في حاجة. فأولئك الذين هم في حاجة، لن ينالوا الخلاص... لذلك ينبغي أن تمتلئوا بالروح."

وعندها يقول له يعقوب "يارب لا تسمح بأننا نُجّرب من الشيطان .. من الشرير.."

فيجيبه يسوع ..

"وأي فضل لكم؟ .... إلا إذا جُربتم من الشيطان، واضطُهدتم، وعملتم إرادة الآب؟ فإني أقول لكم بأن الآب سيحبكم، ويجعلكم مساويين لي. ويحسبكم محبوبين في عنايته. ألا تعلموا بأنه ينبغي أن يُساء إليكم بلا حق، وأن يُلقى بكم في السجون،

---

[9] ما يرد بين قوسين ليس موجوداً في الأصل... بل من رأي الكاتب

[10] جميع الكلمات بين قوسين ( ) غير موجودة في الأصل.

وأن تصلبوا بلا سبب.. مثلي أنا ؟ هل تجرأون أن تصونوا الجسد، أنتم الذين يحيط بكم الروح، كجدار محيط؟ تأملوا كم استمر العالم قبلكم. وكم سيستمر من بعـدكم، وأنتم تكتشفون أن حياتكم، ما هي إلا يومٌ واحد، وآلامكم ساعة واحـدة. احتقـروا الموت، وامتلئوا بفكر الحياة. اذكروا صليـبي، وموتـي، وأنتم تحـيون ...

"انظروا كيف إني نزلت، واحتملت الضيقات، ونزعت تاجي، لأجل خلاصـكم. لقد نزلت لأسكن معكم، حتى تسكنون معي أنتم بدوركم. وإذا وجدت بيـوتكم بـلا سقف، جعلت مسكني في بيوتكم، يا من قبلتموني "استمعوا إلي الكلمـة.. أدركـوا المعرفة. أحبوا الحياة. ولن يؤذيكـم أحـد، ولـن يظلمكـم أحـد، أكثـر مـن أنفـسكم..." وقُبيل صعوده، يقول السيد لتلاميـذه في إنجيلِ مريم"

"سلامي معكم. اقبلوا سلامي في نفوسكم. أحذروا من أن يضلكم أحد قائلاً..

"إنه هنا" أو"إنه هناك".. لأن ابن الإنسان هو في داخلكم[١٢] سيروا في خطواتـه. فأولئك الذين يطلبونه يجدونه. اذهبوا وأكرزوا بإنجيل الملكوت. لا تضعـوا قوانين أكـثر من التي عينتها لكم. ولا تعطوا ناموساً مثـل معـطي النـاموس، (لـئلا تنحصروا به ..) ولما قال هـذا مضى عنهم ....

وسوف نعرض في الفصول القادمة لمختارات من مكتبة نجع حمادي، ونسـبق كل كتاب منها بملخص لمحتويات ذلك الكتـاب.. وجميـع هـذه الملخـصات منـقولة عن كـتاب " The Nagaa Hammadi Library" للدكتور روبنصون ....

[١٢] إن المفهوم الغنوسي، عن كون المسيح في قلب الإنسان، يحتمل المعني الصوفي، عن كون الإنسـان أصـبح الله، بديلاً عن العقيدة المسيحية. وهنا لا صلة بين الفكر المسيحي، والمفهوم الغنوسي...

الفصل الثامن

"إنجيل الحق"[١٢]

إنجيل الحق. نبذة غنوسية، يرجح أنها من عمل فالنتينوس نفسه. مؤسس الغنوسية الفالنتينية. وعنوان العمل، نجد ما يقابله فيما كتبه إيرينائوس عن "إنجيل الحق" وهذا يعطينا الدليل، على أن الأصل اليوناني، يمكن أن يرجع تاريخه إلى النصف الأخير من القرن الثاني الميلادي.

وعلى الرغم من عنوانه، فإن هذه النبذة، لا تقدم لنا إنجيلاً عن يسوع التاريخ، بالمعنى المفهوم. ومع ذلك فهي تعتبر إنجيلاً، حيث أنها تقدم الأخبار السارة عن يسوع الكلمة الإلهي الأزلي، الذي أعلن لنا الآب، بل أعلن لنا معرفة النفس الفائقة الفهم. لأنه عن طريق هذه المعرفة الذاتية، يستطيع الغنوسي أن يعرف من هو، ومن أين أتى وإلى أين يمضي. إنه يتحقق بذلك، إنه من أولاد الآب، أن له أصله الإلهي، وأن منشأه، وكذا مصيره، هو إلى الآب. لذلك يمكن أن يُقال أن مثل هذا العمل، هو إنجيل الفرح، والبهجة، لمن نالوا هبة معرفة الآب. فكابوس حياة الجهل، وليل الظلمة القاسي. قد تحول إلي حياة الفرح بالاتحاد مع الآب...

ومع أن إنجيل الحق، لا يقتبس شيئاً، من تعاليم العهد القديم، أو كتابات العهد الجديد، إلا إننا نستطيع أن نكتشف ما يقابله، في كثير من الفقرات في العهد الجديد. أنه شهادة قوية للغنوسية المسيحية إلا أن هذا لا يقلل من الحقيقة أنه لا صلة له بالأسفار القانونية.

١٢.هذه ترجمة للنص الكامل للسفر القبطي عن الترجمة الإنجليزيةالتي قام بها جيمس روبنصون في كتابه The Naga Hammadi Library ص ٣٧ - ٤٩

(إنجيل الحق)[14]

إنجيل الحق، هو فرح لأولئك الذين قبلوا، من أب الحق، هبة معرفته، عن طريق سلطان الكلمة الذي صدر من الملء (بليروما) الواحد الذي كان في فكر، وعقل الآب الواحد الذي نخاطبه كالمخلص. هذا هو الاسم الذي أُعطي له، بسبب عمله الذي سيعمله لخلاص أولئك الذين يجهلون الآب، بينما الإنجيل هو بشارة الرجاء لكل من يسعون إليه، ويطلبونه.

وفي الحقيقة لقد خرج "الكل" باحثاً عن الواحد الذي منه صدر. وكان "الكل" فيه، ذلك الغير مُستقصى.. الغير مدرك الذي يعلو على كل فكر. إن الجهل بالآب، قد جلب معه العذاب والرعب. والعذاب تكثف مثل ضباب كثيف. حتى لا يستطيع الواحد أن يرى هذا هو الإنجيل .. الذي أُعلن لأولئك الذين كُملوا عن طريق مراحم الآب، بالسر الخفي يسوع المسيح. وعن طريقة استنارة أولئك الذين في الظلمة. ومن دائرة النسيان والضياع أنارهم مُظهراً الطريق. والطريق كان الحق الذي علّمه إياهم. لأجل هذا السبب، إمتلأ الخطأ غضباً عليه، واضطهده وتألب عليه، ولكنه لم ينل منه شيئاً. وعلى شجرة سمّرة. فأصبح ثمرة معرفة الآب، التي لا تضيع بواسطة من يتناولها ويأكلها، بل تصبح له، في الاكتشاف، سر بهجته. لأنة أكتشفها في ذاته. واكتشفته في ذواتها- غير المدرك الذي لا يمكن الوصول إليه الآب الواحد الكامل الواحد الذي صنع الكل بينما كان الكل فيه والكل كان بحاجة إليه حيث كان يحمل تكميلها في ذاته ... وكما في حالة واحد من أولئك الذين يجهلونه، ويرغبون في معرفته- لأنه ماذا يحتاج الإنسان أكثر من معرفة الآب. أصبح لهم مرشداً.

لقد تغلغل في وسط المدارس وتحدث بالكلمة كمعلم. وإليه أتى الحكماء- في نظر أنفسهم- محاولين أن يمتحنوه. ولكنة أفحمهم لأنهم كانوا أغبياء وهكذا أبغضوه لأنهم لم يكونوا فهماء بالحقيقة.

---

[14] الترجمة هنا، يقدمها المعرب حرفاً بحرف، حتى أنه إن كانت تبدو غامضة في معظم أجزائها، فهي في النص الإنجليزي كذلك- أن هذا السفر بكامله بحاجة إلى تفسير وهو يفوض بنا- دون تصوير أو أمثلة- إلى قلب الغنوسية الفالنتينية ومع ذلك لا نعدم لمسات واضحة غاية في الروعة تتفق مع العقيدة المسيحية. هنا على سبيل المثال اقتباس تفسيري عن الرؤيا (٥)

وبعد ذلك أتى إليه الأطفال الصغار، الذين إليهم تنتسب معرفة الآب. وإذ نـــالوا القوة، تعلموا الكثير عن انطباعات الآب. لقد عَرفوا، وقد عُــرفوا، لقد تمجدوا، وقد مُجدوا ففي قلوبهم قد أعلن السفر الحي للأحياء، السفر المكتوب في فكــر، وعقــل الآب. والذي من قبل تأسيس الكل، كان في باطنه غير المستقصي- هذا السفر الذي ما استطاع أحد أن يأخذه، لأنــة كان محفوظاً للواحد الذي كان سيأخذه ويُذبــــح. ولا واحد كان ممكنا أن يظهر في الخلاص، بين أولئك المؤمنين، ما لم يتوسط هذا السفر. من أجل ذلك، فإن الرحيم الواحد، الإبن الواحد، يسوع، كان صــبوراً فـــي قبول الآلام، حتى أخذ السفر، حيث أنه يعــرف أن في موته حياة لكثيرين.

وكما تكمن في الوصية، قبل أن تفتح ثروة المتوفي رب البيت، هكذا كان الأمر مع "الكل" الذي ظل مختفيا، بينما أب "الكل" كان غير مرئياً الواحد الذي منه، ومن ذاته، تصدر كل الأبعاد. لأجل هذا ظهر يــسوع. وارتدى السفر[١٥] وسُــمِّر علــى شجرة، وأُعــلن مرسوم الآب على الصليب.

يا للتعليم الأعظم! لقد اجتذب نفــسه، نازلاً إلي المــوت، مع أن الحياة الأبدية كانت تكســوه. وإذ جرد نفسه من الخرق الفانية، لبس عــدم الفنــاء الــذي مــن المستحيل لواحد أن ينزعه عنه وإذ دخل إلي مساحات المفزعات الرهيبة، اجتــاز وسط أولئك الذين تجردوا بالنسيان، فأصبحوا عراة، صائراً معرفة، وكمالاً لهــم، معلنا الأشياء التي في قلب الآب، حتى يُعــلم أولئــك الذين يقبــلون التعليم ... لأن أولئــك الذين يقبلون التعليم، هم الأحياء الذين كتبوا في ســفر الأحيــاء. يتلقــون التعلــيم، عن أنفسهم. هم يأخــذونه من الآب عائدين إليه. وحــيث أن تكمــيل "الكــل" هو في الآب، لذلك يلزم أن "الكل" يصعــد إليه. لــذلك، إن كــان لواحــد المعرفة، يقبل ماله، ويتمثله في ذاته. لأن من هو جاهل، هو في حاجة. وما يعوزه عظيم. حيث ينقصه ما يلزم لتكميله. ذلك لأن تكميل "الكل" هو فــي الآب، ومــن اللازم "للكل" أن يصور إليه. ولكل واحد أن يقبل ما هو له، لذلك سبق فأثبته مُعــداً إياهم ليُعطي لأولئك الذين منه قد خرجوا

لأن أولئك الذين عرف اسمهم مســبقًا، دعاهــم في النهاية، ذلك لأن الذي لــه المعرفة هو ذاك الذي نطق الآب بأسمه. لأن ذاك الذي لــم ينطــق باســمه. هــو الجــهل. لأنه كيف يمكن أن يسمع الواحد، إن لم يكن دعي باسمه؟ لأن مــن هــو

---

[١٤] Put on that book، وفي ترجمة آخرى وردت (وأخذ السفر)

جاهل إلى النهاية، هو مخلوق الضياع والنسيان وسوف يختفي معه. وإن لم يكن، فكيف يمكن أن أولئك البؤساء، الذين ليس لهم اسم، ليست لهم دعوة؟

لذلك إن كان لواحد المعرفة، فهذا من فوق. وهو حين يُدعى يسمع، فيجيب، ويتجه إلى ذاك الذي يدعوه، ويصعد إليه. وهو يدرك بأية طريقة قد دُعي. وإذ له المعرفة، يفعل إرادة ذاك الذي دعاه، راغباً في عمل مسرته، فينال الراحة..

إن اسم كل واحد يأتي إليه. والذي يقدر له المعرفة، بهذه الطريقة يعرف من أين أتى، وإلى أين يذهب. إنه يعرف كواحد أصبح ثملاً فأفاق من سُكره. وعاد إلى نفسه، وأعاد ترتيب ماله[16] لقد أعاد كثيرين من الخطأ، على أساس عمق ذاك الذي يحيط بكل الأبعاد، في الوقت الذي لا يحيط به شيء. ولقد كانت معجزة عظمى، أنهم في الآب، لا يعرفونه، وأنهم يقدرون أن يخرجوا بذواتهم، حيث أنهم لا يقدرون أن يدركوا أو يعرفوا، الواحد الذي هم فيه. وهكذا ما لم تكن إرادته. قد صدرت عنه، لأنه أعلنها على أساس معرفة فيها تتم كل صدوراته[17].

هذه هي معرفة السفر الحي، الذي أعلنه للدهور إلى آخر حرف، معلناً كيف أنها ليست منطوقات، أو حروفاً متحركة، حتى يستطيع الإنسان أن يقرأها، ويفكر في شئ غبي، ولكنها حروف الحق، التي ينطق بها أولئك الذين يدركونها.

وكل حرف هو فكر كامل مثل سفر كامل، حيث أنها حروف كتبت بواسطة الوحدة *Unity*. الآب الذي سطرها للدهور، حتى يعرفوا الآب، عن طريق هذه الحروف. أن حكمته تتأمل الكلمة وتعليمه ينطق بها، ومعرفته تعلنها. وأناته هي تاج عليها، ومسرته في اتساق معها، ومجده يرفعها، وصورته تعلنها، وراحته تقبلها في ذاتها، ومحبته تعطيها جسما، وإخلاصه يحتضنها وعن هذا الطريق، تصدر كلمة الآب في"الكل" كثمرة قلبه، وانطباع إرادته... يسوع الذي هو لا نهائية الوداعة.

والآب يكشف عن صدره. وصدره هو الروح القدس. إنه يُعلن ما هو خفي فيه. وما هو خفي فيه هو ابنه، حتى إنه، بواسطة مراحم الآب، تستطيع الدهور أن تعرفه وتكف عن التعب في البحث عن الآب، مستريحة فيه، عالمة أن هذه هي

---

[15] في ترجمة آخرى (ما هو حق له)

[16] في ترجمة آخرى (لأنه بالفعل لم تأتِ مشيئته منه)

الراحـــة. وإذ يملأ كل نقص يلغي الشكل- وما الشكل إلا هذا العالم، الــذي فيــه عمل. لأن المكان الذي يملأه الحسد، والصراع، هو مكان النقص. ولكــن المكــان الذي تسوده "الوحدة"، هو الكمال وحيث أن النقــص جاء إلى العالم لأن الآب، لــم يكن مــعروفاً لذلك، فإنه منذ اللحظة التي عرف فيها الآب، لا يوجد بعد نقــص.

وكما في حالة جهل الإنسان، حينما يصل إلى المــعرفة، فإن جهله ينتقي مــن نفسه كما تختفي الظلمة حين يشرق النور، هكذا يختفي النقص أيضا في الكمـــال. حتى أنه منذ تلك اللحظة، لا يظهــر الشــكل *From* بــل يختفــي، مُبتلعــاً فــي "الوحدة" *unity* وفي الوقت المحدد يكمل الوحدة كل فراغ. لأنه في قلب الوحــدة، يحقق كل واحد ذاته. وفي قلب المعرفة يطهر نفسه من التعدد إلى الوحدة، مبتلعــا المادة في ذاته، كما تبتلع الظلمة بالنور، والموت بالحياة.

إن كانت قد حدثت هذه الأمور حقاً لكل واحد منا، علينا فوق كل شئ، أن نجعل المسكن مقدساً، وساكنا هادئا "للوحدة" وكما في حالة بعض الناس، الذين ينتقلون من بيت، به أواني رديئة، يحطمونها، ورب البيت لن يخسر شيئا. بل هــو بـــالأحرى يُسر، لأنه في مكان الأواني الرديئة، هــناك الأواني الممتلئة التي تكــمل. لأن هذه الدينونة التي أتت من فوق. فلقد صدرت على كل واحد، فأصــبحت كسيـــف ذي حدين، قاطــع في كل جانب فحينما. أتت الكلمة في الوسط، ليست كصوت مسموع فقط، في قلب أولئك الذين ينطقون بها، ولكن صارت جسدا، حدث اضطراب كبير بين الأواني لأن البعض كان قد فرغ، والبعض الآخر امتلأ ... البعض قد تنقــي. والبعض الآخر تحطم. كل الفراغات تزعزعت لأنه لا ترتيــب لها، ولا ثبات. لقد ارتبــك الخطأ وهو لا يعلم ما عساه يفعل، فامتلأ حزنا، ونواحا، معذبا نفسه لأنه لم يعرف شيئاً. وحينما اقتربت المعرفة منه، كان في هذا سقوط الخطأ بكل صدوراته. فالخطأ فارغ، لا يحوى شيئاً بداخله. وجاء الحق في الوسط. وعرفته كل صدوراته. وحبوا الآب في الحق، بسلطان كامل، بوحدهم مع الآب. لأن الحق هو فــم الآب، ولسانه هو الروح القدس. والذي ارتبط بالحق، ارتبط بفم الآب، ولسانه، حينما يقبل الروح القدس. هذا هو ظهور الآب، واستعلانه لكل دهوره.

(*Aeons*) دَهْر: لقد أظهر ما هو خفيّ فيه، مفســراً إياه لأنه من يحــوي كــل الأبعاد، إن لم يــكن الآب؟ لأن كل الأبعاد هي مشيئته. لقد عرفت أنهــا صــدرت عنه، مثل الأبناء، من الرجل. لقد عرفت أنها لم تأخذ شكلاً. ولا أخذت اسمــا، كل

واحد من هذه الصـــدورات التي ولدت عن الآب. وحـــين تقبل شكلا بمعرفتـــه، ولو أنها متضمنة محتواةٌ فيه، إلا أنها لا تعرفه. وإذا رغب في أن يُظهر ذاته فلمن يرغب يظهر بإعطائه شكلا، وإعطائه اسما. وهو يعــطي اسماً له، ويظهره، حتى يظهر للوجود، أولئــك كانوا قبل الوجود هم في جهلٍ عَمن شكّلهم .. وأنني لا أقول بأنهم لا شيء على الإطلاق. الذين لم يظهروا للوجــود، ولكنهم في احتــواءٍ فــي ذاك، الذي إذا أراد يقدر أن يجعلهم يظهرون للوجود، حين يريد، في الوقــتٍ الآتي فقبل أن تظــهر كل الأشياء يعرف ما سوف ينتجه. ولكن الثمرة التي لم تظهر بعد، لا تعرف شيئا، ولا تفعل شيــئا. وكذا فأن كل بُعد، الذي هو ذاته في الآب، هو من الواحد الكائن، الذي أنشأها مما ليس كائنا. لأن الذي ليس له جذر، ليست له ثمــرة أيضاً. وهذا مع أنه يفكر في نفسه: أنني جئت إلى الوجود، إلا إنه ســوف يهلــك بنفسه. لهذا السبب ذاك الذي لا وجود له بالمرة لن يظهر للوجود. فماذا يريــده أن يفتــكر في نفسه؟

هذا لو جئت إلى الوجود مثل أشباح الليل، وخيالاته. وحينــما يُشرق النور على الرعب الذي أخــتبره ذاك، يعــرف أنه لا شئ .. وهكذا كانوا في جهل عن الآب. الواحد الذي لم يشاهدوه.

وحيث أن هناك الرعب، واضطراب، وعدم الثبات، والشــك، والإنقســامات، وهناك أكثر من تضليل يعمل، بواسطة هذه، كانت هناك الخيالات الجوفاء، وكأنهم في نومٍ عميق، أو في أحلامٍ مزعجة. فإما هناك المكان الذي إليه يهربون، أو بدون قوة يأتون، إذْ تابع أحدهم الآخر، أو يدخلون /ينطوون في مضاربات، أو ينــالون الضربات أنفسهم، أو يسقطون من حالق، أو يطيرون في الهواء، ولو أنه ليست لهم أجنحة. وفي أحيان أخرى (يبدو) لهم وكأن قوماً يهجمون عليهم ليقتلوهم، ولو أنــه لا يوجد من يقتفي أثرهم، أو إنهم يقتلون جيرانهم، لأنهم تلطــخوا بدم أنفسهم.

وحينما يحدث لأولئك الذين يجتازون في مثل هذه الأمور، أن يَفيقوا، لا يجدون شيئا، أولئك الذين هم في تلك الاضطرابات. لأنهم لا شيء. هذا هو طريق أولئــك الذين ألقوا الجهل جانبا كالنوم. غير مقدرين أنه شيء، ولا مقدرين أعماله أيضـــا، بل تاركين إياه وراءهم، كحلمٍ في الليل. أما معرفة الآب فيقدرونها كالفجر. هذا هو طريق كل واحد عمل كأنما كان نائما، في وقت جهله.

وهذا هو الطريق الذي وصل به إلى المعرفة، كأنما استيقظ. وطّيب للإنسان، أن يستيقظ. وطوبى لذاك الذي فتح أعين العميان، وجَرَى الروح مسرعاً خلق، موقظاً إياه.وإذ مد يده إلى ذلك الساقط على الأرض، أوقفه على قدميه، لأنه لم يكن قد قام بعد. وأعطاهم وسائل المعرفة: معرفة الآب، وإعلان ابنه.

لأنهم حين شاهدوه، وسمعوه، أعطاهم أن يذوقوا، وأن يشمّوا، الابن الحبيب. ويلمسوه. وحين ظهر معلماً إياهم عن الآب، الواحد غير المدرك، ونفخ فيهم مما في عقله[١٨] ليفعلوا إرادته، حينما قبل كثيرون منهم النور، واتجهوا إليه. لأن المادتين كانوا غرباء، ولم يروا شبهة ولم يعرفوه. لأنه جاء في صورة جسدية. دون أن يقف في طريقة شئ. لأنه هو عديم الفساد، الذي لا يقاوم وإذ تحدث بأشياء جديدة، متكلماً عمّا في قلب الآب ... إذا بالنور يخرج من فمه، وصوته يعطي الحياة. وأعطاهم فكراً، وفهماً، ورحمةً، وخلاصاً، والروح القوى من لانهائية، ولطف الآب، وجعل الألم، والعذاب يتوقفان لأن هذه كانت تبعدهم بعيدا عن وجهه، أولئك الذين كانوا في حاجة إلي رحمته، وهم في الخطأ، وفي القيود. وبسلطانه أفناها، وحيّرهم بمعرفته. لقد أصبح طريقا لأولئك الضالين، ومعرفة للجاهلين، واكتشافاً للباحثين، وعماداً للمترنحين، وعذراوية وبتولية لأولئك الذين تدنسوا.

إنه الراعي الذي ترك خلفه التسعة والتسعين خروفا، التي لم تُفقد. وذهب يبحث عن الخروف الذي فقد. وامتلأ فرحاً حين وجده. فإن عدد (٩٩) هو في اليد اليسرى التي تمسك به، ولكن حين يوجد الواحد، ينتقل العدد الكامل إلي اليد اليمنى، التي تأخذ ما هو ناقص من جانب اليد اليسرى وتأتي به إلي اليد اليمنى. وهكذا يصبح العدد (١٠٠).إنه علامة الواحد الذي يكملها. إنه الآب[١٩] وحتى في السبت، هو يعمل لأجل الخروف الذي وجده ساقطاً في الحفرة. لقد أعطى الحياة للخروف الذي أخرجه من الحفرة حتى تعرفوا أنتم في الباطن. يا أبناء المعرفة الباطنة– ما هو السبت الذي لا ينبغي أن يبقي الخلاص فيه خاملاً حتى تتكلمون من اليوم المنير من العلاء، الذي لا ليل له ومن النور الذي لا يضعف لأنه كامل. قولوا إذاً من قلوبكم أنكم أنتم النهار الكامل. وفيكم يسكن النور الذي لا يسقط.

---

[١٧] لاحظ أن نفخة الابن لا تقدم الروح القدس بل تقدم العقل.

[١٨] لاحظ التأويل الغنوسي للمثل.

تحدثوا عن الحق، مع أولئك الذين يبحثون عنه. وعن المعرف لأولئك الذين ارتكبوا الشر، في خطأهم. اثبتوا قدام أولئك الذين تعثروا. ومدوا أياديكم إلى أولئك المرضى. أطعموا الجائعين، وأعطوا راحة للمتعبين. لأنكم أنتم الفهم الذي خرج. إن كانت القوة تعمل هكذا، فهي تصبح أكثر قوة. كونوا مهتمين بذواتكم، ولا تعيروا التفاتا للأمور الأخرى، التي نبذتموها عن أنفسكم. لا تعودوا إلى قيئكم لتأكلوه. لا تكونوا عُثاً، ولا ديدانا، لأنكم قد طرحتموها عنكم. لا تكونوا مسكنا للشيطان لأنكم أفنيتموه لا تقووّا أولئك الذين هم عقبة في طريقكم، الذين ينهارون، وكأنكم كنتم سنداً لهم. لأن عديم البر، ينبغي أن يعامل بقسوة ليس نظير البار[20] ذلك لأن الأول، يقوم بعمله كإنسان عديم البر. والأخير يقوم بعمله كبار بين الآخرين. لذلك اعملوا إرادة الآب، لأنكم منه. لأن الرب طيب وفي إرادته، أمور صالحة. لقد اعترف بالأشياء التي لك، حتى تجد الراحة فيها. لأنه بواسطة الثمار يستطيع الواحد أن يقر بالأشياء التي له. ذلك لأن أبناء الآب هم رائحته العطرة، لأنهم من نعمة وجهه. لأجل هذا السبب، يحب الرب رائحته، ويظهرها في كل مكان. فإذا امتزجت بالمادة، يُعطى رائحته العطرة، للنور، وفي راحته، يجعلها تفوق كل شكل وكل صوت. لأنة ليست الآذان، هي التي تشم الرائحة، ولكن الأنوف التي لها حاسة الشم، وتجتذب الرائحة إليها، وتغوص في عطر الآب إنها تأويها. وتأخذها إلي موضعها الذي منه جاءت- الرائحة الأولى التي بردت .. فإذا اجتذبتها الأنوف تعود إلي حرارتها. أما الرائحة التي بردت فهي من الانقسام. لأجل هذا السبب يأتي الإيمان، ليزيل كل انقسام، ويأتي بملء المحبة الدافئ، حتى لا ترجع البرودة مرة أخرى، بل تكون هناك الوحدة في الفكر الكامل.

هذه هي كلمة الإنجيل، لإكتشاف الملء (البليروما) للذين ينتظرون الخلاص من الأعالي. لأنه طالما ينتظرون الرجاء الذي يتوقعونه- أولئك الذين صورتهم هي النور بدون ظلال فيه- ففي ذلك الحين نجد الملء (البليروما) على وشك المجيء. أن قصور المادة لم ينجم عن طريق لا محدودية الآب، الذي هو على وشك (تكميل) كل نقص .. ولكن أعماق الآب تزايدت وفكر الخطأ لم يوجد فيه. أنه شيء يسقط وهو شيء يمكن بسهولة أن يقوم ثانية، في اكتشاف ذلك الذي أتى إليه، من سيرجعه ثانية .. لأن الرجوع ثانية هو التوبة.

[20] هنا نرى الثنائية التي تفرق بين نوعين من البشر - راجع الملاحق.

لأجل هذا نُفِخَ عدم الفساد وتبع ذاك الذي أخطأ، لكي يجد الراحة. لأن الغفران هو ما يتبقى للنور في النقص: كلمة الملئ (بليروما). لأن الطبيب يذهب إلى المكان حيث يوجد المرض لأن هذه هي إرادته التي فيه. والذي فيه نقص، لا يخفيه لأن لدى الواحد، ما ينقص الثاني. وهكذا الأمر مع الملء الذي لا نقص فيه أنه يعمل على أن يملأ ما ينقصه حتى يمكن أن ينال النعمة وحين كان ناقصا لم تكن لديه النعمة لأجل هذا. كان هناك التصغير قائماً. في الموضع الذي لا نعمة فيه. وحين قبل ذاك الذي صُغِّر أعلن ما ينقصه كملء. هذا هو اكتشاف الحق الذي قام عليه لأنه غير متحرك.

ولأجل هذا جاء الحديث عن المسيح في وسطهم. حتى ينال الذين ارتبكوا الرجوع. وحتى يمسحهم بدهن المسحة. أما المسحة هي مراحم الآب الذي سوف يترأف عليهم ولكن أولئك الذين مسحهم هم أولئك الذين أصبحوا كاملين. لأن الأواني الكاملة هي التي تمسح[21] ولكن حين تفك مسحة آنية تفرغ والسبب الذي من أجله هناك شق هو السبب الذي عن طريقة يذهب الدهن لأنه في ذلك الوقت تجذبه الأنفاس الواحدة بقوة الأخرى المرافقة لها ولكن منه- الذي ليس فيه نقص- لا يُفض الختم ولا يفرغ شئ. ولكن الذي ينقصه يكمله الآب الكامل ثانية.

أنه صالح. وهو يعرف زرعه. لأنه هو الذي زرعه في فردوسه. وما الفردوس إلا موضع راحته هذا هو التكميل في فكر الآب. وهذه هي كلمات تأملاته. وكل واحدة من هذه الكلمات هي عمل إرادته الواحدة في إعلان كلمته. فبينما كانت في أعماق فكرة الكلمة التي خرجت أولاً أعلنت هذه بفعل يتحدث بالكلمة الواحدة في النعمة الصامتة. ولقد لقب بالفكر، لأن هذه كانت فيه قبل أن تعلن ولقد خرجت في الوقت الذي فيه سُرت إرادة من أراد والإرادة هي ما استراح الآب فيه وسر به لا شيء يحدث بدونه ولا شيء يحدث بدون إرادة الآب ولكن إرادته لا تستقصي.

وحين يريد هذه إرادته أمام الله إنها إرادة الآب لأنه يعرف بداية هذه الكلمة ويعرف أيضا نهايتها. لأنه في النهاية سوف يستجوبها مباشرة. أما النهاية فهي قبول المعرفة عن ذاك الخفي. وهذا هو الآب الذي فيه خرجت البداية وإليه يرجع الكل الذي منه خرج. ولقد ظهرت لمجد وفرح اسمه. والآن فإن اسم الآب هو الإبن. فهو الذي أعطى الإسم لأولاد الواحد الذي خرج منه الذي هو ذاته وولده كاين ولقد

[20] الاستعارة هنا مأخوذة عن زيت المسحة ووضعه في الأواني حيث يختم لتخزينه

أعطاه الاسم الذي ينسب إليه فهو الذي ينتسب إليه كل ما يحيط به الآب. له الإسم. وله الإبن. ومن الممـكن له أن يرى. ولـكن الاسـم خفي لأنه هـو وحدة سر ما هو خفي؛ الذي يصل إلى الأذان التي تمتلئ تماماً به.لأنه حقا؛ اسم الآب لا يُنطـق به ولكنه ظاهر عن طريق الإبن على هذا الأساس.فالإسم شئ عظيم. لأنه مـن ذا يستـطيع أن ينطق بإسـم له الإسم العظيم إلا الذي وحده ينتسب إليه الاسم وأبناء الاسم فيهم يستريح اسم الآب وحيث أن الآب هو غير مولود فهذا الواحد الذي ولد اسما لذاته قبل أن تصدر عنه الدهور حتى أن اسم الآب يكون على رأسها كـرب الذي هو الاسم بالحق الذي هو وطيد في أمره عن طريق سلطانه الكامل لأن الاسم ليس من مجرد كلمات. وليس اسمه يتكون من حروف منطوقة. ولكنه خفي. لقـد أعطى اسماً لذاته.لأنه يرى ذاته. فهو وحده الذي له السلطان أن يُعطى بذاته اسماً. لأن الذي لا يوجد.لا اسم له. لأنه كيف نعطى اسماً للذي لا يوجد. ولكـن الـذي يوجد، يوجد أيضاً مع اسمه هو يعرف ذاته. ولكي يُعطى ذاته اسماً هذا من حـق الآب. الابن اسمه. وهو لا يخفه في عمل. ولكن الابن وجد. هو وحدة الذي أعطى اسماً. والاسم علي ذلك هو اسم الآب. كما أن اسم الآب هو الابن. وكيف يمكن أن تجد الرحمة اسماً إلا مع الآب؟ ولكن يقول قائل لقريبة "من هو ذاك الذي يعطـى اسماً لذاك الذي وجُد من قلبه"؟.

* أولاً علينا أن نفكر في هذا الأمر ما هو الاسم؟ إنه الاسم في الحق إنه ليس الاسم من الآب لأنه الواحد الذي هو الاسم الصحيح لذلك فهـو لـم يأخـذ الاسـم كقرض، على أساس الشكل الذي فيه كل واحد يتكون. ولكن هذا هو الاسم الصحيح الملائم. فلم يعطه آخر هذا الاسم. ومع ذلك فهو غير المسمى، غير الموصـوف، حتى الوقت الذي فيه هذا الكامل يتحدث عن نفسه. وهو الذي له السلطان أن يتحدث عن اسمه وأن يرى المناسب لذلك.

لذلك حينما سر بأن اسمه الذي ينطق به، يكون ابنه وأعطى الاسم لـه ذلـك الذي خرج من العمق تحدث عن أموره الخفية عالماً أن الآب هو كائن بـلا شـر لأجل هذا السبب أظهره حتى يتحدث عن الموضع وعن مكان الراحة؛ الذي منـه خرج ولكي يمجد الملء (البليروما) وعظمة اسمه ووداعة الآب. ويتحدث أيضاً عن الموضع الذي أتى منه كل واحد وإلى الدائرة التي أخذ منها كيانه الجوهري سوف يعود ثانية وسوف يأخذ من هذا الوضع الموضع الذي يقوم فيه- نائلاً مذاقاً من ذلك

الموضع وآخذاً غذاءًا- ونائلا نمواً.أما موضع راحته فهو ملؤه. لذلك فكل مشيئة الآب هي الملء (بليروما بالجمع) وأصل كل صدوراته هو في ذاك الذي جعلها تنمو في شخصه. وهو الذي عين لها مواقعها وكل واحد في رتبته، يرسل فكرة لأن المكان الذي يرسل إليه تفكيرها هذا المكان هو أصله الذي يحملها إلى أعلى القمم إلى الآب أنها تمتلك رأسه الذي فيه راحتها وهى تلتصق به، وكأنما تقول بأنها تشارك وجهه بالقبلات ولكنها لا تظهر على هذا النحو لأنها لا تفوق أنفسها ولا ينقصها مجد الآب ولا تظن أنه صغير، أو أنه عنيف، أو أنه ثائر غضوب، ولكنة كائن بلا شر، وديع، يعرف كل الأبعاد. قبل أن تأتى إلى الوجود ولا حاجة به إلى من يلقنه.

هذا هو نمط أولئك الذين يمتلكون شيئا من الأعالي من الجلال الذي لا يستقصي.إذ يمتدون إلى الواحد فقط الكامل الواحد الوحيد الذي هناك لأجلهم.وهم لا ينزلون إلي الهاوية Hades ولا يمتلكهم الحسد، ولا الأنين، ولا الموت في داخلهم، ولكنهم يستريحون فيه، الذي هو في راحته دون جهاد، دون ارتباط في البحث عن الحق.لأنهم هم أنفسهم الحق، والأب فيهم وهم في الأب. قد كملوا وأصبحوا في غير تجزئة أو انقسام في الواحد الصالح فلم يعد ينقصهم شئ على أي وجه. ولكنهم يستريحون منتعشين في الروح وهم يهتمون بأصلهم *ROOT*. موجهين اهتمامهم إلى هذه الأمور التي فيها يجد أصله. ولا يفقد نفسه هذا هو مكان المطوبين. هذا هو موضعهم. لأن الراحة يستطيعون أن يختبروها في مواضعهم، ولا يليق بي، وقد وصلت إلى موضع الراحة، أن أتحدث عن شئ آخر، ولكن فيها سوف أكون مرتبطا كل الأوقات مع أب الكل، والإخوة الصادقين، أولئك الذين انسكبت عليهم محبة الآب، وفي وسطهم لا ينقصهم أنهم أولئك الذين يظهرون في الحق، حيث أنهم يظهرون في الحياة الأبدية الصادقة، ويتحدثون عن النور الذي هو كامل، والذي يمتلئ ببذرة الآب، والذي هو في قلبه. وفي الملء بينما روحة تسر فيه، وتمجد الواحد الذي فيه وجدت لأنه صالح لأن أولاده كاملون، وجديرون باسمة. لأنه الآب: هؤلاء هم نوع الأبناء الذين يحبهم ..

الفصل التاسع

أضواء على "إنجيل توما"

إنجيل توما، ليس إنجيلاً بالمعنى الدارج المفهوم، ويروي قصة حياة المسـيح، ويلقي الأضواء على يسوع التاريخ متضمناً تعاليمه، وأقواله، بل إنه مجموعة مـن الأقوال التقليدية، والنبوات، والحكم، وأمثال يسوع وفـي الأصـل كـان مكتوبـاً باليونانية، ثم ترجم إلى القبطية. وفي حوزتنا أجزاء من النص اليونـاني، يرجـع تاريخها إلى حوالي عام (٢٠٠م) لذلك فإن النص اليونـاني، وكـذلك السـرياني والآرامي قد كتب في الفترة ما قبل عام (٢٠٠م) ربما في منتصف القرن الثـاني، في سوريا، أو في فلسطين، أو في العراق. وينسب إنجيل توما إلى ديديموس يهوذا توماس وهو يهوذا التوأم، الذي كان يعتبر وعلى الأخص في الكنيسة السريانية من ضمن الرسل ..

أما علاقة "إنجيل توما" بالبشائر القانونية، فقد أثارت أكثر من جدل بين العلماء. فالكثير من أقواله لها ما يقابلها في البشائر الثلاث المتوازية (متى/ مرقس/ لوقـا). وبمقارنة ما جاء من أقوال فيه، مع ما ورد من نظائر لها في البشـائر الأزائيـة/ المتوازية يدفعنا إلى الظن بأن أقوال إنجيل توما، إما كانت معروفة بصورة بدائية، وإما هي تطويرٌ لصورة بدائية لهذه الأقوال وفي الحقيقة نكاد نضع "إنجيل تومـا" جنباً إلى جنب، مع مصدر البشائر التوافقية الذي يشير إليه العلماء بحرف *Q* مـن الكلمة الألمانية *Quelle* ومعناها "مصدر" وهى الكتابات التي كانت مصدر الأقوال التي ضمنها متى، ومرقس، ولوقا، في البشائر. وعلى ذلك ينتسب إنجيـل تومـا، ومصادره إلى مصادر أناجيل العهد الجديد.

أما تأثير التعاليم الغنوسية فأننا نلمسه واضحاً هناك،.ولو أننـا لا نسـتطيع أن ننسب إنجيل توما إلى أية مدرسة معينة، أو طائفة معينة غنوسية. وعنـوان هـذه المجموعة من الأقوال "الكلمات السرية التي نطق بها يسوع الحي" أي أنـه ربمـا كانت تستخدم هذه الأقوال وتتناقل بصورة سرية، خفيـة أمـا مجـازاة إدراكهـا والوصول إلى كنهها فهو إن من يعرفها، لن يختبر الموت. وبحسب إنجيل توما فإن

الإختبار الروحي أساساً يتمركز ليس فقط في معرفة شبه الإنسان الإلهي بل بالأخص معرفة أصل الإنسان أنه نور، ومصير الإنسان وهدفه: الراحة ولكي يرجع الإنسان إلى أصله على التلميذ أن ينفصل عن العالم، بطرح أو خلع الآزار الجسدي، والعبور إلى وجود عدم الفناء. وعندها يختبر العالم الجديد، وملكوت النور، والسلام، والحياة.

وسوف لا نفعل أكثر من اقتباس هذه الأقوال، وتضمينها في هذا الفصل دون تعليق. عدا الإشارة في بعضها إلي ما ورد نظيرها في البشائر التوافقية.

ويفتتح هذا المكتوب بالقول "هذه هي الأقوال السرية، التي نطق بها يسوع الحي والتي سطرها ديديموس يهوذا توما"

النص

١- وقال لهم، من يكتشف تفسير هذه الأقوال، فلن يختبر الموت.

٢- قال يسوع: دعْ ذاك الذي يبحث يسعى باحثاً حتى يجد. وحين يجد سوف يضطرب. وحين يصبح مضطرباً سوف يندهش، وعندها يتسلط على الكل.

٣- قال يسوع: إن كان الذين يقودونكم يقولون لكم انظروا الملكوت في السماء فإن طيور السماء قد سبقتكم وإن قالٍ لكم إنه في البحر إذاً فالأسماك تسبقكم إليه بل بالحري الملكوت في داخلكم، وأيضاً في خارجكم وحينما تتوصلون إلى معرفة ذواتكم، حينذاك سوف تصبحون معروفين وسوف تتحققون أنكم أنتم هم أبناء الآب الحي. ولكن إن لم تعرفوا ذواتكم، سوف تسكنون في الفاقة، وتصبحون أنتم الفاقة بعينها.

٤- قال يسوع: الرجل المتقدم في الأيام لن يحجم عن أن يسأل الطفل الذي بلغ السبعة الأيام من العمر عن مكان الحياة فيحيا. لأن كثيرين أولونُ يكونون آخرين، وسوف يكونون واحداً ومتشابهين

٥- قال يسوع: اعرفوا ما تحت أنظاركم، فما أخفي عنكم يصبح واضحاً لديكم لأنه ليس مكتومٌ إلا ويعلن

٦- وسأله تلاميذه وقالوا له "هل تريدنا أن نصوم؟ كيف نصلى؟ هـل نعطـى صدقة؟ ما هو الطعام الذي تريدنا أن نتناوله؟

قال يسوع: لا تكذبوا البتة، لا تفعلوا ما تكرهون، لأن كل الأشياء جلية واضحة في نظر السماء. لأنة ليس خفي إلا ويظهر لأنه لا يوجد شيء مخفي لا ينكشف

٧- قال يسوع "طوبى للأسد الذي يصبح إنساناً حين يأكله الإنســان. والويــل للإنسان الذي يفترسه الأسد فيصبح الأسد إنساناً"

٨- وقال أيضا "يشبه الإنسان صياداً حكيماً ألقى بشبكة في البحر. وجذبها مــن البحر ممتلئة سمكاً صغيراً ووسط هذه وجد الصياد الحكيم ســمكة كبيــرة فــألقى بالسمك الصغير مرة ثانية إلى البحر واختار السمكة الكبيرة بدون صعوبة. من لـــه أذان ليسمع فليسمع.

٩- هوذا الزارع قد خرج (ليزرع) وأخذ حفنة من البذار وبعثرها. والــبعض وقع على الطريق فجاءت الطيور، وجمعته. والبعض سقط علــى الصــخر. فلــم تتأصل جذوره في التربة، ولم يطرح سنابلاً. والبعض سقط على الشــوك فخنــق الشوك البذار، وأكلته الديدان. والبعض سقط على الأرض الجيدة، وأتــى بالثمــار الجيدة فأعطى ستين بالمكيال ومائة وعشرين بالمكيال.

١٠- قال يسوع: لقد ألقيت ناراً على العالم. وهوذا أنا أحرسها حتى تضطرم

١١- قال يسوع: هذه السماء تزول. والسماء فوقها تزول، والأحياء لن يموتوا، وفي الأيام التي فيها استهلكتم ما هو ميت، جعلتموه ما هو حــي. وحينمــا تــأتون لتسكنوا في النور ماذا ستفعلون؟

في اليوم الذي كنتم فيه واحداً، أصبحتم اثنين فإن كنتم قد صرتم اثنــين فمــاذا ستفعلون؟

١٢- وقال التلاميذ ليسوع: أننا نعلم إنك ستمضي عنا من إذاً يكون قائداً لنا؟

فقال يسوع لهم "حيثما كنتم، إذهبوا ليعقوب البــار، لأن مــن أجلــه الســماء، والأرض قد ظهرت للوجود."

١٣- قال يسوع لتلاميذه "شبّهوني بأي إنسان، وأخبروني من أُشبه؟"

فقال سمعان بطرس له "أنك شبيه الملاك البار"

وقال متى له "أنك شبيه الفيلسوف الحكيم."

وقال توما له "يا سيدي إن فمي ليعجز عن أن يقول أن لك نظير، من تكون؟"

فقال يسوع "أنني لست سيدكم، لأنكم شربتم، فسكرتم من النبع الفائر الذي فاض لكم.

ثم أخذه (توما) وانسحب به، وقال له ثلاثة أشياء، وحينما رجع توما إلى رفاقه سألوه" ماذا قال لك يسوع؟".

فقال توما لهم "إن أخبرتكم بواحد من الأشياء التي أخبرني بها، سوف تلتقطون الأحجار، وترجموني، ومن الأحجار سوف تندلع النار، وتحرقكم."

١٤- قال يسوع: إن كنتم تصومون سوف تذخرون خطيه لأنفسكم. وإن صليتم ستدانون. وإن أعطيتم صدقه فسوف تضرون أنفسكم. متى سرتم في أي مكان، وتجولتم في جوانبه، فإن قبلوكم، فكلوا مما يقدم لكم، واشفوا المرضى بينهم. لأن ما يدخل الفم لن ينجسكم ولكن الذي يخرج من فمكم هو الذي ينجسكم .

١٥- قال يسوع: حينما ترون من لم يولد من امرأة، انطرحوا أمامه على وجوهكم، وتعبدوا له هذا الواحد هو أبوكم.

١٦- قال يسوع: إن الناس يعتقدون إنني جئت لألقي السلام على العالم. ولا يعلمون إني جئت لألقي الانقسامات على الأرض: النار، والسيف، والحروب، لأنه سيكون هناك خمسه في البيت، ثلاثة ضد اثنين، واثنان ضد ثلاثة،.الأب ضد الابن، والابن ضد أبيه، وسيقف الكل كل واحد بمفرده.

١٧- قال يسوع: سوف أعطيكم، ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم تلمسه يد، وما لم يخطر على بال بشر.

١٨- قال التلاميذ ليسوع: أخبرنا كيف ستكون نهايتنا؟

فقال يسوع: وهل اكتشفتم أولاً البداية، حتى تتجهوا لمعرفة النهاية لأنه حيث البداية سوف تكون النهاية.

طوبى لذاك الذي يتخذ مكانه في البداية، فهو سيعرف النهاية ولن يختبر الموت.

١٩- قال يسوع: طوبى لذاك الذي أتى للوجود قبل أن يأتي للوجود إن كنتم أصبحتم تلاميذي، وسمعتم كلامي فهذه الأحجار تخدمكم. لأنه هناك خمس أشجار لكم في الفردوس، تبقى مزدهرة صيفاً وشتاءً. وورقها لا يسقط ومن يتعرف عليها لن يختبر الموت

٢٠- قال التلاميذ ليسوع "أخبرنا ما يشبه ملكوت السموات"

قال لهم "إنه مثل حبة الخردل، وهي أصغر الحبوب. ولكنها حين تسقط على أرض محروثة. تنتج شجرة كبيرة وتصبح مأوى لطيور السماء

٢١- قالت مريم ليسوع "ماذا يشبه تلاميذك"؟

فقال "إنهم يشبهون أولاداً خلُوا في حقل ليس لهم، فحينما يأتي أصحاب الحقل قائلين إرجعوا إلينا حقلنا، يتجردون من ثيابهم في محضرهم.حتى يعيدوا إليهم الحقل، لذلك أقول لكم لو عرف رب البيت أن اللص آت فإنه يبدأ سهره قبل أن يأتي ولا يدعه ينقب في بيته الذي تحت سلطانه ليسلب حاجياته. لذلك كونوا حذرين ضد العالم سلحوا أنفسكم بقوة عظمى، لئلا يجد اللصوص الطريق ليصلوا إليكم ليكن فيما بينكم الإنسان صاحب الفهم، وحينما تنضج الحنطة يأتي سريعاً وبيده المنجل ويحصدها من له آذانٌ للسمع فليسمع

٢٢- ورأى يسوع أطفالا يرضَعون. فقال لتلاميذه "هؤلاء الأطفال الذين يرضَعون، يشبهون الذين يدخلون الملكوت"

فقالوا له "وهل نحن ندخل الملكوت كأطفال؟"

قال لهم يسوع "حينما تجعلون الاثنين واحداً وحينما تجعلون الباطن مثل الظاهر،.والظاهر مثل الباطن،.والذي فوق، مثل الذي تحت. وحينما تجعلون الذكر والأنثى واحدا. حتى أن الذكر لن يكون ذكراً بعد، والأنثى لن تكون أنثى وحينما تشكلون أعينا بدل العين، ويدا في موضع اليد، وقدماً في موضع القدم، وشبها في موضع الشبه، حينئذ تدخلون الملكوت.

٢٣- قال يسوع "سوف أختاركم، واحداً من ألف، واثنين من عشرة آلاف وسوف يقفون كشخص واحد."

٢٤- قال التلاميذ له "أرنا الموضع، الذي أنت فيه، حيث أنه من الضروري لنا أن نسعى إليه"

قال لهم "من له آذان فليسمع.هناك نورٌ في باطن إنسان النور، وهذا ينير العالم كله فإن لم ينر فهو ظلمه

٢٥- قال يسوع "أحبْ قريبك كنفسك، وأحفظه مثل حدقة عينيك"

٢٦- قال يسوع "أنت ترى القذى في عين أخيك، ولكنك لا ترى الخشبة في عينك إخرج القذى أولاً من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك"

٢٧- قال يسوع "إن لم تصوموا بالنسبة للعالم، فلن تجدوا الملكوت. وإن لم تحفظوا السبت كسبت، فلن تبصروا الآب

٢٨- قال يسوع: "اتخذت مكاني في وسط العالم. وظهرت لهم في الجسد. ووجدتهم كلهم سكارى ولم أجد واحداً ظمأنا للحق. ونفسي أصبحت مضروبة لأجل بني البشر لأنهم عميان في قلوبهم، وليس لهم بصر.لأنهم فارغين جاءوا إلى العالم، وفارغين أيضاً يسرعون في مغادرة العالم. ولكنهم في الوقت الحاضر سكارى مخمورون. وحينما ينفضون عنهم خمرهم، حينذاك يتوبون"

٢٩- قال يسوع: "إن كان الجسد قد ظهر في الكيان، من أجل الروح فهو شيئ عجيب. ولكن إن كانت الروح قد أتت للوجود من أجل الجسد، فهذا أعجب العجب. حقاً إنني في دهشة كيف أن هذا الغني العظيم يأتي ليسكن في هذه الفاقة (الفقر)

٣٠- قال يسوع "حيث هناك ثلاث آلهة فهم آلهة، وحيث هناك اثنان أو واحداً فأنا معه"

٣١- قال يسوع: "ليس نبي مقبولاً في قريته. ولا طبيبٌ يشفي أولئك الذين يعرفونه"

٣٢- قال يسوع: "المدينة المبنية على جبل عالي، والمحصنة لا يمكن أن تسقط أو تختفي

٣٣- قال يسوع: "بشروا من على سطوح المنازل، بما تسمعونه في الأذن. لأنه لا يوقد واحد سراجا، ويضعه تحت المكيال،.أو يضعه في مكان خفي، بل بالحري على المنارة، حتى إن كل واحد يدخل، ويخرج يرى نوره.

٣٤- قال يسوع: "إن كان إنسان أعمى، يقود إنساناً أعمى، فكلاهما يسقطان في حفرة"

٣٥- قال يسوع: "لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي ويأخذه اغتصاباً ما لم يربط يديه وحينذاك ينهب بيته"

٣٦- قال يسوع: "لا تهتموا من المساء إلى الصباح، ومن الصباح حتى المساء. بما تلبسون"

٣٧- وقال له تلاميذه "متى تستُعلن لنا، ومتى نراك"؟

قال يسوع: "حينما تتعرون، ولا تخجلون. وتأخذون ثيابكم، وتصفوها تحت أقدامكم. كالصبية الصغار وتدوسون عليها حينئذ تبصرون ابن الواحد الحي ولا تخافون".

٣٨- قال يسوع: "كم من مرات اشتقتم أن تسمعوا هذه الكلمات التي أقولها لكم ولم يكن لكم من تسمعون إليه هوذا أيام تأتي فيها تبحثون عني ولا تجدونني"

٣٩- قال يسوع: "لقد أخذ الفريسيون والكتبة مفاتيح المعرفة، وأخفوها فهم ما دخلوا أنفسهم، وما سمحوا بدخول أولئك الذين أرادوا الدخول كونوا أنتم حكماء كالحيات، وودعاء كالحمام."

٤٠- قال يسوع: "لقد زرع كرم خارج الآب. ولكن إذْ لم يكن صحيحاً، فإنه سيُقلع من أصوله ويُباد"

٤١- قال يسوع: "من له شيء. في يده، سوف ينال أكثر. ومن ليس له، فإنه سوف يجرد حتى من القليل الذي له"

٤٢- قال يسوع: "كونوا عابرين"

٤٣- قال له تلاميذه "مَن أنت حتى تقول لنا كل هذه الأشياء؟"

قال يسوع لهم "إنكم لم تتحققوا من أنا، من أقوالي لكم فـإنكم أصـبحتم نظيـر اليهود، لأنهم إما يحبون الشجرة ويبغضون ثمرها، أو يحبون الثمـرة ويبغضـون الشجرة"

٤٤- قال يسوع "من يجدف ضد الآب يغفر له، ومن يجدف ضد الابن يغفر له ولكن من يجدف ضد الروح القدس لا يغفر له، لا في الأرض، ولا في السماء

٤٥- قال يسوع "إن العنب لا يجتنى من الأشواك، ولا التين من الحسك. لأنه لا يعطي ثمراً. الإنسان الصالح يخرج الصالحات من مخزن بيته، والإنسان الشـرير يخرج الشرور، من مخزن بيته الشرير، الذي هو قلبه، وهكذا ينطق بالسيئات. لأنه من فضلة القلب، يخرج أشياء شريرة"

٤٦- قال يسوع "من بين المولودين من النساء، من آدم حتى يوحنا المعمدان لم يولد من يسمو على يوحنا المعمدان حتى يغض الطرف أمامه، ولكني قلت لكم من يأتي ليصبح طفلاً، سوف يتعرف على الملكوت، ويصبح أعظم من يوحنا"

٤٧- قال يسوع: "من المستحيل على الإنسان أن يركب جـوادين،.أو أن يمـد قوسين (في وقت واحد) ومن المستحيل على عبد أن يخدم سيدين، وإلا فهو يكـرم الواحد ويعامل الآخر باحتقار. ليس أحد يشرب خمرا قديمه، ويرغب في الحال أن يشرب خمراً جديدة. والخمر الجديدة لا توضع في زقاق عتيقة لئلا تنفجر (الزقاق)، وكذلك الخمر العتيقة، لا توضع في زقاق جديدة، لئلا يحدث تمزق".

٤٨- قال يسوع: "إن صنع اثنان سلاماً أحدهما مع الأخر، في البيت الواحـد، فإنهم يقولون للجبل انتقل فينتقل بعيداً"

٤٩- قال يسوع: "طوبى لكم أيها المتوحدون والمختارون، لأنكم سوف تجدون الملكوت. لأنكم منه وإليه تعودون."

٥٠- قال يسوع: "إن قالوا لكم من أين أتيتم؟ قولوا لهم لقد أتينا مـن النـور.. الموضع الذي ظهر فيه النور للوجود باختياره وأثبت ذاته، وأصبح ظاهرا معلنا في صورهم فإن قالوا لكم هل أنتم؟ قولوا نحن أبناؤه ونحن مختارو الآب الحي. فـإن سألوكم ما هي علامة أبيكم فيكم؟ قولوا لهم أنها الحركة، والراحة"

٥١- قال له تلاميذه "متى تكون راحة الموتى؟ ومتى يأتي العالم الجديد؟

فقال لهم "ما تتوقعون حدوثه قد تم بالفعل. ولكنكم لا تدركونه"

٥٢- قال تلاميذه له "أربعة وعشرون نبيا تحدثوا في إسرائيل. وكلهم تحـدثوا فيك"

قال لهم "لقد أغفلتم الواحد الحي في محضركم، وتحدثتم فقط عن الموتى"

٥٣- قال له تلاميذه "هل الختان نافعٌ أم لا"؟

قال لهم "لو كان نافعاً، لولدهم آباؤهم مختونين من أمهاتهم بل بالأحرى الختان الحقيقي في الروح، قد أصبح ذا الفائدة الكاملة "

٥٤- قال يسوع "طوبى لكم أيها الفقراء لأن لكم ملكوت السموات"

٥٥- قال يسوع: "الذي لا يبغض أباه وأمه، لا يستطيع أن يكون تلميـذا لـي والذي لا يبغض أخوته، وأخواته، ويحمل صليبه في سبيلي، فلن يكون مستحقا لي"

٥٦- قال يسوع: "الذي وصل إلى إدراك كنة العالم يجده جثة، والذي يجده هو أسمى من العالم"

٥٧- قال يسوع: "يشبه ملكوت السموات، إنساناً له زرع صالح فأتى عدوه ليلاً، وزرع زواناً وسط الزرع الصالح. ولم يسمح ذلك الإنسان بـأن يقتلـع (عبيـده) الزوان. بل قال لهم "أخاف أنكم تقصدون قلع الزوان، فتقتلعون الحنطة معها، لأنه في يوم الحصاد، سوف تبدو الزوان واضحة مرئية، وحينذاك تقلع، وتحترق"

٥٨- قال يسوع: "طوبى للإنسان الذي قاسى وتألم، فوجد الحياة"

٥٩- قال يسوع: "انتبهوا إلى الواحد الحي، وأنتم أحياء، لئلا يدرككم المـوت، فتبذلون جهدكم لتبصروه، ولا تقدرون"

٦٠- ورأوا سامريا يحمل حَمَلاً في طريقه إلى اليهودية.

فقال لتلاميذه "لماذا يحمل الرجل الحمل هكذا"؟

فقالوا له "لكي يذبحه، ويأكله"

فقال لهم "لأنه بينما هو حي، لا يستطيع أن يأكله، ولكن فقط حينما يذبحه يصبح جثة"

فقالوا له "ولن يستطيع أن يفعل سوى هذا؟"

فقال لهم "هكذا اجتهدوا لتجدوا لأنفسكم مكاناً في الراحة لـئلا تصـبحوا جثثـا فتؤكلون"

٦١- قال يسوع: "اثنان يستريحان في الفراش، الواحد يموت والثاني يحيا"

فقالت سالومه "من أنت أيها الإنسان، حتى تأتى كإبن الأوحـد وتتكـئ علـى مائدتي، وتأكل؟

قال لها يسوع "أنا هو الكائن من الذي لا يتجزأ ولا ينقسم، لقد أُعطيت من قبَل أبى".

قالت سالومه "وأنا تلميذتك"

فقال يسوع لها "لو كان (قلبك) غير مجزئ سيمتلئ بالنور، ولكنه إن كان مجزأً، فسيمتلئ بالظلمة"

٦٢- قال يسوع: "لأولئك الذين يستحقون أسراري، أعلن أسراري، لا تعـرف شمالك ما تفعل يمينك"

٦٣- قال يسوع: "كانَ إنسانٌ غنياً، له أموال كثيرة

فقال "سوف أعطي أموالي بالربا، حتى أزرع، وأحصد، وأملأ مخازني بالغلة، حتى لا يعوزني شئ، هكذا كانت مقاصده، ولكنه في نفس الليلة مات. من لـه آذان للسمع فليسمع"

٦٤- قال يسوع: "إنسانٌ يقبل ضيوفا. وعندما أعدّ غداءً، أرسل عبيده ليـدعوا الضيوف. فذهب إلى الأول وقال له "سيدي يدعوك" فقال له "لدَى حقوق ضد بعض التجار. وسوف يأتون إليّ هذا المساء. وينبغي أن أذهب، لأعطي أوامـري لهـم أسألك أن تعفيني من الغذاء" وذهب إلى آخر، وقال له "إن سيدي قد دعاك" فقال له "لقد اشتريت بيتا على التو. وأنا مشغول اليوم وليس لديّ وقت فراغ" وذهب إلـى

آخر وقال له "إن سيدي يدعوك" فقال له "إن صديقي سيتزوج. وعليّ أن أعد له المأدبة. فلا أستطيع أن آتى أسألك إعفائي من الغذاء" وذهب إلى آخر وقال له "سيدي يدعوك" فقال له "لقد اشتريت حقلاً وها أنا الآن في طريقي لأجمع الإيجار، ولذلك لا أستطيع الحضور أسألك أن تعفيني" فرجع العبد وقال لسيده "أولئك الذين دعوتهم للغداء. جميعهم استعفوا. فقال السيد لعبدة "اخرج خارجا إلى الشوارع، واجلب معك كل من تقابلهم، حتى يتناولوا الغداء لأن التجار، ورجال الأعمال، لن يدخلوا مواضع أبي

٦٥- وقال لهم: "إنسان صالح يمتلك كرما. فأجره لبعض المستأجرين الفلاحين، حتى يعملوا فيه ويجمع منهم النتاج. فأرسل عبده ليعطه المستأجرون ثمار الكرم. فأمسكوا بالعبد، وضربوه بشدة، ولكنهم لم يميتوه. فرجع العبد، وأخبر سيده وقال السيد "رُبما لم يعرفوه " فأرسل عبداً آخر. فضرب المستأجرون ذاك أيضاً حينئذ أرسل صاحب الكرم ابنه قائلا "ربما يظهرون الاحترام لأبني" ولكن لأن المستأجرين عرفوا إنه الوارث للكرم، أمسكوا به وقتلوه. من له آذان فليسمع.

٦٦- قال يسوع "أروني الحجر الذي رفضه البناؤون هذا الحجر رأس الزاوية"

٦٧- قال يسوع: "من يعتقد أن الكل في ذاته ناقص، هو في ذاته بالكلية ناقص"

٦٨- قال يسوع: "طوبى لكم إذا أبغضوكم واضطهدوكم. وحيثما اضطهدتم فإن مضطهديكم لن يجدوا مكان

٦٩- قال يسوع: "طوبى للذين يُضطهدون في الباطن. فهؤلاء هم الذين وصلوا إلى معرفة الآب"

٧٠- قال يسوع: "ما هو لك، سوف يخلصك إن أخرجته من ذاتك، وما ليس لك في الباطن سوف يقتلك إن لم يكن لك في الباطن".

٧١- قال يسوع: "سوف أنقض هذا البيت، ولن يستطيع أحد أن يعيد بناءه"

٧٢- وقال رجل له "قل لأخوتي أن يتقاسموا ميراث أبي معي" فقال له "يا إنسان، من أقامني مقسماً عليكم"؟ ثم اتجه إلى تلاميذه وقال لهم "هل حقاً أنا مقسّم؟ هل أنا كذلك.

٧٣- قال يسوع: "الحصاد كثير، أما الفعلة فقليلون. فاطلبوا من الرب، أن يرسل فعلة لحصاده"

٧٤- وقال "كثيرون يلتفون حول خزان/ بئر المياه ولكن لا مياه هناك"

٧٥- قال يسوع: "كثيرون يقفون على الباب. ولكن واحداً هو الذي يدخل غرفة إلى الفردوس"

٧٦- قال يسوع: "يشبه ملكوت السموات تاجرا له ودائع تجاريه، واكتشف لؤلؤة. وكان هذا التاجر حصيفاً/ ذكياً/ حكيماً فباع كل البضائع، واشترى اللؤلؤة لنفسه، هكذا اسعوا لنوال الكنز الثابت الذي لا يفنى، حيث لا يقترب العث منه ويلتهمه، ولا يفنيه الدود."

٧٧- قال يسوع: "أنا هو النور الذي فوق الجميع. أنا هو الكل. ومن عندي خرج الكل. وإليّ يتجه الكل. شقوا الخشب، فأنا هناك. ارفعوا الحجر، تجدونني هناك".

٧٨- قال يسوع "لماذا خرجتم إلى البرية؟

هل لتروا قصبة تحركها الريح؟ أم لتشاهدوا إنسانا لابساً ثياباً ناعمة مثل ملوككم، ورجالكم العظماء؟ فعليهم المآزر الناعمة، ولا مقدرة لهم، على تمييز الحق"

٧٩- وقالت له امرأة من الجمع "طوبى للبطن الذي حملك، والثديين اللذين رضعتهما"

قال لها "طوبى لأولئك الذين سمعوا كلمه الآب. وحفظوها حقاً فإنه هوذا أيام تأتى تقولون فيها. طوبى للبطون التي لم تحمل، والثدي الذي لم يعط لبناً"

٨٠- قال يسوع: "من عرف العالم، قد عرف الجنة ومن وجد الجثة، فهو أرفع نمن العالم"

٨١- قال يسوع: "دع الذي وصل إلى الغنى يكون ملكاً، ودع الذي يمتلك السلطان، ينبذه ويحتقره"

٨٢–قال يسوع: "القريب منى قريب من النار، والبعيد عنى بعيد عن الملكوت"

٨٣– قال يسوع: "إن الصور واضحة للإنسان. ولكن النور الذي فيهـا يظـل مختفيا في صورة نور الآب. أنه سوف يصبح ظاهراً، ولكن صورته تبقى مخبـأة بنوره"

٨٤– قال يسوع: "حينما ترون شبهكم تفرحون. ولكن لو رأيتم صوركم التـي وجدت من قبلكم، والتي لا تموت ولا تظهر، كم ينبغي عليكم أن تحتملوا بصبر"

٨٥– قال يسوع: "إنّ آدم قد وُجِد من قوة عظمى، وثروة عظمى، ولكنـه لـم يصبح مستحقاً لكم لأنه لو كان مستحَقاً ما كان قد أختبر الموت"

٨٦– قال يسوع: "للثعالب جحورها، ولطيور السماء أوكارها، أما ابن الإنسان فليس له مكان يسند فيه رأسه ويستريح"

٨٧– قال يسوع: "ما أتعس الجسد، الذي يعتمد على جسد (آخر)، ومـا أتعـس الروح التي تعتمد على الاثنين"

٨٨– قال يسوع: "سوف يأتي الملائكة، والأنبياء، إليكم، ويقـدمون لكـم هـذه الأشياء التي هي في حوزتكم من قبل، وأنتم أيضا ستعطونهم تلك الأشـياء التـي لديكم، وتقولون في أنفسكم: متى يأتون ويأخذون ما لهم؟"

٨٩– قال يسوع: "لماذا تغسلون خارج الكأس؟ ألا تعلمـون أن الـذي صـنع الداخل، هو الذي صنع الخارج بعينه؟"

٩٠– قال يسوع: "هلموا إليّ لأن نيري هينّ وربوبيتي خفيفة، فتجـدوا راحـة لأنفسكم"

٩١– وقالوا له "أخبرنا من أنت، حتى نؤمن بك؟"

فقال لهم "أنتم تقرأون وجه السماء، والأرض، ولم تعرفوا الواحد الذي أمامكم؟ ولا تقدرون أن تعرفوا كيف تقرأون هذه الساعة؟"

٩٢– قال يسوع: " أطلبوا تجدوا والآن ما سألتموني عنه في أوقات سابقة ولـم أخبركم عنها، الآن أنا أريد أن أخبركم عنها ولكنكم لا تسألون عنها"

٩٣- قال يسوع "لا تلقوا ما هو مقدس للكلاب، لئلا تأتي به، وتلقيه على كومة القاذورات. ولا تطرحوا درركم للخنازير. لئلا تسحقها بأسنانها"

٩٤- قال يسوع: "من يطلب يجد، ومن يقرع يُسمح له بالدخول"

٩٥- قال يسوع: "إن كان لديك مال، لا تقرضه بربا، ولكن أعطه لذاك الذي لا يستطيع أن تسترد منه"

٩٦- قال يسوع: "يشبه ملكوت الآب امرأة أخذت خَميرة صغيرة، وخبأتها في بعض العجين، وصنعت منها أرغفة كبيرة "من له آذان فليسمع"

٩٧- قال يسوع: "يشبه ملكوت الآب امرأة تحمل جرة ممتلئة بالطعام، وبينما هي تسير في الطريق على بعد من منزلها انكسرت يد الجرة وتساقط الطعام خلفها في الطريق ولم تتحقق ذلك، ولم تلاحظ ما حدث وحينما وصلت إلى دارها، وأنزلت الجرة وجدتها فارغة"

٩٨- قال يسوع: "يشبه ملكوت الآب إنسانا أراد أن يقتل إنسانا أقوى منه وفي بيته أخرج سيفه وضربه في الجدار، ليرى إن كانت يده تستطيع أن تقوم بذلك ثم قتل الرجل القوى"

٩٩- قال له تلاميذه "هوذا أخوتك، وأمك ينتظرونك خارجاً"

قال لهم "هؤلاء هنا الذين يصنعون إرادة أبى هم أخوتي، وأمي هؤلاء هم الذين يدخلون ملكوت أبى"

١٠٠- و بيّنوا ليسوع عملة ذهبية، وقالوا له

"إن رجال قيصر يطلبون الضرائب منا"

فقال لهم "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وأعطوا ما لله لله. وما هو لي أعطوه لي"

١٠١- قال يسوع: "من لا يبغض أباه وأمه مثلي لا يقدر أن يكون لي تلميذاً. ومن لا يحب أباه وأمه مثلي. لا يقدر أن يكون لي تلميذاً"

١٠٢- قال يسوع: "الويل للفريسين لأنهم نظير الكلب الراقد في مذود الثيران، لا يأكل ولا يدع الثيران تأكل"

١٠٣- قال يسوع: "يا لحظ الإنسان الذي يعرف متى يأتي السارقون حتى يسلح نفسه. قبل أن يهجموا"

١٠٤- وقال ليسوع "دعنا نصلي اليوم، ودعنا نصوم"

قال يسوع: "وأية خطية ارتكبت؟ وفي أي أمر عثرت؟.

ولكن حينما يغادر العريس، غرفة العرس، دعهم يصومون ويصلون"

١٠٥- قال يسوع: "من يعرف الآب، والأم سيُدعى ابن زانية "

١٠٦- قال يسوع "حينما تجعلون الاثنين واحدا، تصبحون أبناء الإنسان، وحينذاك تقولون لهذا الجبل تحرك، فأنهُ يتحرك بعيداً"

١٠٧- قال يسوع: "يشبه ملكوت السموات راعٍ له مائة خروف وأحدها أكبرها، شرد بعيدا. فترك التسعة والتسعين، وبحث عن ذلك الضال حتى وجدة وحينما احتمل إلى هذا الحد قال للخروف: إني أعتني بك أكثر من التسعة والتسعين"

١٠٨- قال يسوع: "من يشرب من فمي يُصبح نظيري وأنا أكون له والأمور المخفاه سوف تعلن له"

١٠٩- قال يسوع: "يشبه الملكوت إنسانا له كنز مخفي في الحقل وهو لا يعلم. وبعد أن مات، ترك الحقل لإبنه ولم يعرف الابن شيئاً عن الكنز فورث الحقل، وباع والذي اشتراه راح يحرثه فوجد الكنز وابتدأ يقرض مالاً بالفائدة لكل من يريد"

١١٠- قال يسوع: "من يكتشف العالم، ويصبح غنيا، دعه ينبذ العالم"

١١١- قال يسوع: "السماء تُطوى، والأرض تطوى في محضركم والواحد الذي يحيا من الأوحد الحي. لم يري الموت، ألم يقل يسوع "من يجد نفسه يسمو على العالم؟"

١١٢- قال يسوع: "ويلٌ للجسد الذي يعتمد على النفس وويلٌ للنفس التي تعتمد على الجسد."

١١٣- قال له تلاميذه: "متى يأتي الملكوت؟"

قال يسوع: "إنه لا يأتي بمراقبة، ولا يقولون ها هو هنا أو ها هو هناك بل ملكوت الآب ينتشر على الأرض والناس لا تبصره"

١١٤- وقال سمعان بطرس "دع مريم (ربما المجدلية) تتركنا، لأن النسوة لسن جديرات بالحياة"

قال يسوع: "وأنا بنفسي سأقودها، حتى أجعلها ذكراً حتى تصبح هي أيضاً روحاً حية نظيركم أيها الذكور لأن كل امرأة تجعل من نفسها ذكراً سوف تدخل ملكوت السماوات"

وهكذا تنتهي الأقوال التي كونت إنجيل توما. وبالنظرة السريعة لها كما فعلنا آنفا، نستطيع أن نرى أن بعضها ينتسب إلى الفكر الغنوسي، بينما معظمها نجد نظائر لها في البشائر التوافقية مما جعل البعض أن يرى أن هذا "الإنجيل" حينما ننتزع منه الأقوال الغنوسية، ينتسب إلى طائفة المصادر الأولى للبشائر *(Q)*

الفصل العاشر

"إنجيل فيلبس"

إنجيل فيلبس، هو مجموعة من التقارير أو العبارات الخاصة بالأسرار المقدسة والأخلاق وهو في طبيعته غنوسي فالنتيني وربما كتب في سوريا، في النصف الثاني للقرن الثالث الميلادى، وإن القارئ لا يجد تسلسلاً ورباطا بين تقرير وآخر، عدا كلمات يمكن أن تربط هذا وذاك. وهذه المجموعة من العبارات المركزة يبدو أنها مقتبسة عن عمل آخر غنوسي مسيحي. حتى أننا نستطيع أن نستمع إلى صوت المعلم، معداً سامعيه لأسرار التثبيت.

وبينما يؤكد السفر مكانة الأسرار، فإنه يوجه اهتماما خاصا لما يعرف عند الغنوسيين "بالغرفة العُرسية" أو حجرة الزفاف. وفي عبارة منه نقرأ : "أن الرب قد أكمل كل شئ في سر، في المعمودية، في المسحة، في الإفخارستيا، في الغداء، وفي الغرفة العرسية". وبحسب وجهة نظرهم، تدور متاعب الإنسانية ، حول تفرقة الجنسين. فحينما انفصلت حواء عن آدم بالسقوط، أنفصم رباط الوحدة الأول، وكما يحدث الارتباط بين العريس والعروس في حجرة الزفاف، هكذا فإن إعادة الارتباط يتممه الرب بالمعنى الروحي في غرفة العريس السرية (سر الزواج) حيث يذوق الإنسان باكورة ثمار الإتحاد المجيد المطلق، وفي صورة سماوية مقابلة،" قد جاء المسيح، ليعيد الاتحاد الذي كان من البدء، ويوحد الإثنين "، حتى يصل الإنسان إلى الراحة .

ويقدم "إنجيل فيلبس" إسهاما كبيرا في مجال معرفتنا بالممارسات الغنوسية السرية، ونظرتهم الخاصة لها. وهذه الأسرار تشبه إلى حد كبير ما كانت سائدة في الكنيسة الكبرى لتثبيت وتأهيل المبتدئين. وهكذا فإن الغنوسيين الذين كتبوا السفر الحالي، لم ينحرفوا كثيراً عن الممارسات التي كانت سائدة في كنيسة مصر، بل أضفوا عليها تفسيرهم الخاص، ومفاهيمهم الخاصة، وسوف نقتبس بعض ما ورد فيه.

إن لغة كتابة إنجيل فيلبس هي اللغة القبطية لأنها النسخة المترجمة الوحيدة منها و ذلك بإجماع علماء اللغة اليونانية و ليست آرامية كما يزعم البعض الآخر.

مختارات من النص

* العبد يسعى لأن يصبح حراً، ولكنه لا يطمع في أن يصل إلى امتلاك ضيعة سيده. ولكن الابن ليس فقط إبنا ، ولكنه له الحق في أن يرث أباه، فأولئك الذين يرثون الموتى هم في أنفسهم أموات... أولئك الذين يرثون ما هو حي، هم أحياء، وهم يرثون ما هو حي وما هو ميت. الموتى لا يرثون شيئا. لأنه كيف يمكن أن ميتاً يرث؟ فإن ورث الميت، ما هو حي، فلن يموت، بل أنه سيحيا اكثر.

* الأممي لن يموت. لأنه لم يكن حياً حتى يموت. أما الذي آمن بالحق، فقد وجد الحياة. لذلك فهو في خطر أن يموت، لأنه حي. ومنذ جاء المسيح، تمّ الخلق في الوجود، وزُينت المدن، وحُمل الموتى خارجا، فحينما كنا عبرانيين كنا يتامى لنا الأم فقط. وحينما أصبحنا مسيحيين. صار لنا الآب والأم .

* أولئك الذين يزرعون في الشتاء، يحصدون في الصيف. أما الشتاء فهو هذا العالم. أما الصيف فهو الدهر الآتي، دعنا نزرع في هذا العالم، ما نوّد أن نحصده في الصيف .. لأن الصيف يأتي بعد الشتاء ...

* النور والظلمة، والحياة والموت، واليمين واليسار، هم إخوة أحدهم للآخر لا ينفصلون. لذلك ليس الصلاح صلاحاً ، ولا الشر شرًا، ولا الحياة حياة، ولا الموت موتاً ، لأجل هذا، فإن كل واحد، سوف ينحل إلى طبيعته الأولى. ولكن أولئك الذين مُجِّدوا عن العالم هم سرمديون لا ينحلون.

* لقد جاء المسيح ليعتق البعض، وليخلص سواهم، وليفتدي سواهم. لقد أعتق الأجنبيين الغرباء، وجعلهم رعية له. وأفرز خاصيته شعباً له، أولئك الذين أفسح لهم مكانا في وصيته. ليس فقط حينما ظهر للوجود، أنه وضع حياته حتى الموت بإختياره، بل منذ اليوم الذي ظهر فيه هذا العالم إلى الوجود، ثم جاء المسيح ليأخذ ساله، حيث أنه أعطى كرهينة وميراث له، فوجده بين أيدي اللصوص قد وقع أسيرا ولكنه إفتداه ..

* قبل أن يأتي المسيح، لم يكن هناك خبزٌ في العالم مثل جنه عدن، حيث كان آدم، كانت بها الأشجار الكثيرة، لطعام الحيوان، ولم يكن بها القمح لغذاء الإنسان

فكان الإنسان يأكل العشب كالحيوان. ولكن حينما أتى المسيح، الإنسان الكامل، جاء بالخبز الحي من السماء حتى يتغذى الإنسان بطعام الإنسان. لقد كانت قوى الفكر تعتقد أنه بسلطانها وإرادتها، تعمل ما تعمل. ولكن الروح القدس، كان في السر يتمم بواسطتها ما يُريد. إن الحق الكائن منذ البدء، يُزرع في كل مكان. وكثيرون يرونه كما يزرع، ولكن قليلون هم من يرونه حين يتمم حصاده.

❋ لا يخفي الإنسان شيئاً ثميناً في إناء ثمين، بل غالباً ما يحدث أن يخبئ الإنسان كنزاً في شئ لا قيمه له. قارن النفس، إنها شئ ثمين، ولكنها أتت لتستقر في هذا الجسد المحتقر الدنيء.

❋ عن طريق الماء والنار يتطهر المكان، المرئي بواسطة المرئي، والخفي بواسطة الخفي، وهناك ما هو خفي في قلب تلك المرئيات. هناك الماء، في قلب الماء، وهناك النار في قلب المسحة (الكرزما)

❋ لقد أعلن يسوع ذاته للجميع، على قدرِ ما يستطيع كل واحد أن يراه. لقد أعلن ذاته للعظيم عظيما، وللصغير صغيرا، كما أعلن ذاته للملائكة كملاك، وأعلن ذاته للبشر كبشر. بسبب هذا، خفيت كلمته على كل واحد فالبعض شاهدوه كأنما يشاهدون أنفسهم، ولكنه حينما ظهر لتلاميذه في مجده، على الجبل لم يكن صغيرا، لقد ظهر في صورة جلاله ومجده. ولكنه جعل من التلاميذ عظماء. حتى يستطيعون أن يتحملوا أمجاده..

❋ الإنسان السماوي له أبناء عديدون أكثر من الإنسان الأرضي. فإن كان أبناء آدم كثيرون، على الرغم من عمل الموت فيهم، فكم بالحري أبناء الكامل. الذين لا يجوز عليهم الموت، بل يولدون على الدوام؟..

❋ لقد كان هناك ثلاث أشخاص في رفقة الرب: مريم أمه، وأختها، والمجدلية رفيقة الرب، وكل واحدة منهم كانت تحمل اسم مريم[٢٢].

❋ لقد قال الرسل للتلاميذ: "يا ليت تقدمتنا تكون مملحة بملح"، لقد كانوا يلقبون "صوفيا" (الحكمة) بالملح. ولكن "صوفيا" عقيمة، ليس لها إبن. لأجل ذلك يلقبونها

---

[٢٢] لقد حاول البعض إستخدام هذا النص الأبوكريفي لتأكيد علاقة ما بين المسيح والمجدلية، دون النظر إلى عدم قانونية النص في كل الكنائس شرقاً وغرباً، ودون الرجوع إلى الهدف الغنوسي من النص لإدخال العنصر النسائي في الديانة على غرار آلهة اليونان النساء زوجات الآلهة.

"بذرات من الملح" ولكن حينما تلتقي في طريقها بالروح القدس، يصبح لها الأبناء العديدون.

❋ الحب يعطي، والإيمان يأخذ فلا يوجد واحد يستطيع أن يأخذ بدون الإيمان. ولا يوجد من يستطيع أن يعطى بدون المحبة. بسبب هذا، إن كنا نريد أن نأخذ حقا، علينا أن نؤمن. ولكن علينا أن نحب، فنعطي، حيث أنه إن لم يعط الإنسان بالمحبة، فلن ينال فائدة على ما أعطى. من لم يقبل الرب، فهو ما يزال عبرانيا..

❋ حينما نلقى باللؤلؤة في الوحل، فإن قيمتها لن تصغر، وحينما نغمسها في زيت البلسم، فهل يزداد قدرها؟ ولكنها لها قيمتها في عين صاحبها. هكذا قارن بالمثل، أبناء الله حيث هم، إن لهم قيمتهم في عيني الآب.

❋ لو قلت: أنا يهودي، فلن يتحرك إنسان. ولو قلت: أنا روماني، فلن يهتز أحد. ولو قلت: أنا يوناني .. بربري، عبد .. حر، فلن يهتم واحد بما تقول. ولكن لو قلت: أنا مسيحي، فالعالم كله يضطرب .. ذلك لأن المسيح هو الوحيد، الذي لا تستطيع القوات أن تحتمل النطق باسمه .. يا ليتني احتفظ بمثل هذا الاسم.

❋ الجحش الذي يدور في الطاحون، يتحرك (في اليوم) مئات الأميال. ولكنه حين يُحَل يجد نفسه في نفس الموضع، هكذا كثيرون يدورون في رحلات كثيرة، ولكنهم لا يتقدمون نحو الهدف وحينما يحل المساء، لا يشاهدون مدينة، ولا قرية، ولا مخلوقا، ولا صور الطبيعية، ولا قوات، ولا ملائكة. وياطلا سعيهم وتعبهم.

❋ الإفخارستيا هي يسوع، حيث أنه يسمى في السيريانية فاريساتا، أو "الذي يُمَد" *spread out* ، لقد جاء يسوع صالباً العالم.

❋ لقد كانت مريم المجدلية، رفيقة يسوع. وكان يسوع يحبها، فوق جميع التلاميذ. أما التلاميذ فقد امتعضوا قائلين له: "لماذا تحبها اكثر منا جميعا؟"

وأجاب المخلص وقال لهم "ولماذا أحبكم نظيرها؟" ، حينما يكون إثنان، الواحد أعمى، والأخر بصير. في قلب غرفة مظلمة، فلا فارق بين هذا وذاك. ولكن حينما يأتي النور، فالذى يبصر يرى النور، والأعمى يظل في ظلمته[٢٣].

[٢٣] القول المنسوب للمسيح هنا يشير إلى أن علاقة المسيح بالمجدلية هي علاقة روحية، فالمسيح هو النور الحقيقي، والمجدلية كان لها من البصيرة ما يجعلها تبصر رسالة الأبن المتجسد، لذا فإن الرب يربط هنا بين العلاقة بينه وبين أتباعه بقدرتهم على تلمس رسالته الخلاصية من أجل العالم .

❋ قال يسوع "طوبى للكائن قبل أن يأتي إلى الوجود، لأنه قد كان، وسوف يكون".

❋ إن كان أحد يغطس في الماء، ويخرج، دون إن ينال شيئا ويقول: إني مسيحي، فقد اقترض اللقب بربا، ولكنه إن قبل الروح القدس، فقد أخذ الاسم كهبة. والذي يأخذ الهبة، لا يُطالب بردها، ولكن الذي اقترض بربا، فهو مطالب بالدفع. هذا ما يحدث للواحد، حينما يختبر سر المعمودية.

❋ عظيم هو سر الزواج، لأنه بدونه ما استمر العالم في الوجود. فوجود العالم، يعتمد على استمرار الإنسان، واستمرار الإنسان، يعتمد على الزواج. وجه فكرك إلى العلاقة غير المدنسة، لأن لها القوة العظمى. أما صورتها فهي تشويه للشكل *form*

❋ من الماء والنار، جاءت النفس والروح إلى الوجود، ومن الماء والنار والنور، جاء وليد الغرفة العرسية. النار هي المسحة، والنور هو النار. إني لا أتحدث عن النار التي لا شكل لها. ولكني اقصد النار الأخرى، ذات الشكل الأبيض، وهى التي تشع بهاء وجمالاً، وتهب الجمال.

❋ لقد قام الرب بعمل شئ، في سر: المعمودية، والمسحة، والإفخارستيا، والفداء، وغرفة العرس.

❋ قال الرب: جئت لأجعل الأشياء التى من أسفل، مثل الأشياء التى من أعلى. والأشياء التي في الخارج، مثل التي في الداخل.

❋ لقد قام الرب من الأموات، وصار مثلما كان، ولكن جسده كان كاملاً.

لقد كان له الجسد، ولكن الجسد المقام كان الجسد الحقيقي، إن جسدنا ليس حقيقيا، ولكننا نمتلك صورة الجسد الحقيقي.

❋ إن غرفة العرس، ليست للحيوانات، ولا للعبيد، ولا للمدنسات، ولكنها للأحرار والعذارى..

❋ عن طريق الروح القدس، نحن نولد حقاً ثانية. ولكننا بواسطة المسيح نولد بالإثنين، إننا نمسح عن طريق الروح. لا يمكن أن يرى الإنسان نفسه في الماء، أو

في مرآة إلا عن طريق النور. وكذلك لن ترى نفسك بـالنور. إلا فـي المـاء أو المرآة. من اللازم، أن نعتمد في الاثنين في النور، وفي الماء. والنور هو المسحة..

❋ لقد كانت هناك ثلاثة أماكن لتقديم الذبائح في أورشليم. الواحد مقابل الغرب ويدعى "القدس"، والثاني مقابل الجنوب ويدعى "قدس القدس"، والثالث تجاه الشرق ويدعى "قدس الأقداس"، حيث لا يمكن إلا لرئيس الكهنة الدخول إلى هنـاك. أمـا القدس بالنسبة للنفس، فهو المعمودية، أما "قدس القدس" فهو الفـداء، أمـا "قـدس الأقداس" فهو غرفة العرس، أو حجرة الزفاف. إن حجرة الزفاف لا نظيـر لهـا، والذين وصلوا إليها، هم الذين يصلّون في الموضع المقدس، في أورشليم. أنهم الذين يصلون في أورشليم منتظرين ملكوت السموات. وهذه قد سميّت قدس الأقداس، لأنه قبل أن ينشق الحجاب، لم تكن لنا غرفة عرسيه غير صورة حجرة الزفاف التـي فوق، ولذلك فقد شقّ الحجاب من أعلى إلى أسفل، لأنه لائق بالبعض، ممن هم في أسفل، أن يصعدوا إلى أعلى.

❋ لقد أعلن يسوع عن ذاته في الأردن: هنا ملء ملكوت السموات، فذاك الذي وُلد قبل كل شيء، وُلد من جديد، وذاك الذي مُسح منذ الأزل، مُسح من جديد.

❋ لقد أتى آدم من عذراوين: من الروح، ومن الأرض العذراء. والمسيح جاء من عذراء، ليصلح السقوط الذي حدث في البدء.

❋ أولئك الذين يُعمدّون، يغطسون في الماء. ولكن المسيح بصعوده من الماء، كرسّه، حتى أن أولئك الذين ينالون المعمودية بإسمه، يصبحون كاملين. لأنه قـال "اسمح الآن، لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر" (متى٣:١٥)

❋ أولئك الذين يقولون أننا نجتاز في الموت أولاً، ثم نقوم هم على خطأ. لأنهم إن لم ينالوا القيامة وهم أحياء، فبعد أن يموتوا لن ينالوا شيئاً.

❋ قال فيلبس الرسول "لقد زرع يوسف النجار حديقة لأنه كان بحاجـة إلـى الخشب وهو الذي صنع الصليب من الأشجار التي زرعها. وعلى الصليب عُلـق ابنه، يسوع.

لقد كانت شجرة يوسف الصليب. ولكن شجرة الحياة كانت في الحديقة. وكانت شجرة زيتون، ومن الزيتون نأخذ (زيت) المسحة، ومن المسحة القيامة.

* (المِسحة اسمي من المعمودية، لأنه من الكلمة (كرزم *Chrism*)أي مسحه أخذنا نحن الاسم (كرستيان *Christian*) أي مسيحيين، بل أنه من (الكرزم) أي المسحة، جاء لقب المسيح *Christ*. لأن الآب مسح الابن، والابن مسح الرسل. ونحن نلنا المسحة منهم. والذي مُسح يملك كل شئ، يملك القيامة، والنور، والصليب، والروح القدس. الآب في الابن، والابن في الآب. هذا ملكوت السموات.

* الذي له معرفة الحق، هو الإنسان الحر. ولكن الحر لا يخطئ. لأن الذي يفعل الخطية، هو عبد للخطية (يوحنا٨:٣٤). الحق هو الأم، والمعرفة هي الأب. وأولئك الذين يعتقدون أن ناموس الخطية لا ينطبق عليهم، يدعوهم العالم أحراراً، إن المعرفة السطحية، للحق، تجعل مثل هؤلاء الناس منتفخين، وتدفعهم إلى الشعور بالاستعلاء على سواهم. ولكن المحبة تبنى (١كورنثوس٨:١١)، وفي واقع الأمر، أن من هو حر بالمعرفة، هو عبد بالمحبة، لأولئك الذين لم يصلوا بعد إلى حرية المعرفة. فالمعرفة تعطيهم المقدرة أن يصبحوا أحراراً. المحبة لا تقول عن شئ أنه ملكها. ومع ذلك فقد تمتلك ذلك الشيء عينه. إنها لا تقول أن هذا أو ذاك ملك لي، ولكنها تقول "كل شيء لكم"، فالمحبة الروحية، خمر (يسكر النفس)، وعطر يطيبها. ومن يُمسح بهذا العطر، يجد سروره فيه.

* في هذا الوجود، يخدم العبيد الأحرار. بينما في ملكوت السموات سيخدم الأحرار العبيد، أبناء غرفة الزفاف سيخدمون بني العرس. إن أبناء غرفة الزفاف لهم الاسم الواحد. وجميعهم يشتركون في الراحة، ولا حاجة بهم أن يأخذوا شكلاً آخر، لأن لهم التأمل الباطني، وهم لا يضعون كنزهم في الأمور التي هي في أسفل، بل في الأمجاد التي هي فوق، على الرغم من أنهم لم يصلوا بعد إلى معرفتها.

* ذاك الذي أصبح عبداً رغم إرادته، يمكن أن يصبح حراً. ولكن الذي أصبح حراً بنعمه سيدة. ثم باع نفسه للعبودية، لن تكون له المقدرة على أن يصبح حراً.

* طوبى للذي لم يسبب ضيقاً لأي نفس. هذا هو يسوع المسيح. لقد جاء إلى الموضع، ولم يثقل كاهل أحد، لذلك طوبى لمن يتشبه به. وهذا من العسير أن نفهمه، أو نحدده، إذ كيف نعطى كل واحد الراحة؟ وكيف لا نسبب ضيقاً لأحد، سواء كان صغيراً أم كبيرا، مؤمنا أو غير مؤمن؟ في واقع الأمر أن الذي يسعى

حسنا. يسبب أحيانا الضيق للآخرين. ليس لأنه يقصد هذا، بل أن شر الآخرين هو الذي يسبب لهم الضيق.

❋ إن الزواج في هذا الوجود، هو سر يناله من اتخذ زوجة له. فإن كانت هناك صنعة خفية في الزواج الدنس. فكم بالحري يكون هناك سر خفي، في الزواج غير الدنس؟ إنه ليس زواجا جسديا. ولكنه نقي..إنه لا ينتمي إلى الرغبة، بل إلى الإرادة. إنه لا ينتسب إلى الظلمة أو الليل، بل إلى النهار والنور. إن كان الزواج الجسدي يتم أمام الملأ، وتظهر العروس نفسها للجميع، فقد أصبح بغاءً، وليس زواجاً. دعها تظهر ذاتها فقط، لأبيها وأمها وأخواتها، هؤلاء هم المسموح لهم بدخول حجرة الزفاف. أما البقية البعيدة فإنهم يشتاقون من بعيد إلى سماع صوتها وإلى التمتع بأطيابها، ويحاولون أن يلتقطوا شيئا من الفتات الساقط من مائدتها مثل الكلاب. العرسان والعرائس، هم الذين لهم الحق في دخول حجرة الزفاف.

❋ حينما فرح إبراهيم، وتهلل، برؤية ما رآه، أسرع بقبول الختان. وهذا يعلمنا أنه ينبغي علينا أن ننزع عنا الجسد، ونحطمه .

❋ إن كل الذي يدخل حجرة الزفاف، يشعل النور. وهذه المشاعل تنير، وفي النهاية تطفأ. أما أسرار ذلك الزواج فهي تتكمل في النور، والنهار. وهذا النهار، وهذا النور لا يمكن أن يطفأ. إن كان واحد يصبح ابنا لحجرة الزفاف فسوف ينال النور. فإن لم ينل النور وهو في هذه المواضع، فهو لن يناله في موضع الآخر. ولكن من ينال النور، لن يقدر أحد أن يعذبه، حتى وهو في هذا العالم. وحينما يترك هذا العالم، فقد أخذ النور في الصور. لقد أصبح العالم له دهرا. والدهر ملئا له.هذا هو الطريق، أنه سوف يُعلن له وحده. ليس مخبأ خفيا في الظلمة أو الليل بل مستترا في النهار الكامل. وفي النور المقدس...

الفصل الحادي عشر

"من الأسفار الحكمية"

تعاليم سلوانس

تعاليم سلوانس هي نبذة فريدة من أكثر من وجه ليس فقط لأنها الوثيقة الوحيدة غير الغنوسية في المجلد السابع، بل لأنها أيضاً، مثل نادر من أمثلة النصوص الحكمية المسيحية، كما أن جزءاً منها ارتبط في أوقات لاحقة بتعاليم كوكب البرية القديس أنطونيوس رائد الرهبنة التوحدية في مصر، وهناك أكثر من دليل يشير إلى أن هذه النبذة كانت معروفة ومستخدمه في الأديرة ودوائر الرهبان، وربما قد كتبت في الأصل بيد أحد الرهبان في فترة سابقة على نشأة الديرة وظهورها.

أما كون هذه النبذة غير غنوسية فواضح للغاية، أما تعليمها عن المسيح فهو أبعد ما يكون عن الدوسيتية [٢٤] *Docetism* كما أن لاهوتياتها ليست أثتينية.

ويرى كاتبها أن البعض يخلصون بالطبيعة، زيادة على ذلك فإن إنسانية يسوع تتضح في حمل ضربه خطايانا، والموت فديه عنا، وهو لابس إنسانيته أو ناسوته. ولأن كل البشر يمتلكون العقل، والفكر الإلهي، لذلك فجميعهم باب الخلاص مفتوح أمامهم أما التعاليم فتقدم هنا، في إطار أدبي، نحن مدينون فيه، للحكمة اليهودية [٢٥] الهلينيه وأننا لنلتقي بالكثير من الصيغ الحكمية مثل مخاطبة القارئ "كابنى" والتحريضات الإيجابية، وأيضاً صيغة النهي، والأمثال الوصفية، والترانيم، والصلوات، والمقارنة بين الحكيم، والجاهل.

---

[٢٣] خرجت الدوسيتية من عباءة الفالنتينية في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادى، وكانت تنكر إنسانية المسيح، معلمة بأن ميراث البشرية من الشر المادى يجعل من المستحيل حدوث إتحاد بين اللاهوت والناسوت في المسيح يسوع، وقد رد عليها إغناطيوس الإنطاكى وترتليان

[٢٤] في القرنين الأول والثاني ق م، مثل المقالات المبكرة الـ *Corpus Hermeticum* "المجموعة الهرمسية"، والكتابات العبرية الرؤيوية – وخاصة الفلسفة الأفلاطونية والكتب اليهودية المقدسة

زيادة على ذلك نجد أن "تعاليم سلوانس" شأن الحكمة اليهودية الهلينية، تشف عن ذوق تصوفي، ناتج عن بعض تأثيرات كتابية، وتفاسير فيلو اليهودى الإسكندري، والأفلاطونية الوسطى، والرواقية المتأخرة.

وبين الأفكار الحرية بالتأمل، في "تعاليم سلوانس" ما تعرض للأخلاقيات، والأنثروبولوجي[٢٦] واللاهوت، والفكر عن المسيح أو ما يلقب بعلم المسيح (خريستولوجى) إما الوصول إلى ما يسر الله، فهو يتضمن بصورة رئيسية السيطرة العقلانية على النوازع الدنيا من الجسد المادي والوصول إلى مثل هذه السيطرة يستلزم تقوية النفس بتعاليم معلم صالح مع نور الحق الذي يقدمه المسيح، ومع توازن بين قوى العقل، والروح، والجسد وهي المكونات الرئيسية لكل إنسان.

والله يحتوي كل الأشياء، دون أن يحتويه شيء وهكذا فإنه ليس محدداً بمكان، وهى بمثابة نظرية مناقضة لحلولية الرواقية، وهو من العسير الوصول إلى معرفته إلا عن طريق صورته "المسيح" الذي هو رسم جوهره، والمسيح هو حكمة الله المتجسد ولقد نزل إلى "العالم السفلي" أي إلى أرضنا ليحرر المأسورين ويمحو سلطه الشيطان ومن الاختيار يتضح أن له المقدرة بأن يؤازر بسلطانه العقل البشرى ويصبح اللوجوس الساكن في الإنسان.

أما سلوانس الذي تنسب إليه هذه الأقوال، فربما كان رفيق بولس في السفر أو ربما كان الكاتب المرافق لبطرس (١بط٥:١٢) ولقد شاع في الأدب المسيحي الأبوكريفي الزج بإسم شخصية بارزة من رجال العهد الجديد أما كون الوثيقة قد كتبت بعد القرن الأول فهو واضح والدلائل الداخلية تشير إلى أن تاريخ كتابتها هو أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث في مصر وعلى الأرجح في الإسكندرية.

وهناك ملاحظة أضافها الناسخ ما بين هذه النبذة، والنبذة التي تليها واضح أنها لا تنتسبا إلى هذه ولا إلى تلك، وتتضمن علامة السمكة، وأيضاً بعض الرموز والإشارات المسيحية.

النص

تجنب كل أوقات الحياة الصبيانية، وإمتلئ قوة في الفكر والروح، وتشدد في الصراع ضد تفاهة الآلام الناتجة عن الحب، والشرور السفلي ومحبة المديح

---

[٢٦] هو العلم الخاص بالإنسان .

والحسد المضني والثورة والغضب ورغبة الحرص. احفظ معسكرك وأسلحتك وحرابك.

سلّح نفسك وكل جنودك التي هي الكلمات، وقوادك التي هي المشورات، وعقلك كالمبدأ الهادي.

يا بني، أطرح كل لص خارج أبوابك، احفظ كل أبوابك بمشاعل مضيئة التي هي الكلمات وأنت تصل إلى كل أسباب الحياة الهادئة لأن الذي لا يحرس هذه الأشياء، يصبح نظير مدينة خربه سقطت (بيد العدو)، وكل أنواع الوحوش البرية تدوسها، ذلك لأن الأفكار الرديئة هي وحوش ضارية برية، ومدينتك سوف تمتلئ باللصوص، ولن تكون لك المقدرة للحصول على السلام، ولكن كل أنواع الوحوش المفترسة (تسيطر عليك). أما الواحد الشرير الجبار الظالم فهو رأسها وربها، وبينما يقودها هو في الحمأة الكبرى، وهكذا تهلك المدينة كلها والتي هي نفسك.

أبعدي عنك كل هذه أيتها النفس البائسة .. واجلبي معلمك وقائدك .. والعقل هو المرشد، والفكر هو المعلم وهذان سوف ينقذانك من الخراب والمخاطر.

استمع يا بني إلى نصيحتي! لا تُعط ظهرك للأعداء وتهرب بل بالحري اتبعهم كإنسان قوي لا تكن فريسة يتبعها الناس بل كن رجلاً يتبع الوحوش البرية، وإلا بطريقة أو بأخرى، يُصبحون منتصرين عليك، ويدوسون عليك، كما على جثة ميت، فتهلك بسبب خطيئتك.

وماذا ستفعل أيها البائس، حينما تقع في أيديهم؟ احرس نفسك لئلا تسلم لأيدي أعدائك ضع نفسك تحت حراسه هذين الصديقين العقل والفكر، ولن يستطيع أحد أن ينتصر عليك. يا ليت الله يسكن في معسكرك ويا ليت روحه تحفظ أبوابك، ويا ليت الفكر الإلهي يحرس أسوارك، دع الفكر المقدس يصبح شعلة في عقلك، ليحرق الخشب الذي هو كيان الخطية.

وإذ تمارس هذه الأمور يا بني، سوف تصبح منتصراً على أعدائك، ولا يستطيعون أن يثيروا الحرب ضدك، ولن يقدروا أن يثبتوا أمامك، ولن يعترضوا طريقك لأنك إن وجدت هذه، سوف تزدرى بهم، كمنكري الحق. وسوف يتحدثون (الأعداء) إليك. محاولين إغرائك؛ ليس لأنهم يخشونك بل لأنهم يخافون أولئك الذين يسكنون فيك، الحراس الإلهيون والتعليم..

يا بنى، أقبل التهذيب، والتعليم... اقبلها بفرح، وحينما تنال التعليم في أي أمر أفعل ما هو صالح، وسوف تضفر إكليل التهذيب (لنفسك)، بهذه المبادئ الهادية، إلبس التعليم المقدس كثوب، اجعل من ذاتك صاحب النفس النبيلة بالسلوك الحسن. ليكن لك التهذيب الصارم، واحكم على ذاتك كقاض حكيم لا تفقد تعليمي، ولا تكسب جهالة، لئلا تضل شعبك. لا تهرب مما هو الإلهي، و لا من التعليم الذي سكن فيك، لأن الذي يعلمك يحبك كثيرا... اطرح عنك خارجا الطبيعة الحيوانية التي فيك، ولا تدع الفكر الدنيء يدخل إليك لأنك أنت تعلم الطريق التي أعلمك.

إن كان التسلط على الأقلية شيئاً حسناً، فبالأولى، أن تحكم في كل شئ، حيث أنك ترتفع على كل مجمع، وكل شعب... صائرا سيدا على كل قوة تحاول قتل الروح.

يا بني، هل هناك من يريد أن يكون عبداً؟ فلماذا ترهق نفسك، بغير طريق الصواب؟

يا بني لا تخف أي إنسان عدا الإله الواحد الرفيع، اخلع عنك غرور الشيطان واقبل النور لعينيك، واطرح الظلمة عنك، عش في المسيح وأنت تنال كنزاً في السماء.

يا بني استمع إلى التعليم الصالح والمفيد، واطرح النوم الذي يشغلك، ابتعد عن دائرة النسيان التي تملأك بالظلام فإنك لو لم تكن قادراً على فعل شئ ما قلت لك هذه الأشياء لكن المسيح أتى ليعطيك هذه الموهبة فلماذا تتبع الظلمة والنور تحت تصرفك؟ لماذا تشرب المياه الآسنة والعذبة بين يديك؟ إن الحكمة تدعوك، ومع ذلك ترغب الجهالة وليس برغبتك تفعل هذه الأشياء ولكن الطبيعة الحيوانية التي فيك هي التي تفعل هذا.

إن الحكمة تدعوك في صلاحها قائلة، "تعالوا إليّ ياجميع الأغبياء حتى تنالوا الحكمة والفهم الذي هو صالح ورفيع. ها أنا أعطيكم ثياب رئيس الكهنة المنسوجة من كل خيوط الحكمة، وما هي الظلمة الرديئة سوى ممارسة النسيان؟ وما هو الموت الرديء إلا الجهالة؟ ضع اهتماماتك في الله وحده لا تكن جشعاً تجرى وراء الذهب والفضة التي لا قيمة لها، ولكن إلبس الحكمة كرداء، وضع على رأسك

المعرفة كإكليل، وتربع على عرش الفهم لأن هذه لك، وسوف تنالها بصورة أعظم في وقت لاحق.

لأن الجاهل يلبس الجهالة كرداء، وكمئزر الأحزان يتزين بالخزي، ويتوج رأسه بالحماقة، ويجلس على عرش الاستهزاء، ويقود نفسه في متاهات الشرود لأن الحماقة تقوده.

وهذا يندفع في طريق كل شهوة ويسبح في بحر الرغبات الغبية حيث يغرق انه يظن أن في هذا مكسبه بينما هو يجنى بعمله الخسارة.

إن البائس الذي يجرى وراء هذه الأمور سوف يهلك لأنه ليس له الربّان، فهو مثل سفينة تدفعها الرياح هنا، وهناك.. مثل حصان جامح بدون قائد، لأن ذلك الإنسان بحاجة إلى الراكب الذي هو العقل وهكذا يضل ذلك التعس لأنه يرفض النصح، ويترنح هنا، وهناك.. بهذه الشرور الثلاثة: فالموت يتبناه كأب، والجهالة تصبح له أماً، والمشورات السيئة كإخوة وأخوات؛ ما أحراك أيها الغبي أن تنوح على نفسك، لذلك يا بنى من الآن فصاعداً عُدْ إلى طبيعتك الإلهية، اطرح عنك بعيداً هذه الأشياء الخادعة، إقبل المسيح هذا الصديق الصادق، معلماً صالحاً لك، إطرح عنك الموت الذي صار أباً لك، لأن الموت لم يوجد، ولن يوجد في النهاية.

ولكنك حينما طرحت الله بعيداً الآب القدوس، الحياة الحق، ينبوع الحياة، اكتسبت لنفسك الموت أباً، والجهالة أماً. وهذان سلبا منك المعرفة الحقيقية.

ولكن، ارجع يا بنى إلى أبيك الأول، الله. وإلى أمك الحكمة، اللذين منهما قد خرجت منذ البداية. حتى تستطيع أن تحارب ضد كل أعدائك، قوات المقاوم.

استمع يا بني، إلى نصيحتي، لا تتعالَ في مقاومة كل فكر صالح، ولكن خذ جانب الفكر الإلهى، احفظ وصايا يسوع المسيح، وسوف تملك على كل شبر في الأرض، وتصبح مكرماً من الملائكة، ورؤساء الملائكة، سوف يصبح هؤلاء أصدقاءك، وعبيدا لك، وسوف تنال مكانا في السموات.

لا تجلب الحزن، والمتاعب، لما هو إلهي فيك، ولكنك إذا كنت تهتم به ستجده يطلب منك أن تظل نقياً، وأن تعرف كيف تسيطر على نفسك، وعلى جسدك حينئذ تصبح عرشاً للحكمة. وتصبح ضمن أسرة الله وهو سيهبك النور العظيم الفائض من الحكمة. ...

ولكن قبل كل شئ إعرف ميلادك، إعرف نفسك من أي مادة أنـت؟ ومـن أي جنس أو نوع؟ إعرف أنك أتيت إلى الوجود من أجناس ثلاثة: من الأرض، ومـن المصوِّر (من يصور الأشياء)، ومن المخلوق، فالجسد قد أتى مـن الأرض بمـادة أرضية، ولكن المصوّر، لأجل خاطر النفس، قد ظهر للوجود، من فكـر الخـالق والمخلوق مع ذلك، هو العقل الذي ظهر أيضاً للوجود فـي مطابقـة لصـور الله، فالعقل الإلهي له مادته من الإلهي، ولكن النفس هي التي شكلّها الله لحاجة القلب لأن النفس كزوجة للذي ظهر للوجود في مطابقة مع الصورة، ولكن المادة هي عنصر الجسد الذي ظهر للوجود من الأرض..

لذلك عش بحسب العقل لا توالي اهتمامك لما يختص بالجسد، إمتلئ قـوة لأن العقل قوى، إن سقطت من ذلك الآخر، فقد أصبحت الذكر/الأنثى. وإن أبعدت عنك مادة العقل أي الفكر فقد قطعت جانب الذكر، وحولت نفسك إلى الأنثى فقط.

لقد أصبحت نفسانياً لأنك أخذت مادة الصورة أو إلى المصـوّر، وإن طرحـت أيضا أي جزء من ذلك حتى أنك طرحت الجانب الإنساني وقبلت الفكر الحيـواني وصورته، فقد أصبحت جسديا لأنك أخذت طبيعة الحيوان لأنك إن كـان يصـعب عليك الوصول إلى مرتبة النفساني فكم بالحري أن تجد الرب! ... ولكني أقول إن الله روحاني. والإنسان أخذ شكله من مادة الله والنفس الإلهية تشترك جزئيـاً مـع الواحد وهي أيضاً تشترك جزئيا مع الجسد.

... لذلك حيث اتجهت، سوف تأخذ صورة الجانب الذي إليه تتجه نفسك.

وسوف أقول لك (يا نفسِ) شيئا آخر لأي اتجاه توجهين اهتماماتك؟ هل ترغبين أن تصبحي حيواناً، حينما ظهرت في نوع هذه الطبيعة؟. ولكـن مـا أجـدرك أن تشتركي في طبيعة الحياة الحقة إن الحيوانية تقودك إلـى جـنس الأرض، ولكـن الطبيعة العقلانية سوف تقودك في الطرق العقلية. إتجهي إلى الطبيعـة العقلانيـة، واطرحي عنك الطبيعة المولودة من الأرض.

أيتها النفس تعقلي، وأفيقي، واطرحي عنك سكرك الذي هو فعل الحماقـة. إن داومت على الحياة في الجسد فأنك ستظلين ساكنة في غشامتك وجهالتك.

ولكنك لو ولدت ثانية، كالمولود الذي يولَد ستجدين نفسك في غرفـة العـرس، وتنالين الإستنارة في العقل ...

حذرا يا بنى من أن تسبح في أي مياه، لا تسمح لنفسك بأن تتدنس بأنواع غريبة من المعرفة، إنك تعرف أن حيل الشيطان لا حصر لها وخداعاته متعـددة، وكـم يضيع من الإنسان العقلي ذكاء الحية.

لأنه حرّي بك أن تكون في وفاق مع ذكاء الإثنين؛ فيكون لك ذكاء الحية مـع براءة الحمامة لئلا يأتيك المجرب في ثياب المتملق كالصديق الصدوق قائلاً لـك: إني أنصحك بأمور طيبة لك.

وكم خدعت بخداعه حينما قبلته كالصديق الحقيقي لأنه يلقى في قلبـك بـالفكر الرديء كفكر حسن، ويقدم لك النفاق في ثوب الذكاء، ومحبه المجد العالمي في كل ما هو بهيج، والانتفاخ، والتعالي الكاذب، في ثوب الجد والصرامة، لأن الذي يقول أن له آلهة عديدة هو في الحقيقة بلا إله وهو يلقي في قلبك بأفكار متعددة، في خفاء وصورة كلمات غريبة سرية من ذا الذي يستطيع أن يصل إلـى عمـق أسـراره، وغور أفكاره، حيث أن الذين يقبلونه ملكاً عليهم يرون فيه العقل الأعظم..

يا بني كيف تستطيع أن تدرك مشورات ذاك الذي من البدء قتّال الـنفس؟ لأن خطط شره عديدة لذلك تحفظ في أية صورة يأتيك وكيف يحـاول أن يـدخل إلـى نفسك، أقبل المسيح الذي يقدر أن يحررك لأن هذا هو الملك الذي لا يستطيع أحـد أن يحارب ضده أو يقول كلمة؛ هذا هو ملكك وأبوك لأنه لا يوجد من هو نظيـره، وهذا المعلم الإلهي هو معك على الدوام

عش مع المسيح، وهو القادر أن يخلصك، لأنه النور الحقيقي وهو شمس الحياة، لأنه كما أن شمس الوجود الظاهرة تقدم النور لعيني الجسد هكذا المسيح ينير العقل والقلب لأنه إن كان الإنسان الشرير ينتهي إلى ميته رديئة فكم بالحري أيضاً مظلم العقل لأن كل إنسان أعمى يتصرف وكأنما فقد عقله فهو يرفض قبول نور المسيح، الذي هو العقل.

لأن كل شئ أظهر وأصبح ظاهراً مرئياً هو نسخة مما هو خفي، لأنه كالنـار التي تتقد في مكان دون أن تكون محددة به، هكذا الشمس، فهي في السماء وتنتشر أشعتها، في كل مكان على الأرض، وهكذا المسيح له كيان واحد، ولكنة يهب النور لكل مكان، وهكذا أيضاً يتحدث عن عقولنا وكأنما هي مصباح متقد ينير كل مكان، وهي كجزء من كياننا تعطى النور لكل الأجزاء.

زيادة على ذلك سوف أتحدث عما هو أعظم: فالعقل هو مكان محدد بالنسبة للكائن الحي أي بالنسبة لجسده ولكن بالنسبة للفكر فإنه لا يوجد في مكان لأنه كيف يمكن أن يوجد في مكان وهو يستطيع أن يتطلع إلى كل الأمكنة؟

بل أننا نستطيع أيضاً أن نتحدث بما هو أعظم من هذا، لأنه من يتصور بأن الله يحل في مكان؟ فإذا حددنا رب الكل بمكان معيّن، فنحن نجعل المكان أكثر عظمه، من ذاك الذي يسكن فيه لأنه لا يوجد مكان إلا ويستلزم وجود جسد محدد ولا يليق بنا أن نتحدث عن الله كجسد لأننا على هذا النمط لابد وأن ننسب لهذا الجسد الزيادة والنقصان وبهذا فإننا لن ننسب له خاصية عدم الفناء.

نقول أنه ليس من العسير أن ندرك خالق كل المخلوقات ولكن من المستحيل أن نعرف بأية صورة يُشبَّه فالبشر ليسوا فقط العاجزين عن إدراك الله بل أيضاً الملائكة ورؤساء الملائكة فهذا أمر مستحيل، ولكننا إن أردنا أن نعرف من هو الله علينا أن ننظر إليه في المسيح الذي هو صورة الآب. لأن هذه الصورة تعلن ملامح من تصوره؛ وقد لا نصل إلى رؤية الملك لكننا نستطيع أن نراه من خلال صورته.

تأمل هذه الأمور عن الله أنه في كل مكان، ومن الجانب الآخر هو ليس محدود بمكان بالنسبة للقوة والسلطان هو في كل مكان، ولكن بالنسبة للألوهية هو ليس في أي مكان، وهكذا نستطيع أن ندرك الله– إلى حد ما– بالنسبة لسلطانه، أنه يملأ كل مكان، ولكن بالنسبة لأمجاد ألوهيته لا مكان يحدّه. كل شئ هو في الله ولكن الله ليس (لا يحد) في أي شئ.

والآن كيف ندرك الله؟ الله هو كل ما هو متضمن في الحق، ولكن من المستحيل أن ننظر الله؛ كما هو من المستحيل أن نتطلع في الشمس. إن الله يرى كل مخلوق، ولكن لا يستطيع أن يتطلع إليه مخلوق، ولكن المسيح يأخذ من الله نوره ويعطينا؛ إنه بهاء مجد الآب، وهو لذلك يعطي النور لكل مكان..

والكل للمسيح، الذي ورث الكل من الكائن الأوحد... الكل للمسيح في عدم فساد. ذلك لأن المسيح هو فكرة عدم الفساد، وهو النور الذي يشع دون دنس، فالشمس تسطع بأشعتها على أقصى الأماكن فساداً لكنها لا تتدنس به. هكذا المسيح حتى إن وُجد وسط عدم الكفاية فهو بلا نقص، وحتى وإن كان قد وُلد (تجسد). فهو لم يولَد بعد. فإن كان مرئيا ومدركاً من الجانب الواحد فهو من الجانب الآخر غير

مرئي وغير مدرك من جهة كيانه الحقيقي، المسيح هو الكل، ومن لا يملك الكل لم يدرك المسيح ولم يستطيع أن يعرفه.

يا بنى لا تتجاسر وتنطق بكلمة عن ذلك الواحد ولا تحدد إله الكل بصورك العقلية لأن الله الذي يحكم لا ينبغي أن يُحكم فيه بواسطة من هو تحت الحكم؛ حقاً من الصالح أن نسأل ونعرف من هو الله... حقاً دع ذاك الذي يرغب أن يعرف شيئاً عن ذلك الواحد يسأل بوقار واحترام لأنه من الخطر الجسيم أن نتحدث عن هذه الأمور حيث أنك تعرف أنك ستدان عن كل كلمة تنطق بها.

ولتفهم أيضا أن ذاك الذي هو في الظلمة لا مقدرة له أن يرى شيئا حتى يقبل النور وبواسطة النور يستطيع أن يرى كل شئ. إفحص نفسك هل لك النور بالحقيقية لأنك إن سألت عن هذه الأشياء تعرف كيف تهرب. لأن كثيرين يتخبطون في الظلام حيث لا يوجد النور فيهم.

يا بنى لا تدع عقلك يتأمل في السفليات. بل أرفع عينيك، بواسطة النور، إلى الأشياء العليا ذلك لأن النور يشرق دائماً من أعلى وحتى وإن كان العقل على الأرض، دعه يتجه إلى ما هو أسمى أنر ذهنك أولاً بنور السماء حتى تستطيع أن توجه قلبك إلى نور السماء.

لا تكل من أن تطرق على باب العقل، ولا تمل من السير في طريق المسيح سر فيه حتى تنال الراحة من أتعابك. إن سرت في طريق آخر لن تجد فائدة فيه، لأن الذين يسيرون في الطريق الواسع سيتدهورون في النهاية إلى حضيض الحمأة لأن العالم السفلي مفتوح للنفس ومكان الهلاك متسع رحب اقبل المسيح الطريق الضيق لأنه حمل الضربة من أجل خطاياك.

أيتها النفس المعاندة في أي جهل تعيشين؟ لأن من هو دليلك في الظلمة؟ كم تحمل المسيح من أجلك فذاك الإله قد جاء كإنسان وسط البشر ونزل إلى العالم السفلي مطلقاً سراح أبناء الموت... وحينما رآه كل السلاطين هربوا حتى يخرجكم أيها التعساء من الهوة ويموت من أجلكم فدية عن خطاياكم، وبهذا خلصكم من قبضة العالم السفلي.

ولكنكم من الجانب الآخر بصعوبة سلمتم أنفسكم إليه على أســاس أن يأخــذكم بفرح وأنتم تعلمون أن أساس الاختيار الذي هو وداعة القلب، هو هبة من المســيح فإن وضعتم أنفسكم ترتفعون، وإن رفعتم أنفسكم مصيركم إلى الإتضاع..

يا بنى، أحفظ نفسك ضد الشر لا تدع روح الشر يلقى بك إلــى الهاويــة، لأن روح الشر مجنون قاسى، حاقد، وهو يلقى بمن تصل إليه يده، إلى حفرة الحمأة... جميل جداً أن تنبذ الفجور والفسق، ولا تفكر بالمرة في هذه القباحات البائســة لأن التفكير فيها موت وما أحلى أن ينجو الإنسان من فخ المــوت، لأن الــنفس التــي تستسلم للموت عديمة العقل لأنه كان خيراً لذلك الإنسان ألاّ يحيا بالمرة من أن يأخذ حياة الحيوان أحفظ نفسك لئلا تحترق بنار الشهوة.

يا بني إخلع عنك رداء الدنس والبس ثياب النور والنقاوة حتى تبدو جميلاً فيها ولكن حين تكون لك هذه الثياب أحفظها جيداً حرر نفسك من كل قيد حتــى تنــال الحرية الكاملة حينما تطرح عنك الرغبة التي لها طرقها الخداعة الكثيرة وحينمــا تحرر نفسك من خطايا الشهوات.

استمع يا بنى إلى نصيحتي. لا تصبح وكراً للثعالــب والحيــات. ولا جحــراً للثعابين والأفاعي، ولا عرينا للأسود. فإذا حدثت لك هذه الأمور أيتها النفس، فمــا عساك تفعلين؟ لأن هذه هي قوات المقاوم. وكل ما هو ميت سوف يزحف إليكِ عن طريقها. ذلك إن طعام هذه القوات، هي الجيف والنجاسات فإذا حلت فيك هذه، أي شيء حي يحيا فيك؟. إن الملائكة الأطهار سوف ينبذونك. فقد كنت قبلا هيكلاً، أما الآن فقد صرت مقبرة، كفي عن أن تكوني مقبرة وعودي إلى الهيكل حتى تحل فيك الألوهية، والاستقامة.

أنر النور الذي فيك، لا تطفئه، وهل أنرت النور للوحوش الكاسرة وسلالتها؟.أقم الميت الذي مات فيك... هبه الحياة فيحيا.

لأن شجرة الحياة هي المسيح إنه الحكمة وله الحكمة وهو أيضاً الكلمــة. إنــه الحياة، والسلطان، والباب. إنه النور، والرسول، والراعي الصالح. سلم نفسك إلــى ذاك الذي صار كل شئ في سبيلك. لأنه حيث أن المسيح هو الحكمة فهــو يجعــل الغبي حكيماً وما أروع الحكمة كمملكة مقدسة وكرداء منيــر، لأن الحكمــة كنــزٌ ذهبي، وهي تعطيك الكرامة العظمي وحكمة الله، قد صار نوعاً من الجهالــة فــي

سبيلك، حتى تأخذك أيها الغبي، وتحولك إلى إنسان حكيم، والحياة ماتـت لأجلـك حينما مات المسيح، حتى عن طريق موته يعطيك الحياة أيها المائت.

سلم نفسك للفهم وأطرح عنك الحيوانية لأن الحيوان الذي لا عقل له واضـح؛ لأن كثيرين يظنون أن لهم العقل ولكنك إذا دققت النظر إليهم لوجدت منطقهم منطق الحيوان.

امتلئ بالفرح من كرم المسيح الحقيقي، ارتو وأشبع من الكرمة الحقيقية التي لا سكر فيها ولا خطأ لأن الكرمة الحقيقية تنهي سلطان السكر لأن فيها القوة أن تعطي الفرح للنفس، والعقل عن طريق روح الله، ولكن غذِّ قوى فكرك أولاً قبل أن تشرب من الكرمة الحقيقية.

يا بني لا تمزق قلبك بسيف الخطية، لا تحرق نفسك أيها البائس بنار الشهوة، لا تستسلم للبرابرة كأسير ذليل، ولا للوحوش الكاسرة التي تريد أن تمزقك لأنها أسود تزمجر في شراستها. لا تكن ميتاً مستسلماً أمامها، منطرحاً فيطأونك بأقدامهم. كن رجلاً. لأنك عن طريق العقل (والنعمة) تستطيع أن تنتصر عليها.

ولكن الإنسان الذي لا يعمل شيئاً هو غير خليق بـأن يـدُعى إنسـاناً عـاقلاً؛ فالإنسان العقلاني هو الذي يخشى الله فلا يفعل شيئا قبيحا والذي يحفظ نفسه ضد ما هو قبيح هو المتمسك بمبادئه الهادية.

لأنه من ذا الذي يكنُّ الاحترام لله، وهو لا يفعل ما يرضيه. لأن التقـوى هـي النابعة من القلب وهي علامة النفس القريبة من الله.

والنفس التي هي أحد أعضاء أسرة الله، هي التي تُحفظ قوية إنها النفس التـي لبست المسيح الذي هو النقاوة هذه النفس لا يمكن أن تخطئ لأنه حيث يوجد المسيح تصبح الخطية مختنقة ذليلة.

دع المسيح يدخل دائرتك دعه ينتصر على كل القوات التي انتصرت عليك دعه يدخل إلى الهيكل الذي في أعماقك، حتى يطرد كل الباعة خارجاً دعه يسكن فـي هيكلك فتصبح أنت داخل دائرة النقاوة كاهنا ولاوياً له.

طوباك أيتها النفس إن حلّ ذاك في هيكلك وطوباك بـالأكثر إن قمـت أنـت بخدمته..

ولكن ذلك الذي يفسد هيكل الله فذاك الإله الواحد سوف يهلكه، لأنك تكشف ذاتك أيها المسكين إن طرحت الله خارج هيكلك وحينما يرى الأعداء أن المسيح ليس بالداخل تكون فرصتهم فيهجمون عليك مسلحين لكي يسحقوك.

يا بني لقد أعطيتك مراراً مثل هذه التعاليم حتى تحفظ نفسك. إنك تظن إنك تطرح المسيح خارجاً ولكنه في رفضك له هو يطرحك، وحين تهرب منه تقع في فخاخ الخطية وحين تبتعد عنه تصبح مأكلا لأعدائك، ذلك لأن كل وضيع يهرب من سيده، والإنسان الوضيع في الفضيلة والحكمة يهرب من المسيح، لأن كل إنسان ينفصل عنه يسقط بين مخالب الوحوش البرية إعرف من هو المسيح وإتخذه صديقاً لأن هذا هو الصديق الصدوق.إنه الله والمعلم.. الله الذي صار إنساناً من أجلك حتى يعلمك الطريق. وهو وحده الذي كسر مصاريع النحاس ومغاليق الحديد للعالم السفلي، وهو الذي هاجم وسحق كل جبار عات، وهو الذي أخضع القوات المتعالية وأخزى بمذلته المرتفعين. وهو الذي بضعفه طرّح الأقوياء وفيما هو مُحتقر إحتقر كل ما هو عظيم حتى يصبح الإتضاع أمام الله مصدر رفعة وكرامة.

ومع ذلك لقد كان الكلمة الإلهي هو الله الذي يتعامل في صبره وطول أناته مع البشر لكي يولّد في المنتفخين روح الإتضاع، وهكذا رفع المسيح الإنسان كالله. بمعنى أنه جعل الإنسان شبيه الله.

يا لغنى لطف الله وعظمته وصلاحه! يا لعمق غنى المسيح الملك الذي أعلن للبشر الألوهية العظمى! يا ملك كل فضيلة يا ملك الحياة يا ملك الدهور.. يا أيها الواحد العظيم في السموات أصغ إلى كلماتي وأغفر لي!

زيادة على ذلك لقد أظهر غيرة عظمى على الألوهية فمن الذي يستطيع أن يكتشف مشورات القدير أو أن يتحدث عن الألوهية ويعلن أسرارها؟ إذا كنا لا نستطيع أن ندرك مشورات رفاقنا فمن له المقدرة على أن يدرك أسرار الألوهية؟ إن كنا بالكاد نفهم ما يحيط بنا على الأرض، فكيف نصل إلى إدراك أمور السماء؟

وحياة السماء تستلزم تجديد الكل.. أن نطرح عنا كل ضعف، وكل صورة حالكة، حتى نشع بالبهاء في الثياب السماوية، وتظهر فينا رغبة الآب وننال التتويج على يدي ذاك الذي توّج أولاً ونال السيادة والسلطان، وظهر معطياً النور لكل إنسان وعن طريقة صنع كل شئ من جديد بواسطة الروح القدس والعقل.

أيها الرب صاحب السلطان، أي تمجيد أستطيع أن أهديه لـك؟ مـن ذا الـذي يستطيع أن يمجد الله بحق؟ إنك أنت الذي أعطيت المجد للكلمة أيها الإله الـرحيم، حتى يخلص بواسطته كل إنسان إنه الكلمة الصادر عن فمك، الخارج مـن قلبـك، المولود البكر، صورة النور الأزلي.

لأنه النور من قوة الله وهو انبثاق مجد كلي القدرة؛ إنه المرآة العاكسـة لعمـل الله، وهو صورة صلاحه؛ إنه النور السرمدي وهو العين التي تنظر الآب الخفـي؛ هو المولود بمسرة الآب منذ الأزل لأنه الكلمة غير المدرك وهو الحكمة والحيـاة؛ إنه معطى الحياة لكل الأحياء والسلطان لكل صاحب سلطان وكما أن النفس تعطى الحياة لكل الأعضاء فهو الذي يتسلط بالسلطان ويعطى الحياة لهـا؛ إنـه البدايـة والنهاية لكل واحد هو الذي يسهر على الكل ويحيط بالكل إنه المتألم والمضـطرب والمهتم بكل أحد وهو المسرور وهو الذي ينوح، إنه ينوح على أولئك الذين عُيّنوا لمكان العذاب، والعقاب، وهو المهتم بكل من يرغب في تعليمه، ولكنـه المسـرور بأولئك الذين يعيشون في النقاوة والبر.

لذلك كن حريصاً لئلا تقع في أيدي اللصوص، لا تُعط نوماً لعينيك ولا نعاسـاً لأجفانك حتى تخلص كالغزال من الشبكة وكالعصفور من الفخ.

حارب معركتك الكبرى بينما تتطلع إليك كل القوات ليس قوات القديسين فقط بل كل رئاسات المقاومين والويل لك إن انتصر عليك العدو أمام أنظار من يتطلعـون إليك! إن كنت تحارب معركتك وتنتصر على القوات التي تحارب ضدك فسوف يعم الفرح كل قديس أما الحزن فسيكون نصيب أعدائك.

إصغ إلي يا بني ولا تكن بطيئاً في سمعك انهض نفسك حينمـا تطـرح عنـك الإنسان العتيق وترفع أجنحة النسور، أحسن إلى الله في كل طرقك ومجـدة عـن طريق أعمالك الصالحة. إنك تعلم أن كل من لا يسّر قلب الله هـو ابـن الهـلاك وسوف يكون نصيبه الهاوية في العالم السفلي.. يا لصبر الله في تعامله مع كل واحد يا لصلاحه إذ يرغب إن كل من وقع تحت سلطان الخطية ينال الخلاص!.

لأن الله قريب وهو ليس بعيداً عنك ... إنه معلن لكل واحد وهو خفي لا يدرك إنه معلن لأن الله يعرف الكل وإن كانوا لا يقرّون بهذا فقلوبهم تلومهم، وهو خفـي لأنه ولا واحد يستطيع أن يصل إلى إدراك أمور الله الخفية.

لأنه من غير المدرك، ومن المستحيل أن نصل إلى معرفة مشورات الله.

يا بني أعدّ نفسك للإفلات من سلاطين الظلمة، ومن هذا الجو الممتلئ بـــالقوات الشريرة، لأنه إن كان لك المسيح تستطيع أن تنتصر على العالم كله.

لا تكن مثل المتاجرين بكلمة الله ضع كل شئ تحت الاختبار قبل أن تنطق به.

لا ترغب في أن تنال تكريم الناس الذي هو غير مضمون ولا المديح والافتخار الذي يرد بك للهلاك.

أقبل حكمة المسيح الوديع طويل الأناة وأحفظها يا بنى عارفاً أن طرق الله هي دائماً طرق الكسب.

" يسوع. المسيح. ابن. الله مخلص"

الفصل الثاني عشر

" من الأسفار الحكمية "
أقوال سكستوس

أقوال سكستوس (Sextus) كما وردت في مكتبة نجع حمادى هي ترجمة قبطية لنبذة قديمة ظهرت في الأصل في اليونانية ثم توالت ترجماتها إلى اللاتينية، والسيريانية والآرامية وكشاهد قديم جداً فإن النبذة ذات مدلول قوى للدراسة النقدية لنص وطبيعة الوثيقة.

أما هذه الأقوال فهي تتضمن مجموعة من الكلمات الحكمية كانت سائدة في العصور المسيحية الأولى لها نغمتها الأخلاقية النسكية ومع أن النبذة في حد ذاتها لا يمكن أن نجعلها ضمن الأدب الغنوسي إلا أن صيغتها السرائرية الزهدية يجعلها لا تتنافى مع مجموعة كتابات نجع حمادي بل إن النغمة النسكية المفرطة التي نلمسها في مكتبة نجع حمادي يمكن أن تعطينا المفتاح لمعرفة حقيقة الجماعات التي كانت تستخدم تلك الكتب والتي قامت بجمعها وتخزينها وكانت لديها في المرتبة القدسية.

إن كل الدلائل تشير إلى أن تلك المكتبة كانت في ملك جماعة أو جماعات لها اتجاهها القوى، الصارم بخصوص الزهد الجنسي في هذا الإطار ليس من المستغرب أن يدخل ضمن هذه المكتبة عملٌ نظير "أقوال سكستوس"

وهكذا فإن تلك الأقوال تعلن كبح جماح العواطف فحينما تسود العواطف الجسدية وتتغلب النوازع اللحمية فلا مجال هناك للحكمة والمعرفة وإذا كان المؤمنون يعيشون بغيرة حياة الجهاد الخلقي فحينذاك يصبحون ما هم عليه أبناء الله فالمؤمنون لكونهم على شبه الله، ينبغي أن يعكسوا الطهارة الإلهية والكمال الإلهي.

(النص)

(...) أحبب الحق، فالكذب مثل السم.

(...) يا ليت الوقت المناسب الصحيح يسبق كلماتك.

(...) تحدث، حينما لا يليق بك أن تبقي صامتا، ولكن تحدث بخصوص الأشياء التي تعرفها فقط حينما يكون ذلك مناسباً.

(...) الكلمة في غير وقتها هي دليل العقل الشرير، حينما يكون ملائما أن تعمل لا تستخدم الكلمات.

(...) لا ترغب في أن تكون المتكلم الأول في وسط الجمع. بينما من المهارة والمقدرة أن تتكلم؛ فمن المقدرة والمهارة أيضا أن تصمت.

(...) من الأفضل لك أن تكون مغلوباً في حديثك بالحق من أن تكون غالبا عن طريق الخداع.

الذي يغلب عن طريق الخداع، يكون مصيره الهزيمة عن طريق الحق.

الكلمات غير الصحيحة، هي سمة الأردياء.

لا تخدع أي إنسان، وعلى الأخص من هو بحاجة إلى نصحك.

إن كنت تتكلم بعد أن يتحدث آخرون، فسوف ترى أكثر المنفعة.

(...) أمين هو الذي يسبق جميع الصالحين.

(...) الحكمة ترشد صاحبها، إلى حيث يكون الله.

(...) لا يوجد قريب الحق سوى الحكمة.

(...) من المستحيل على الطبيعة المؤمنة أن تصبح مولعة بالأكاذيب.

(...) الطبيعة المستعبدة الخائفة لا مقدرة لها بأن تشترك في الإيمان.

(...) حينما تكون مؤمناً. فإن ما هو لائق أن تقول، ليس بأكثر أهمية مما يليق بك أن تسمعه.

حينما تكون مع جماعة من المؤمنين، لتكن راغباً في الاستماع أكثر من رغبتك في الحديث.

(...) الإنسان محب اللهو لا نفع فيه في أي شئ.

(...) إن خطايا الجهلاء هي عار لمن قدموا لهم التعليم.

(...) الذين يُجدف على اسم الله بسببهم هم أموات أمام الله.

(...) الإنسان الحكيم هو الذي يفعل الصالحات تابعاً الله.

(...) يا ليت حياتك تؤيد كلماتك أمام أولئك الذين يسمعونك.

(...) ما ليس من الصواب أن تعمله لا تحاول حتى مجرد التفكير في عمله.

(...) ما لا تريد أن يحدث لك لا تفعله أنت لغيرك.

(...) حكيم هو الذي يعرِّف الناس بالله، والله يعتبر الإنسان الحكيم أكثر من كل مصنوعاته.

(...) بعد الله لا يوجد من هو حر مثل الإنسان الحكيم.

(...) كل ما يملكه الله يملكه أيضاً الحكيم.

(...) الحكيم يشارك في ملكوت الله. والشرير لا يشاء أن تجرى معرفة الله.

(...) النفس الشريرة تهرب من الله.

(...) كل ما هو رديء. عدو لله.

(...) ما تفتكر فيه ذاتك، قل في عقلك إنه الإنسان.

(...) حيث يكون فكرك، هناك يكون كنزك.

(...) بعد الله، أكرم الإنسان الحكيم، حيث إنه خادم الله.

(...) أن تجعل من كيان نفسك حمْلاً فهذا إفتخار. أما أن تكون لك المقــدرة أن تكبح جماحه عند الضرورة فهي بركة.

(...) لا تكن مذنباً بخصوص موتك، لا تكن غاضباً على ذاك الذي ينزعك من جسدك ويقتلك.

(...) إن كان إنسان بروح الشرير ينزع الإنسان الحكيم من الجسد؛ فـإن مـا يفعله صالح له لأنه حرره من القيود.

(...) إن الخوف من الموت يحزن الإنسان بسبب جهل النفس.

(...) إن الذي يقول "أنا أؤمن"، حتى ولو قضى وقتاً طويلاً في تظاهره فإنه لن يستمر بل سيسقط في النهاية .. نظير قلبك، هكذا حياتك.

(...) القلب المقدس ينتج الحياة الصالحة.

(...) الذي يدبر الشر ضد أخيه يقع فيه أولاً.

(...) لا تدع الإنسان الجاحد يدفعك لأن تكف عن عمل الخير.

(...) سوف يتكاثر ما تملك، حينما تعطى المحتاج باختيارك.

(...) قدم النصح للأخ عديم الفهم أن يكف عن عدم فهمه، إن كان معتوهاً فقدم له الحماية.

(...) اجتهد أن تكون منتصراً على كل إنسان في الحكمة. احفظ كنز ذاتك.

(...) لن تستطيع أن تكتسب الفهم، قبل أن تعرف أولاً إنك لا تمتلك شيئاً.

(...) أعضاء الجسد، هي عبء على من لا ينتفعون بها.

(...) خيرٌ لك أن تخدم الآخرين. من أن يخدمك الآخرون.

(...) من لا ينزعه الله من جسده، لا جدوى في أن يجهد نفسه.

(...) ليس فقط، لا تتمسك برأي لا نفع فيه لمن يحتاجه. بل بالأحرى لا تستمع إليه.

(...) من يعطى بدون تقدير يسبب سخطاً.

(...) إن كنت تأخذ على عاتقك مهمة رعاية اليتامى، فسوف تصبح أباً لأبناء كثيرين محبوباً من الله.

(...) من تخدمه لتنال منه تكريماً فقد خدمته في سبيل الأجرة.

(...) إن كنت تعطي لذاك الذي يرد لك الاحترام. فإنك لم تعط للمحتاج، ولكنك أعطيت لرغبتك في التلذذ.

(...) لا تثر غضب الرعاع. اعرف ما هو لائق بالإنسان الناجح أن يفعله.

(...) من الأفضل أن تموت، من أن تسودك النفس بسبب رغائب المعدة الشاردة.

(...) قل في ذاتك أن الجسد هو رداء النفس. إحفظه نقيا حيث أنه برئ.

(...) ما تفعله النفس، حينما تكون في الجسد سوف يكون شاهداً عليها في يوم الدينونة.

(...) الأرواح النجسة تتمسك بأحقيتها في النفس الملوثة فالشياطين الرديئة لا تقدر أن تضع يدها على النفس الأمينة الصالحة في طريق الله.

(...) لا تعط كلمة الله لكل مخلوق.

(...) الذين أفسدتهم أمجاد (العالم)، ليس من اليقين أن يتأثروا في سماعهم عن الله.

(...) ليس من الأخطار القليلة أن تتحدث الحق عن الله. لا تقل شيئاً عن الله. إلا ما علمنا الله عن ذاته.

(...) إن أصدق كلمة عن الله، هي كلمة الله.

(...) تحدث عن الله كمن يتحدث في محضر الله.

(...) إن كان عقلك يؤكد لك أنك تحب الله فتحدث إلى من تريد عن الله.

(...) يا ليت أعمال التقوى تسبق كل كلمة عن الله.

(...) لا تتحدث مع جمهور عن الله.

(...) كن حذراً في حديثك بكلمة عن الله. اكثر من حذرك في حديثك عن النفس.

(...) الأسد يحكم على شخص الإنسان الحكيم. وكذلك المستبد يسيطر عليه وحده.

(...) إن كان المستبد يهددك، أذكر الله.

(...) من يتحدث بكلمة الله إلى أولئك الذين لا يليق بهم سماعها يخون الله.

(...) من الأفضل أن تكون صامتاً عن كلمة الله، من أن تتحدث بها برعونة.

(...) الذي يتحدث بأكاذيب عن الله، يكذب على الله والذي ليس له ما هو صادق بالنسبة لله، يهجره الله.

(...) ليس من الممكن أن تعرف الله. ما لم تتعبد له.

(...) الذي يصنع الشر لقريبه. لا يقدر أن يعبد الله.

(...) محبة الإنسان، هي بداءة الصلاح.

(...) هذا هو حق الله. الاهتمام بالناس، والصلاة من أجلهم.

(...) إن عمل الله. هو خلاص من يريد، وعمل الإنسان المحب لله، أن يطلب من الله خلاص كل واحد.

(...) الإنسان الجدير بالله، هو إله وسط البشر.

(...) العظيم هو الموجود. والذي يلي العظيم يوجد أيضاً.

(...) من الأفضل للإنسان أن لا يكون له شئ. من أن تكون له أشياء كثيرة، ولا يعطى المحتاجين. وبالمثل حين يطلب من الله لا يعطيه شيئاً.

(...) إن كنت من كل قلبك، تعطى الخبز للجائع فإن العطية صغيرة. ولكن الرغبة عظيمة عند الله.

(...) الذي يظن أنه ليس هناك من هو في محضر الله، فهو ليس متصفا أمام الله.

(...) الذي يسكّن عقله أمام الله، كمن في محضر سلطانه، هو الذي يكــرم الله كثيرا.

(...) الله ليس بحاجة لشيء، ولكنه يسر بمن يعطى من له حاجه.

(...) الأمين كلماته قليلة، ولكن أعماله عديدة.

(...) الإنسان الأمين المغرم بالتعليم. هو الذي يصنع الحق.

(...) إن كنت لا تفعل أذىً لمخلوق، فأنك لن تخاف من مخلوق.

(...) ما تراه أنه حق لتعمله. اعمل في ملء اختيارك.

(...) ما ليس حقاً لتعمله، لا تعمله بأي طريق.

(...) ما تفعله حسناً، قل في عقلك. إن الله هو الذي يعمله.

(...) من ينظر إلى الأرض، وإلى موائدها. ليس بحكيم.

(...) الفيلسوف الذي هو مجرد جسم خارجي. ليس هو الواحد الذي يســتوجب احترامك، ولكنه الفيلسوف يحسب الإنسان الباطن.

(. .) احفظ نفسك من الكذب. هناك من يخدع، وهناك من يكون مخدوعاً.

(...) إعرف من هو الله واعرف من هو الذي يفكر فيك، فالإنسان الصالح هو عمل الله الصالح.

(...) يالتعاسة أولئك الذين يُجدف على الكلمة بسببهم.

الفصل الثالث عشر

من الميثولوجيا
رحلة النفس
أو مقال تفسيري عن النفس

"تفسير النفس" أو "مقال تفسيري عن النفس" هو رسالة غنوسية تدعو إلى نبذ أباطيل الحياة، والاتجاه إلى الحياة الأخرى.

وهذه النبذة، لابد وأنها كتبت باليونانية، منذ القرن الثاني للميلاد ولو أننا لم نعثر إلا على الترجمة القبطية هنا.

والمقال في صورة قصة ميثولوجية (أسطورية) تروى سقوط النفس وردها. وتختتم بفصل يحث القارئ على التوبة، والرجوع. ولتأكيد قصة تلك الأحداث المصيرية التي تعرض لها القصة. أدخلت ضمن المقال اقتباسات عديدة، لتأييد ما ورد بها من العهد القديم، ومن العهد الجديد، ومن أوديسة هوميروس. والاقتباسات على قدر مما يسمح المجال، مجرد مختارات خاطفة أدخلت وسط السطور، تأتى دون ما تشكيل لتوائم ما تدخل إليه من أحداث، حتى أننا لو نزعنا هذه الاقتباسات لبقى سياق القصة سليما كما هو.

وقصة سقوط النفس ورجوعها، أو ردها، تقدم في صورة درامية. فالنفس أنثى (والكلمة اليونانية لها سايك مؤنثه) وهى مبدئها عذراء نقيه- لا جنس لها، خنثى (*Androgynous*)،.تحيا في محضر الآب السماوي. ولكنها حينما تلبس الجسد تتدنس. وبعد أن تترك دائرة بيت الآب، وتفقد عذروايتها. تقع في دائرة أوصاب الجنس وبلايا البغاء، وتتقلب في أحضان الدنس، مع زناة العالم الشهواني. وفي خرابها تعود إلى نفسها مصلية إلى الآب السماوي للرجوع، والتوبة. فيسمع الآب طلبتها فتعود إلى حالتها الأصلية، حالة الخنثى، واتحاد هذا اللاجنسي، مع شقيقها.

هذا الاتحاد اللاجنسي، يتم عن طريق الزواج الروحي: فيأتي العريس نازلاً إلى حجرة الزفاف، وتصبح النفس وعريسها "حياة واحدة" وليسا بعد اثنين ولن يفصل بينها وبينه شئ. وهكذا يتم الصعود إلى الآب السماوي. وتعود النفس مرة ثانية إلى بيتها الأبدي في السماء.

ورحلة النفس، تظهر لنا موائمة هذه القصة مع بعض ما ورد في الأدب الغنوسى، عن مصير النفس، وردها، وعلى الأخص فكرة اللاجنس، والاتحاد اللاجنسي.

وهذا المقال لا يشف عن أي سمات مسيحية أو يهودية، ولكنة يشبه القصص الأفلاطونية، والفيثاغورثية، عن منفى النفس، ورجوعها. ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نثبت على وجه التحديد الإطار التاريخي، أما للنبذة أو لفكرة القصة التي تتضمنها.

(مقال تفسيري عن النفس)

لقد أعطى القدماء الحكماء للنفس اسما أنثويا. فهي أنثى في طبيعتها ... بل أن لها رحم الأنثى أيضاً.

وطالما كانت بمفردها مع الآب كانت عذراء، في حالة اللاجنس. ولكن حينما وقعت في الجسد وجاءت إلى الحياة، سقطت بين أيدي مجموعة عديدة من اللصوص. وأسلمها أولئك الأشقياء الواحد للآخر. البعض استخدمها مهددا بالعنف، والبعض بالإغراء مستخدما الهدايا، والخلاصة أنها تدنست وفقدت عذراويتها وبراءتها ... وفي جسدها أصبحت بغيا، وأسلمت نفسها لكل واحد، وللجميع، معانقة هذا، وذاك كزوج لها. وحينما أسلمت نفسها للزناة الفاسقين غير الأمناء. وعادت إلى صوابها (أخيراً) وامتلأت أنيناً، وندامة ولكنها حتى في محاولتها الهروب من أولئك الزناة، تجد نفسها. وقد وقعت في أحضان غيرهم، وأولئك كانوا يرغمونها على قضاء مآربهم، وعيشة الدنس معهم. كأنما هي الآمة المستعبدة، وهم الأسياد ومجللة بالخزي. ما كانت تقدر أن تفترق عنهم، بينما كانوا يخدعونها لوقت طويل متظاهرين بأمانتهم كأزواج لها، يقبلونها، ويحترمونها، وبعد أن يقضوا مآربهم. يهجرونها ويذهبون.

وهكذا تصبح أرملة منبوذة دون من يعين، ولا تجد معيار الكفاف لتسد به رمقها في وقت الشدة. لأنها من محبيها لم تنل شيئا سوي الدنس الذي تركـوه لهـا فـي اتصالهم الجنسي بها. أما أبناؤها الذين ولدتهم من أولئك الزناة، فقد كانوا مصـابين بالخرس، والعمى.. مرضى، وضعاف العقول٢٧

ولكن حينما تقدم الآب الذي فوق لزيارتها ونظر إليها ورآها تئن في عارهـا، وأحزانها، وآلامها وقد ندمت عن البغاء الذي اندفعت فيه، وحينما عـادت لتـدعو باسمه ليقدم لها المعونة من أعماق قلبها صارخة "خلصني يا أبى لأني سأعطى لك حساباً عن كل ما فعلت لقد هجرت بيتي، وهربت من مسارح عـذراويتي أعـدني إليك مرة أخرى يا أبتي" وحينما يراها هكذا، يرى أن أوان الرحمة قد جـاء لأنـه كثيرة هي ضرباتها، وويلاتها التي أتت عليها بسبب كونها هجرت بيتها.

والآن عن بغاء النفس، يتنبأ الروح القدس في أكثر من موضع. لأنه يقول فـي نبوات أرميا (٣:١-٤)

"إذا طلق رجلُ امرأته، فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر، فهـل يرجـع عليها بعد ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة. أما أنت فقد زينت بأصـحاب كثيـرين. ولكن ارجعي إليّ يقول الرب. ارفعي عينيك إلى الهضـاب وانظـري أيـن لـم تضاجعي؟ في الطرقات جلست لهم كاعرابى في البرية، ونجست الأرض بزنـاك، وبشرك فأمتنع الغيث، ولم يكن مطر متأخر. وجبهة امرأة زانية كانت لك. أبيت أن تخجلي "ألست من الآن تدعينني يا أبى، أليف صباي أنت؟.

وأيضاً ورد في سفر هوشع (٢:٢-٧).

"حاكموا أمكم حاكموا لأنها ليست امرأتي، وأنا لست رجلها. لكي تعزل زناهـا عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلا اجردها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها واجعلها كقفر وأصيرها كأرض يابسة وأميتها بالعطش.

ولا أرحم أولادها، لأنهم أولاد زنى "لأن أمهم قد زنت. التي حبلت بهم صنعت خزياً لأنها قالت أذهب وراء محبي الذين يعطون خبزي وصوفي وكتاني وزيتـي وأشربتي. لذلك هأنذا أسيج طريقك بالشوك وأبني حائطها حتى لا تجـد مسـالكها

[27] هذا ما تأخذه النفس، في وجودها بين أباطيل العالم، وسعيها إليها.

فتتبع محبيها ولا تجدهم فتقول أذهب وأرجع إلى رجلي الأول لأنه حينئذ كان خيرٌ لي من الآن" وأيضاً في حزقيال (١٦:٢٣-٢٦)

"وكان بعد كل شرك" أنك بنيت لنفسك قبة (ماخورا)، وصنعت لنفسك مرتفعه في كل شارع في رأس كل طريق بنيت مرتفعاتك، ورجست جمالك، وفرّجت رجليك لكل عابر وأكثرت زناك وزنيت مع جيرانك بنى مصر الغلاظ اللحم، وزدت في زناك لإغاظتي."

ولكن ماذا يعنى بالقول "بنى مصر الغلاظ اللحم؟" إن لم يكن يقصد بهم سلطان الجسد، وملكوت الأمور المنظورة لهذه الأرض، التي بها تتدنس النفس، آخذة منها الخبز، والخمر، والزيت، والثياب؟ تفاهات الأمور الجسدية الخارجية الأشياء التي تظن أنها بحاجة قصوى إليها.

أما بخصوص هذا الزنى. فقد تحدث رسل المخلص في أكثر من موضع (أنظر أعمال: ١٥: ٢٠، ٢٩/ ٢١: ٢٥، ١تسالونيكي٤: ٣، ١كورنثوس٦: ١٨، ٢كورنثوس٧: ١)

إن مناداة الرسول بأن نحفظ أنفسنا من هذه مطهرين ذواتنا منها. لا يعنى فقط الامتناع عن زنى الجسد، بل بالأخص زنى النفس. لأجل هذا يكتب الرسول محذرا الكنائس بأن لا يحدث هذا فيما بينها.

إن أعظم كارثة تحدث للإنسان هي في زنى النفس، لأنه من هذا ينبع زنى الجسد أيضاً وأننا نجد بولس يكتب إلى كنيسة كورنثوس قائلاً في (١كورنثوس٥:٩)."كتبت إليكم في هذه الرسالة ألا تخالطوا الزناة وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين، أو الخاطفين، أو عبدة الأوثان، وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم" هنا يتحدث روحيا. وأيضاً في (أفسس٦:١٢).

"فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات".

وطالما تخبطت النفس تسعى هنا وهناك، تجتمع مع كل من تلتقي به، وتدنس نفسها، فإنها تظل تعاني، وتقاسي ولكنها حين تتأمل ما هي فيه من عار، وتبكي أمام الآب وتندم راجعة إليه فإن الآب يتحنن عليها، وتستعيد النفس الحالة التي كانت عليها.

ويطهر الرب رحمها من النجاسات الخارجية التي تلطخ بها ويعمدّه، تماما كما تأخذ رداء قذراً وتضعه في الماء وتغسله وتنزع عنه القَذَر فينظف ويصبح نقيـاً، وهكذا فأن تنظيف النفس يجعلها تستعيد جدة طبيعتها السابقة، ويعيدها مرة ثانية إلى حالتها الأولى هذه هي معمودية النفس٢٨

وحين تصل إلى هذه الحالة، تبتدئ. تثور على نفسها، في اضطراب وتوجـع، كامرأة في ساعة الولادة. ولكن، حيث أنها أنثى بمفردها. لذلك لا قوة فيها على أن تلد طفلا. ومن السماء يرسل لها الآب رجلها.. شقيقها.. المولود البكر. وهكذا ينزل عريسها من الأعالي لعروسه. فتنزع عنها بقاءها السابق، وتطهر ذاتها من لوثـات الزناة، وتتجدد لتصبح عروساً. أنها تطهر نفسها في غرفة الزفاف. وتعطر الغرفة بالعطور، وتجلس في انتظار العريس الصادق.

... وهى تقول في نفسها "ترى متى يأتي؟" وقلبها يخفق خوفاً، وتوقعاً، لأنها لا تعرف ماذا تكون صورته. لقد نسيت كيف تكون صورته منذ ذلك الوقـت الـذي سقطت فيه من بيت الآب، لتحل في الجسد... ولكن بإرادة الآب، كانت تحلم بـه، كامرأة وقعت في حب رجل.

ثم ينزل العريس إليها، بإرادة الآب، في غرفة الزفاف المعدة له. ويقوم بتزيين الغرفة بنفسه. إن هذا الزواج، ليس نظير الزواج الشهواني فالذين ينتظرون الزواج المادي يشتاقون إلى إشباع شهوتهم بصلة الجنس وكفى. وكأنما هناك حمـل يثقـل ظهورهم، يترك- أبناء الزواج الروحي- خلفهم مضايقات الرغبـة الماديـة، ولا ينفصلان أحدهما عن الآخر ولكنهما إذ يتحدان معاً يصبحان حياة واحدة. ولقد ورد القول في تكوين (٢٤:٢) إن الاثنين يكونان جسداً واحداً. وهكذا كما فـي البدايـة حينما كان الاثنان معاً أمام الآب، قبل أن تضل المرأة الرجل، الذي هو شقيقها، نجد هذا الزواج الروحي، يعيد الاثنين معاً، فتتحد النفس بحبيبهـا الصـادق، وسـيدها الحقيقي. كما هو مكتوب في (تكوين٢:١٦&١كورنثوس ١١:١& افسس٥:٢٣) إن رأس المرأة هو رجلها. وشيئا فشيئا، تتعرف النفس على حبيبها. فتمتلئ فرحاً مرة ثانية، وتبكى أمامه، حين تتذكر عار حياتها المترملة (بعيدا عنه).وتـزين نفسـها أكثر. حتى يجد سروره معها. وأننا لنجد النبي يقول في المزامير (٤٥:١٠-١١).

[28] إن الغنوسيين يرون أن معمودية الماء هي رمز لمعمودية أعظم

"اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك، وأنس أهلك، وبيت أبيك لأن الملك قد اشتهى جمالك، لأنه سيدك"

وهو هنا يطلب منها، أن تدير ظهرها لشعبها، ولجمهرة الزناة، الذين عاشت في وسطهم يوماً. وتكرس نفسها لملكها سيدها الحقيقي وتنس بيت أبيها الأرضي، حيث سارت الأمور هناك، على غير ما ترغب. وأن تذكر أباها الذي في السموات. وأيضاً قد قيل في تكوين (١٢:١) لإبراهيم "اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك".

وهكذا حين تزين النفس ذاتها في جمالها. يجد عريسها سعادته في محبتها وتجد سعادتها في محبته. وحينما يتصل بها، تأخذ منه البذرة، التي هي الروح معطي الحياة، الذي بواسطته تلد ذريه صالحة وتربيها. هذه هي معجزة الولادة الكاملة. وهكذا يكتمل هذا الزواج بإرادة الآب.

والآن حري بالنفس أن تجدد ذاتها، وتصبح كما كانت سابقاً. وهكذا تتحرك من تلقاء ذاتها، وتقبل الطبيعة الإلهية من الآب لأجل تجديدها. حتى تعود إلى المكان الذي منه خرجت أولا. هذه هي القيامة كأنما من الأموات هذه هي الفدية من الأسر. هذه هي رحلة الصعود العلوية إلى السماء. هذا هو طريق الصعود إلى الآب لذلك يقول النبي في مزمور (١٠٣:١-٥)."باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسى كل حسناته الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفى كل أمراضك. الذي يفدى من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة. الذي يشبع بالخير عمرك، فيتجدد مثل النسر شبابك."

وحينما يتجدد شباب النفس ثانية، تبدأ في الصعود، مباركة، ومسبحة الآب، وشقيقها الذي خلصها. وهكذا وبالولادة الثانية تخلص النفس. وهذا ليس على أساس كلمات جذرية، أو مقدرة مهنية، أو علوم دراسية، ولكنة نعمة (من الآب) وهبة منه. لأن هذه أمور سماوية.

وهكذا تجد المخلص، يهتف في يوحنا (٦:٤٤) "لا يستطيع أحد أن يأتي إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني. وأنا أقيمه في اليوم الأخير"

لذلك، حرى بنا أن نصلى إلى الآب، وأن ندعوه من أعماق نفوسنا. ليس من شفاهنا، ولكن من الروح الذي في باطننا الذي يأتي من الأعماق- نائحين نادمين

على الحياة التي قضيناها.. معترفين بخطايانا.. ملاحظين الخداع الأجوف الذي كنا فيه، والغيرة الحمقاء الفارغة. باكين على حياتنا في الظلمة. نائحين علـــى أنفســنا حتى يترأف علينا، كارهين ذواتنا بسبب ما وصلنا إليه.

يقول المخلص ثانية في (متى٦،٥:٤& لوقا٦:٢١)

"طوباكم أيها الباكون لأنكم ستضحكون. طوبى للجياع... لأنهم يشبعون." قارن أيضاً ما ورد في (لوقا١٤:٢٦).

"إن كان أحد لا يبغض... نفسه لا يقدر أن يتبعني" ذلك لأن بدايـــة الخـــلاص، التوبة. (قارن أعمال ١٣: ٢٤) ولهذا نجد، قبل ظهور المسيح، أن يوحنا المعمدان ينادي بمعمودية التوبة. والتوبة تقترن بالحزن الشديد، والندامة. ولكـــن الآب فـــي رحمته صالح، محب للبشرية. وهو يصغى إلى النفس التي تدعوه. ويرســـل نـــور الخلاص لها. ولذلك هو يقول بالروح للنبي... (قارن رسالة اكليمندس٨:٣).

"قل لبني شعبي إن كانت خطاياكم تمتد من الأرض إلـــى الســـماء وإن كانـــت حمراء، مثل القرمز، وسوداء أكثر من المسوح. فإن رجعتم إليّ من كل نفوســكم، وقلتم لي، يا أبي. فإنني استمعكم، كما إلى شعب مقدس" وأيضاً في موضـــع آخـــر (إشعياء ١٥:٣٠)

"هكذا يقول الرب. قدوس إسرائيل، بالرجوع، والسكون تخلصـــون. بالهـــدوء، والطمأنينة تكون قوتكم. فلم تشاءوا".

وأيضاً يقول في موضع آخر.(إشعياء ١٩:٣٠-٢٠). "لأن الشعب في صهيون يسكن في أورشليم. لا تبكي بكاء. يتراءف عليك، عند صوت صراخك حيثما يسمع يستجيب لك. ويعطيكم السيد خبزاً في الضيق. وماءً في الشدة"؟

لذلك يليق بنا أن نصلي إلى الله ليل نهار، رافعين أكفنا نحوه، كأناس يبحـــرون في وسط البحر (المضطرب)، يصلّون إلى الله، دون رياء. لأن الذين يصلّون فـــي رياء لا يخدعون سوى أنفسهم. وفي الحقيقية أن الله يختبر ما في الباطن، ويفحص أعماق القلب، ليعرف من هو جدير بالخلاص. لأنه لا يوجد واحد مستحق للخلاص إن كان يحب موضع الخداع.

لذلك فإنه قد ورد في كتابات الشاعر (اوديسة هوميروس ١: ٤٨ - ٥٩).

"لقد جلس أوديسيوس في الجزيرة وبكى حزينا، محولاً وجهة عن كلمات كاليبسو. وعن أساليب خداعها، مشتاقاً أن يرى قريته، والدخان المتصاعد منها. ولو لم يكن قد نال معونة من السماء، لما استطاع أن يعود إلى قريته"

وأيضاً نقرأ عن هيلين قولها (الأوديسة ٤:٢٦٠-٢٦١).

"لقد تحول قلبي عنى. أنه إلى بيتي، أريد الرجوع" لأنها تأوهت قائلة:. "إنها أفروديت، هي التي خدعتني، وأتت بي من قريتي. لقد تركت ابنتي خلفي، وزوجي الجميل الطيب، صاحب الفهم" (الأوديسة ٤:٢٦١-٢٦٤). لأنه حينما تترك النفس زوجها الكامل، بسبب خداع أفروديت، التي توجد هنا، في عملية التوالد، فإنها لابد وأن تقاسي الأذى، والمرارة. ولكنها حينما تتأوه، وتندم. فإنها تُعاد إلى بيتها.. وبكل تأكيد نجد، أن إسرائيل، ما كان ممكنا أن ينال الافتقاد في الموضع الأول، لينال النجاة، والحرية، من بيت العبودية، لو لم يكن قد تأوه إلى الله، وبكى من سلطة مسخريه، ومذلتهم.

وأننا لنقرأ أيضاً في سفر المزامير (٦:٦-٩). "تعبت في تنهدي. أعوّم في كل ليلة سريري بدموعي أذوّب فراشي. ساخت من الغم عيني. شاخت من كل مضايقي. ابعدوا عنى يا جميع فاعلي الإثم. لأن الرب قد سمع صوت بكائي سمع الرب تضرعي الرب يقبل صلاتي"

إن كنا نندم حقاً، فإن الله سوف يستمع إلينا. ويفتقدنا. إنه طويل الروح، وكثير المراحم. المجد له إلى أبد الآبدين. آمين

الفصل الرابع عشر

من الميثولوجيا الرمزية

قصة تاجر اللآلئ

وهذه النبذة عنوانها، في مكتبة نجع حمادي، "أعمال بطرس والأثني عشر تلميذاً"، وهي ليست واحدة من أعمال الرسل الأبوكريفية. وأننا لا نجد فيها شيئاً عن أعمال التلاميذ، أو الرسل، بل بالأحرى، أعمال آخر يُدعى ليثرجول، وهو يشير بالحقيقة إلى المسيح. وفي نهاية القصة فقط، نستطيع أن نجد شيئاً عن نشاط الرسل وعملهم ووصية المخلص لهم.

أما الربط بين شخصية ليثرجول "إله الحصاة اللامعة" أو "إله اللؤلؤة الغالية"، وبين شخصية المسيح، فهو لا ينبغي أن يدهشنا. ففي مواضع من العهد الجديد، نجد الإشارة إلى المسيح. بأنه اللؤلؤة. وفي واقع الأمر يمكن أن نبني القصة الحالية التي مركزها ليثرجول، أو المسيح، على ما ورد في فقرة من فقرات الرؤيا، حيث نستمع إلى قول المسيح "من يغلب ... أعطيه حصاة بيضاء. وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد إلا الذي يأخذ."(رؤيا ٢: ١٧).

والقصة تبدأ ببطرس، مع الرسل، بعد الصلب حيث يقومون برحلة في البحر، في سفينة تحملهم إلى مكان يدعى "الدار" Habitation ، وهناك يلتقي بطرس بتاجر لآلئ يُدعي ليثرجول، الذي يدعو جميع الفقراء ليأتوا إلى مدينته، ويأخذوا لؤلؤة. ويتحمل بطرس ومن معه، مشقة السفر، إلى مدينة التاجر. مطيعين لوصيته، نابذين كل الطعام، والمقتنيات، حتى إن اللصوص لا يجدون معهم، ما يطمعون فيه، وهناك يلتقون بليثرجول متنكراً في زي طبيب. حيث يُعلن لهم أنه يسوع المسيح، ويأمر تلاميذه أن يذهبوا ويخدموا المرضى، والمحتاجين.

وفي واقع الأمر، نجد أن قصة تاجر اللآلئ هي في اتساق مع روح الكنيسة السائدة في القرن الثاني للميلاد. حيث يُرجح أنها قد كتبت فيه. فهنا نرى التأكيد على الفاقة الاختيارية الرسولية، والمناهضة ضد الأغنياء، وهي روح العهد الجديد. ومع أن المعتقدات الغنوسية لا نستطيع أن نجد لها مجالاً، ضمن هذه القصة، إلا أن صورتها التي تبدو في إطار الزهد والفاقة، كما أن الحديث عن ذلك الغريب، وعن الرحيل، وعن اللؤلؤة الخفية، وعن ثياب العالم المطرزة، هي كلها صور وأفكار ليست بعيدة عن الروح الغنوسية ومفاهيمها.

وأخذنا الترجمة الإنجليزية من المترجم

Douglas M. Parrott and R. McL.Wilson

أعمال بطرس والإثنى عشر تلميذاً

يوجد في الترجمة الإنجليزية فقرة غير مترجمة بالعربية ([...] الذي [...] الهدف [... بعد...] نحن [...] رسل [...]. أبحرنا [...] المجموعة. الآخرون ما كانوا مُتَلَهِّفِينَ في قلوبِهِم. وفي قلوبِنا، نحن وُحِّدنَا. وافقنَا على تتميم الخدمة التي للسيد مُعيّننا. ونحن جَعلنا عهداً بين بعضنا البعض.

ونزلنا إلى البحر في اللحظة المناسبة التي أتت إلينا من الرب. ووجدنا سفينة على الشاطئ على إستعداد للإبحار. وأخبرنا بحارة السفينة بأن يقبلونا معهم على سطحها. وأظهروا لطفاً عظيماً من نحونا، بحسب ترتيب الرب. وبعد أن بدأنا في الإبحار، وقضينا النهار والليل، هبَّت ريح مواتية، وأتت بنا مدينة صغيرة (جزيرة) في قلب البحر.

وأنا بطرس سألت الذين كانوا على سطح السفينة معنا، عن اسم هذه المدينة. فأجاب أحدهم قائلاً: إن اسم هذه المدينة (الدار)، أي الأساس. وبعد أن نزلنا إلى الشاطئ، وأنزلنا أمتعتنا، ذهبت إلى المدينة لأبحث عن مأوى. والتقيت بإنسان يلبس ثوباً قد تمنطق عليه بمنطقة من ذهب. وكان هناك رداءٌ فوق الثوب يغطي كتفيه، كما يغطي رأسه وذراعيه٢٩.

[29] المنطقة الذهبية على الصدر، وردت عن صورة المسيح في سفر الرؤيا

ورحت أتطلع إلى ذلك الإنسان، فقد كان جميل الصورة في مظهره. ورأيت جوانب أربعة من جسده، وظهرت لي أطراف قدميه وجزء من صدره وراحة يده ووجهه. هذا هو ما رأيته. وفي يده اليسرى، رأيت كتابا مغلقاً. نظير الكتب التي معي. أما في يمناه، فقد كان يحمل عصاً من أغصان شجرة الميعة الصمغية. وكان صوته يجلجل وهو يهتف في المدينة " لآلئ .. لآلئ "

وأنا ظننته بالحقيقة واحداً من أهل المدينة. فقلت له "يا أخي ويا صديقي". فأجابني حسناً قلت، أخي وصديقي. ما الذي تطلبه مني؟ فقلت له " إنني أسألك مأوى ليّ، ولمن هم معي، لأننا غرباء هنا "، فقال ليّ " لأجل هذا السبب قلت لك، أنك حسنا قلت يا أخي ويا صديقي، لأنني أنا غريبٌ نظيرك " وإذ قال هذا، عاد صارخاً "لآلئ .. لآلئ". فسمع نداءه أثرياء المدينة وأسرعوا خارجين من مخازنهم الدفينة، والبعض الآخر كان ينظر من النوافذ العليا للمخازن، ولم يروا أنهم يستطيعون أن ينالوا منه شيئاً ، لأنه لم يكن له مذود فوق ظهره، أو صرة في داخل ثيابه على صدره، وهكذا احتقروه، ولم يقروا به. وهو من جانبه لم يُعلن ذاته لهم. فعادوا إلى مخازنهم قائلين "هذا الرجل يسخر منا"٣٠

أما فقراء المدينة، فقد سمعوا صوته. وأتوا إلى الرجل الذي يبيع اللآلئ وقالوا له "إننا نرجوك أن تعرض علينا اللآلئ حتى نراها بعيوننا، لأننا فقراء لا نملك من الثمن ما نقدمه عوضاً لها. ولكن إسمح لنا أن نقول لأصدقائنا، أننا رأينا لؤلؤة بأعيننا، فأجاب وقال لهم،"إن كان ممكناً، تعالوا إلى مدينتي، وأنا ليس فقط أريكم اللآلئ، وأعرضها أمام عيونكم، ولكن أيضاً أعطيكم إياها دون مقابل"

وعندئذ، حينما سمع الفقراء قالوا "حيث إننا من الشحاذين فنحن نعلم يقيناً. أن الإنسان لا يعطي لؤلؤة لمستعطي ولكنه يعطي خبزاً، وشيئاً من المال. والآن ما نرجو أن نناله، من لطفك، أن نرى بأعيننا لؤلؤة، وسنخبر أصدقائنا مفتخرين أمامهم، بأننا رأينا لؤلؤة بأعيننا، لأنه لا وجود للآلئ بين الفقراء، وعلى الأخص الشحاذون نظيرنا، فأجاب وقال لهم "إن كان من الممكن، تستطيعون أن تأتوا إلى مدينتي، حتى إني لا أريكم فقط اللآلئ، بل أعطيها لكم مجاناً بدون مقابل". ولقد سُرّ الشحاذون بذلك الرجل الذي يعطي دون مقابل.

---

[30] هنا نرى مصير المستغنين بذاتهم، وببرهم، عن نوال نعمة الله.

وسأل أولئك بطرس عن متاعب الرحلة، وكلفتها. أما بطرس فأجابهم، بأنه من المستحيل أن يخبرهم بأشياء سمعها عن متاعب الطريق، حيث أن المفسرين من الصعب الوصول إلى أسرار أقوالهم.

ثم قال (بطرس) للرجل الذي يبيع اللآلئ. أريد أن أعرف اسمك، ومتاعب الطريق لمدينتك. لأننا غرباء، وخدام الله، ومن الواجب علينا أن نقدم كلمة الله، في كل مدينة بلا استثناء. فأجاب الرجل وقال "إن كنتم تريدون اسمي. فأنا ألقب بإسم ليثرجول وتفسيره "الحجر الكريم الذي يشبه الغزال"[31]

ثم قال "وأما بخصوص الطريق، إلى المدينة، الذي سألتموني عنه، سأخبركم.

لا يستطيع أحد أن يسلك الطريق، إلا الذي نبذ كل ماله من مقتنيات، وصام كل اليوم، من الغروب إلى الغروب. لأن اللصوص يكثرون هناك، وكذلك الوحوش الضارية في الطريق. فالذي يحمل الخبز معه في الطريق، تقتله الكلاب السوداء، بسبب الخبز. والذي يحمل ثياب العالم الفاخرة يقتله اللصوص، بسبب الثياب الفاخرة. والذي يحمل الماء معه تقتله الذئاب بسبب المياه، حيث أنها ظامئة. والذي يكون شرهاً، في حمل اللحم والخضراوات، تنهشه السباع، بسبب اللحم. وإن تحاشى السباع، فإن الثيران تفترسه، بسبب الخضروات[32].

وحينما قال لي هذا، تأوهت في أعماقي وأنا أقول "يا لها من متاعب رهيبة في الطريق. لو أن يسوع يعطينا القوة لنقطعها" فنظر إليّ إذ رأى وجهي حزيناً وأنا أتنهد، وقال لي "لماذا تئن، إن كنت تعرف حقاً اسم يسوع وتثق به. إنه السلطان الأعظم الذي يهب القوة. لأنني أؤمن بالآب الذي أرسله"

فسألته "ما هو اسم المكان الذي تذهب إليه؟ ما هي مدينتك؟". فقال لي "هذا اسم مدينتي: البوابات التسع، دعنا نشكر الله أن العاشرة هي الرأس[33]، وبعد ذلك سرت في طريقي، مفترقاً عنه في سلام ... وبينما كنت على وشك الذهاب لأنادي أصدقائي، رأيت أمواجاً، وأسواراً هائلة تحيط بحدود المدينة. وتعجبت لأجل هذه

---

[31] إن تلقيب المسيح بالحجر الكريم. وبالغزال أو الظبي ورد ذكره في العهد القديم

[32] لاحظ الثياب إشارة إلى قول المسيح لا تأخذوا ثوبين. أما اللحم والخضروات فيشير إلى الصوم.

[33] تأمل اللغة الطريفة الرمزية، أن البوابة العاشرة إلى المدينة هي الرأس أي العقل. هنا التأكيد الغنوسي. على دور المعرفة في خلاص الإنسان

الأمور التي شاهدتها. ورأيت رجلاً عجوزاً جالساً فسألته، إن كان اسم المدينة حقاً الدار؟ فقال ليّ "أنك بالحق تنطق. فنحن نسكن هنا، لأننا نحتمل بالصبر".

فأجبت وقلت له "بالحق قد أعطي اللقب لهذا المكان. لأنه باحتمـــال التجربـــة، تُعمَّر المدن، وتتأسس المملكة منها. لأن سكانها يحتملـــون، فـــي وســـط متاعـــب العواصف. حتى أن مدينة كل واحد يحتمل ثقل نير الأيمان، تعمر، وتصبح ضـــمن ملكوت السموات "

وأسرعت، وذهبت لأدعو أصدقائي لنذهب إلى المدينة التي عينها لنا ليثرجول. وفي عهدٍ إيمانيّ، تركنا كل شئ كما قال لنا. فتحاشانا اللصوص، لأنهم لم يجـــدوا ثيابا معنا. ولم تضرنا الذئاب، لأنها لم تجد لدينا الماء الذي يطفـــئ ظمأهـــا. ولـــم تهاجمنا السباع، لأنها لم[٣٤] تجد شهوة اللحم معنا. أما الثيران، فلم تضرنا، لأنها لـــم تجد لدينا الخضروات.

ولقد غمرنا فرح عظيم، وشعور بسلام، وانتفاء الهموم، مثل سلام الرب. وحين وصلنا. استرحنا أمام البوابة. ورحنا نتحدث أحدنا مع الآخر عن تلك الأمور، التي لا تمت لتشويشات أمور العالم، بل هي تأملات الإيمان.

وبينما كنا نتحدث عن اللصوص الذين لم يضرونا بشيء. إذا ليثرجول بنفســـه، ولكن بصورة متغيرة، أتي إلينا في مظهر طبيب، يحمل صـــندوق بلســـان تحـــت ذراعه، ويتبعه تلميذ يحمل مذوداً ممتلئا بالأدوية. ولم نعرفه.

وقال له بطرس متجاوباً معه" نريدك أن تؤدي لنا خدمة لأننا غرباء، وتأخـــذنا إلى دار ليثرجول قبل حلول المساء." فقال لنا بإستقامة قلب" ســـوف أريكـــم إيـــاه. ولكنني في دهشة، كيف عرفتم هذا الرجل الطيب. لأنه لم يُعلن نفسه لكل إنســـان. لأنه هو عينه ابن ملك عظيم. استريحوا هنا، حتى أذهب لزيارة مريض، وأرجـــع إليكم " ثم أسرع ذاهباً، ولكنه عاد إلينا قبل أن يمضي وقت طويل ..

ولما عاد قال لبطرس "يا بطرس!... أما بطرس فقد ارتعد خوفاً. لأنـــه كيـــف يعرف أن اسمه بطرس". فأجاب بطرس " وكيف تعرفني، لأنك تدعونني باســـمي؟ (فقال ليثرجول) أريد أن أسألك من الذي أعطاك لقب بطرس؟ فأجابه "أنـــه يســـوع

---

[34] كل هذه رموز تشير إلى الصيام، وقهر الجسد، حتى لا تجد الشهوات سبيلها إلى مهاجمة الإنسان. في الطريق.

المسيح، ابن الله الحي، هو الذي أعطاني هذا الاسم. فقال له "هو أنا. ألا تعرفني يا بطرس؟[٣٥]"

ثم حل ثيابه، التي كان يتخفي بها، معلنا لنا أنه هو بالحقيقة. وانطرحنا على الأرض ساجدين له. كان عددنا أحد عشر تلميذا. فمد يده، وأقامنا، طالبا منا أن نقف. وتحدثنا إليه في تذلل، ووجوهنا إلى الأرض بسبب عدم استحقاقنا، قائلين له "ما تريده منا، نحن على استعداد أن نعمله. فقط أعطنا القوة، حتى نستطيع أن نقوم بما تريده منا. طيلة الأوقات"

وأعطى السيد تلاميذه صندوق البلسان، والمذود الذي كان بيد التلميذ الصغير. وقال لهم موصيا إياهم "أذهبوا إلى المدينة التي منها أتيتم. والتي تدعى الدار. ثابروا في جهادكم بالصبر معلمين كل من يؤمنون بإسمي، لأني كم احتملت من ضائقات الجهاد في الإيمان. وسوف أعطيكم مجازاتكم. للفقراء في المدينة، أعطوا ما هم بحاجة إليه حتى يعيشوا إلى أن أعطيهم ما هو أفضل، والتي أخبركم بأني سأعطيه لكم بدون مقابل."

وأجاب بطرس، وقال له 'يارب لقد علمتنا بأن ننبذ العالم وكل ما فيه. ولقد نبذنا كل شئ لأجلك. وما يهمنا الآن، هو الطعام ليوم واحد. فأين نستطيع أن نجد الاحتياجات التي سألتنا أن نقدمها للمحتاجين ؟" فأجاب الرب وقال "يا بطرس، لقد كان من اللازم أن تدرك المثل، الذي قلته لك. ألا تفهم أن إسمي الذي تبشر به يفوق كل الكنوز؟ وإن حكمة الله، تسمو على الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة؟"

وأعطاهم مذود الدواء، وقال " إشفوا جميع المرضى في المدينة، الذين يؤمنون بإسمي". أما بطرس، فقد خشى بأن يتحدث إلى الرب مرة ثانية٣٦. فأشار إلى من كان بجواره، الذي هو يوحنا قائلاً له " أنت تتحدث هذه المرة " وأجاب يوحنا وقال "يارب، أمامك نخشى أن ننطق بأمور كثيرة. ولكنك أنت الذي تسألنا أن نمارس هذا الأمر. أننا لم نتعلم مهنة الأطباء، كيف لنا أن نعرف في شفاء الأجساد، كما طلبت منا ذلك؟ "

---

[35] أن أولوية بطرس في معرفته للرب بعد القيامة، علي بحيرة طبرية. وتحادث الرب معه، دوناً عن بقية التلاميذ، تبدو أنها مسيطرة على ذهن الكاتب

[36] نفس المداولة بين التلاميذ للتحدث مع السيد، تبدو في ليلة العشاء الأخير. حينما قال يسوع: الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمني

فأجاب وقال له "بالصواب نطقت يا يوحنا، لأني أعلم أن أطباء هذا العالم. يشفون ما ينتسب إلى هذا العالم. أما أطباء النفوس، فبالأحرى، يتجهون إلى علاج القلب وشفائه[37] اشفوا الأجساد أولاً، حتى أنه عن طريق قوة الشفاء للأجساد بدون أدوية العالم، يؤمنون بأن لكم المقدرة على شفاء ضربة القلب أيضاً"؟

أما أغنياء المدينة، الذين لم يروا من اللائق حتى أن يعترفوا بي، بل امتلئوا انتفاخاً في ثروتهم وغناهم، وكبريائهم، لا تأكلوا مع مثل هؤلاء في بيوتهم. ولا تصادقوا أحداً منهم، لئلا تتأثروا بمحاباتهم، لأن كثيرين في الكنائس قد تحيزوا للأغنياء. ولأنهم أشرار، يمهدّون الفرصة للآخرين، ليكونوا أشراراً نظيرهم، ولكن أدينوهم بالاستقامة، حتى تتمجد خدمتكم، وحتى أن اسمي، يتمجد أيضاً بين الكنائس."

وحينئذ أجاب التلاميذ "حقاً أن هذا من اللائق أن نقوم به " . ثم انطرحوا على الأرض، وسجدوا له. فأمرهم أن يقوموا، وفارقهم في سلام.

آمين

[37] هنا نرى بوضوح الرمزية في التعليم الغنوسي

الفصل الخامس عشر

ملامح من الأسفار الأخرى

قبل أن نغادر مكتبة نجع حمادي، بأسفارها الحافلة وأسرارها الزاخرة، ورموزها، وإعلاناتها، وغوامضها، ورؤاها، وقصصها الرمزية، وأسفارها الحكمية، وما ألقته من أضواء على الجانب الآخر، من جماعات عاشت على ضفاف النيل، منذ خمسة عشر قرنا أو يزيد، أقول، أنه أفضل لو تريثنا قليلاً، وإتجهنا إلى معرفة ملامح ما تبقى هناك من أسفار بعد الذي عرضنا له في الصفحات السالفة. وسوف نتبع في تداولنا لها نفس الترتيب الذي وردت به في أصولها. ونفس الترتيب الذي حرص، المتحف القبطي بالقاهرة على وضعها فيه.

(١) أما أول ما يجابهنا، فهي صلاة نسبت إلى بولس الرسول، وتشير ملامحها الفالنتينية الغنوسية، إلى أن تاريخ كتابتها لا يمكن أن يتعدى القرن الثالث، أو أواخر القرن الثاني. والصلاة لا تزيد عن نبذة قصيرة، لغتها تشبه ما ورد في إنجيل فيلبس، كما أن لها مقابلاتها هناك. والذي يتأملها ملياً، يرى أنها خليط من بعض ما ورد في المزامير وما ورد في رسائل بولس. حيث يطلب الرسول أن يوهب ما لم تره عين وما لم يسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر (قارن ١كورنثوس٢:٩)

يقول بولس: "يا مخلصي. لأنني لك. منك خرجت"

"أنت عقلي، أخرجني إلى الرحب"

"أنت كنز داري، انفتح لي"

"أنت ملئي، خذني إليك"

" أنت راحتي، أعطني الكمال الذي لا تصل إليه يد"

"إني أتوسل إليك، أيها الكائن، والذي كان، في الإسم الذي يسمو على كل اسم، بيسوع المسيح، رب الأرباب، وملك الدهور. أعطني هباتك التي بلا ندامة، عن

طريق ابن الإنسان، وروح الحق المعزي. أعطني السلطان حين أسألك، أعطني الشفاء لجسدي، حينما أسألك عن طريق البشير، وأفتدِ، يا نفسي النورانية. وروحي.

وأعلن لعقلي، المولود البكر، من ملء النعمة. هبني ما لم تره عين ملاك، وما لم تسمع به أذان رئيس ملائكة، وما لم يخطر على قلب بشر. حيث أن لي الإيمان والرجاء، لأن لك القوة، والمجد، والبركة، والجلال، إلى أبد الآبدين. آمين

(٢) أما بخصوص (مقالة عن القيامة)، فقد كتبها معلم لتلميذه، بخصوص أسئلة عن الموت والحياة بعد الموت. وهذه النبذة لها أهميتها العظمى في تصوير الفكر الغنوسي عن القيامة، في القرن الثاني للميلاد. وعلى الرغم مما تذخر به من صور وتشبيهات غنوسية فالنتينية، فهي تقدم لنا صورة مشابهة للتعاليم التي نادى بها هيمينايس، وفيليتس، في عهد بولس (٢تيموثاوس٢:١٨) اللذان قالا بأن القيامة قد صارت فعلاً.

وتعاليم النبذة واضحة. فالقيامة ضرورة فعلية، وحقيقية، وحتى في هذه الحياة، يشترك المؤمنون بصورة فعلية، وحقيقية، بصورة مسبقة في موت المسيح، وفي قيامته، وفي صعوده[٣٨].

فبعد الموت تحدث قيامة روحية للمؤمنين. تتضمن صعود الجسد الروحي، الذي يتكون من أعضاء غير منظورة، مغلفة بجسد روحي. وبعد التأكد القوي لهذه الحقيقة. توجه النصائح للمؤمن أن يحيا كمن من الموت قام.

"والآن يا ريجنوس. أنت تعرف أن ابن الله. هو ابن الإنسان أيضاً. يمتلك الإنساني والإلهي، حتى أنه عن طريق كونه ابن الله، يمحو الموت. وعن طريق كونه ابن الإنسان، يعيد (الإنسانية) إلى البليروما (الملء الإلهي). لأنه هو أصلاً من فوق. بذرة الحق قبل أن يظهر كيان هذا الوجود الكوني.

"وابتلع المخلص الموت. نابذاً العالم الهالك. وحول نفسه إلى "أيون" لا يفنى. وأقام نفسه، إذ ابتلع المنظور، بواسطة غير المنظور. وأعطانا طريق المنظور، وأعطانا طريق الخلود، كما ورد في قول الرسول في (رومية ٨:١٧، أفسس٢:٥-٦)، إننا تألمنا معه. وقمنا معه. وصعدنا إلى السماوات معه.

---

[٣٨] قارن ما جاء في (رومية٨:١٧&أفسس٢:٥-٦)

والآن إذا كنا قد ظهرنا في هذا الوجود لابسين إياه، فنحن أشعته التي يحتضنها إلى وقت غروبنا، أي موتنا، عن هذه الحياة. وهو يجتذبنا إلى السماوات بقوته. مثلما تجتذب الشمس أشعتها. ولا يعوقها شئ. هذه هي القيامة الروحية التي تبتلع النفساني، كما تبتلع الجسدي. لأننا قد عرفنا إبن الإنسان، وآمنا أنه قام من بين الأموات، و به تم إفناء الموت في أولئك الذين يؤمنون .

لذلك لا تشك في حقيقة القيامة، يا ولدى ريجنوس. لأنك حينما لم تكن في الجسد٣٩، قد أخذت الجسد حينما دخلت إلى العالم، فلماذا لا تأخذ جسداً حينما تصعد إلى الأيونْ *Aeon* (أو إلى الأبدي).

(٣) وما هي القيامة إذاً؟ إنها استعلان أولئك الذين قاموا. فما قرأته في الإنجيل أن إيليا وموسى ظهرا معه، فإذا ذكرت معه، فلا تظن القيامة خيالاً. إنها حقيقة، بل أنه من الأحرى أن تقول، أن العالم خيال، من أن تقول ذلك عن القيامة، التي جاءت عن طريق ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

أما سفر يوحنا السري (أبوكريفا يوحنا) فهو عمل من أعمال الميثولوجيا الغنوسية. وإطار هذا السفر، هو إعلان يتقدم به المسيح المقام، إلى يوحنا بن زبدي. وهو يقدم لنا وصفاً عن الخلق، والسقوط، وخلاص البشرية. ويعتمد الوصف الميثولوجي على ما ورد في سفر التكوين. وهناك تقارير وردت في كتابات آباء الكنيسة، تشير إلى أنهم كانوا على دراية بهذا السفر. فحديث ايريناؤس عن تعاليم الغنوسية، تطابق ما ورد عن التعاليم الكونية في هذا السفر.

ومع أنه، ربما لا يكون ايريناؤس قد رأى السفر في وضعه الحالي. إلا أنه من المؤكد أن التعاليم التي يتضمنها كانت معروفة، وسائدة قبل عام (١٨٥م)، أي قبل العمل الذي قام به إيريناؤس "ضد الهرطقات". وحتى القرن الثامن كان "سفر يوحنا السري" مستخدما بعض الجماعات العوُديين في منطقة مابين النهرين. وأننا لنجد في أبو كريفا يوحنا الجواب على سؤالين رئيسيين. ما هو منشأ الشر؟ وكيف نستطيع أن نهرب من هذا العالم الشرير إلى بيتنا السماوي؟.

أما الألوهية، فيرد التعبير عنها بإصطلاحات يونانية تجريدية عن الكمال المطلق. الكمال الذي ينأى عن كل تصوير بشري، وكل تغلغل في العالم. ومِنْ هذا

---

[39] فكر غنوسى عن الخلق المسبق للأرواح

الإله الأعلى، تصدر سلسلة من الكائنات النورانية، ومنها المسيح، والصوفيا أي الحكمة .

ويحسب " سفر يوحنا" يحدث السقوط حينما ترغب "الصوفيا" في أن تنجب كائناً، دون موافقة الروح الأعظم. ويأتي المولود الإله الخالق الجبار، الذي يمتلك شيئاً من القوى النورانية لأمه. و هذا يخلق الملائكة، التي تحكم العالم. وتساعد في خلق الإنسان. أما الإنسان فيتكون على صورة الآب، الكاملة، التي تنعكس على صفحة الماء.

ويأتي إلى الحياة، بنفخة قوة النور فيه. ثم تبدأ سلسلة من الصراعات بين قوى النور، وقوى الظلمة لإمتلاك الذرات الإلهية في الإنسان. أما قوى الشر فتضع الإنسان في الجسد لتجعله سجيناً، أيضاً تخلق له المرأة، والرغبة الجنسية، لتبدد ذرات النور وتجعل هروبه من السجن مستحيلاً.

وأخيراً يأتي المسيح، نازلاً، ليخلص البشرية، بتذكير البشر بأصلهم الأول السماوي. فالذين يمتلكون المعرفة٤٠، ويعيشون الحياة النسكية هم الذين يرجعون إلى مملكة النور. والآخرون، يمرُّون في سلسلة من التناسخات حتى يصلون في النهاية إلى المعرفة المخلصة.

(٤) وفي "جوهر الرياسات"٤١ تستمر القصة لتفسير الإصحاحات الستة الأولى من سفر التكوين. في صورة محاورة، أو حديث إعلاني، بين من يسأل وواحد من الملائكة، ومع أن السفر كله تبدو في ثناياه الصيغة الهلنستية٤٢، فإن أساسه يهودي، ولو أن الإطار المتأخر له يظهر لنا ملامحه المسيحية. حتى يمكن أن نعتبره عملاً مسيحياً. يتميز بالغنوسية القوية، ولقد كتبت هذه النبذة في الأصل باليونانية، ربما في مصر، ويرجح أن ذلك تم في القرن الثالث للميلاد.

(٥) وهناك أكثر من مقابلات تشير إلى صلة هذا العمل بنبذة أخرى بعنوان" منشأ العالم" كتبت في الإسكندرية، وبعد مقدمة منقولة عن كتابات بولس تجري

---

[40] لمحة غنوسية عن أهمية إمتلاك المعرفة في الخلاص

[41] ترددت كلمة الأرلخنة كثيراً، وكانت تطلق على الضباط الرؤساء التسعة الذين كانوا يحكمون أثينا وينتخبون سنوياً وذلك منذ عام (٦٨٣ ق.م)

[42] اليونانية

الأحداث لتقدم لنا الشخصيات الرئيسية في الدراما الميثولوجية وأولها الرئيس شمائيل الأعمى، ويلقب أيضاً "سكلا" أو الغبي، ويلدا باعوث، التي تجدف على الإله المرأة" الروحية" التي توقظ آدم، ويفوق دهاؤها مكر الرؤساء. ثم هناك الحية المعلم، التي تنصح الرجل والمرأة بتناول ثمار الشجرة الممنوعة. ثم "نوريا" ابنة حواء العذراء النقية في صفاتها. والرفيعة في معرفتها ثم يتغير الموقف. حين يظهر الملاك العظيم "إيليليث" الذي يُعلن لنوريا، نشأة ومصير القوى الرياسية "وحقيقة الرؤساء"، تظهر الرؤساء كحقيقة فعلية وليست خيالاً. فهم موجودون بالفعل وتتضح ملامحهم وأنشطتهم، ضد نشاط السلطان الغاشمة. ومع ذلك فهناك الرجاء الأكبر الذي يتوقعه المسيحيون الغنوسيون، أبناء النور، الذين لهم الخلود في الوقت الذي يكون فيه مصير الرؤساء إلى البوار والفناء.

(٦) فإذا أتينا إلى (سفر توما المجاهد) نلتقي في هذه النبذة بحوار بين المخلص المقام. وبين أخيه المدعو يهوذا توما، ويسجله متياس (ربما متى البشير)، إذ يسمعهما يتحاوران، وهذا هو النمط الذي يسير عليه أكثر من سفر في إثبات الفكر الغنوسي، في صورة مثل تلك المحاورة من شفتي المخلص نفسه مع تلميذ موثوق به.

إن توما "بمعرفته لنفسه" استطاع أيضاً أن يصل إلى معرفة "أعماق الكل" الذي منه أتى المخلص، حتى أنه يستطيع أن يعلم التعليم الحقيقي ليسوع المقام (أي العقائد الغنوسية النسكية) وهكذا شأن "إنجيل توما" و"أعمال توما" يقدم سفر "توما المجاهد" تقاليد عن توما كانت سائدة ومعروفة في الدوائر الرهبانية لأديسا في سوريا. ولذلك من المرجح أن السفر كتب في سورية في النص الأول من القرن الثالث الميلادي. والنبذة في صيغتها الرهبانية القوية تحذر من النار. نار الشهوات الجنسية، ونار العذابات الجهنمية، مؤكدة لحقيقة نور المخلص الإلهي الذي أشرق لينير عيون وعقول، أولئك الذين يعيشون في الظلمة وظلال الموت.

يقول المخلص "يا لمرارة النار التي تشتعل في أجساد الرجال وفي عظامهم محرقة ليلاً ونهاراً. مُلهبة أعضاء الرجال وجاعلة عقولهم سكرى ونفوسهم خاملة. يدورون في دائرة الذكر والأنثى ليل نهار، في دوران بصورة خفية وبصورة واضحة، لأن الذكور يدرون على الإناث، والإناث على الذكور. لذلك قيل أن كل

من يسعى إلى الحق عن طريق الحكمة الحقيقية. عليه أن يتخذ أجنحة، ويطير، طائراً بعيداً عن الشهوة التي تحرق أرواح البشر"

إن أولئك الذين يحترقون بنار الشهوة. ينتظرهم مصير أقسى في نار أكثر مرارة، وحريقاً. إن الشهوة التي لا تطفأ "تعميهم وتحرق نفوسهم. وتصبح لجاماً في أفواههم فتقودهم إلى حيث تريد. وتقيد نفوسهم بأغلالها. فتفترسهم كل وحوش ملكوت الفناء"

"وبعد وقت قليل يذوب ما هو منظور. وإذا بالظلال التي لا صورة لها، تطفئ. وفي وسط القبور، سيظلون للأبد، ملازمين لجثثهم، في ألم وفساد القبور. ويسأل توما" وماذا نقول لأولئك العميان؟" فيجيبه (المخلص) "لا تقدرهم كبشر بل أعتبرهم حيوانات. لأنه كما أن الحيوانات تفترس أحدهما الآخر، هكذا أمثال هؤلاء يفترس أحدهم الآخر، إنهم قد أنتزع عنهم الملكوت. حيث أنهم يحبون حلاوة النار، وهم عبيد الموت ويندفعون لأعمال الفساد متممين شهوة أباهم. لأنهم سيطرحون في الهوة العميقة، ويعذبون بكل عذابات ومرارة طبيعتهم الرديئة. لأنهم سيُجلدون، حتى يندفعوا رأساً في يأس، إلى الموضع الذي لا يعلمونه، حيث تحرقهم النار"

ثم يستمر (السيد) متحدثاً بويلاته على أولئك قائلاً "الويل لكم أيها الأسرى. لأنكم مقيدون في مغاوركم. وأنتم لا تتحققون ضياعكم، ولا تفكرون في ظروفكم، ولا تعرفون أنكم تسكنون في الظلمة والموت"

ويل لكم يا من تحبون عشرة النساء واتصالات الدنس معهن

ويلُ لكم لأجل قوى شياطين الإثم.

ويل لكم يا من خلبتم أعضاءكم بالنار. فمن ذا الذي يمطر عليكم الندى المنعش. ليطفئ كتلة اللهيب النابع منكم؟ من ذا الذي يجعل الشمس تشرق عليكم، لتبدد الظلمة التي فيكم؟

ولكنه في الختام، يتقدم بالتطويبات للمباركين المطوبين..

طوبى لكم يا من عُيرتم. وما حظيتم. بالتقدير بسبب محبة الرب لهم"

طوبى لكم. يا من تنوحون ويقع عليكم الظلم. من أولئك الذين لا رجاء لهم. لأنكم ستفكون من كل قيد"

اسهروا وصلوا لكي لا تستمروا في الجسد، بل تنطلقوا من عبودية مرارة هـذه الحياة. لأنكم حينما تتحررون من عذابات وأهواء هذا الجسد تنالون الراحـة مـن الواحد الصالح، وتملكون مع الملك، متحدثين معه، وهو معكم من الآن فصـاعداً. وإلى أبد الآباد. أمين

(٧) أما (إنجيل المصريين) وهو عمل آخر، يختلف عن سفر مماثل من الأسفار الأبوكريفية يحمل نفس العنوان. فإنه يختص بحياة "شيث العظيم"، على نفس النمط الذي قدمت به حياة المسيح في البشائر، متحدثاً عن أصلة، ونشأة ذريته، وحفظهـا بقوات السماوات، ومجيئه إلى العالم، وعمل خلاصه، وعلى الأخص بالمعموديـة حيث يتخللها التسبيح. وأننا نعفي القارئ من تفاصيله. حيث أنه يغوص بنـا فـي ميثولوجيات ومتاهات، هي أبعد ما تكون عن تفكيرنا.

(٨) و (٩) فإذا أتينا إلى (يوجنستوس المطوب) فإننا نلتقي بسفر يقتضي منـا أكثر من لحظة تأمل، إنه سفران معاً في سفر واحد، رتبا في عمودين متقابلين. أما الأول فهو ما أشرنا إليه، بينما يحمل الثاني عنوان "صوفيا يسوع المسيح" أي حكمة يسوع المسيح. إن وضع السفرين متقابلين على هذا النحو يشير إلى حقيقة هامـة، فالسفر الأول هو رسالة دينية فلسفية كتبها صاحبها لتلميذه، أما الثانية. فهي خطاب إعلاني من يسوع المسيح لتلاميذه بعد قيامته من الموت. ومع أن الاثنين يختلفان، إلا إنهما صورتان منقولتان عن وثيقة قديمة واحدة. الأولى كتبـت دون أن تتـأثر بالمسيحية، بينما الثانية كتبت مصطبغة بصبغة مسيحية قوية حتى أننا نسـتطيع أن نقول. أن "يوجنستوس المطوب" هي الأقرب إلى الأصل وعلى أساس الافتراض أن وضع الصيغتين جنباً لجنب قصد به إيجاد مقارنة بينهما لنرى إلى أيّ حدّ طـورت النبذة الغنوسية الأولى لتصبح موافقة في صيغتها، للشكل المسـيحي. أو لإجتـذاب المسيحيين إلى التعليم الغنوسي .

نستطيع أن نقول أن الكثير من أدب الغنوسيين المسيحيين هو على هذه الشاكلة أي أنه تطوير للأدب الغنوسي القديم، ووضعه في القالب المسيحي الجديد، وإضفاء اللمسات الجديدة عليه. وهذه هى حكمة المسيح "صوفيا يسوع المسيح"

"بعد قيامته من الأموات تبعه الإثنا عشر[٤٣] تلميذاً، والسبع نساء إلى الجليل الذي يدعي "موضع الحصاد والفرح" وبعد أن اجتمعوا معاً، كانوا متحيرين عـن منشـأ

---

[٤٣] نحن ننقل حرفياً ما ورد في تلك الكتابات

الوجود وخطته، والعناية المقدسة، وقوة السلطات، وعن كل شئ يعمله المخلص معهم في سر خطته المقدسة. وهي المواضيع التي تدور حولها "صوفيا يسوع المسيح"

أما "يوجنستوس المطوب" فهي كتبت لتؤكد وجود منطقة خفية فوق سماوية، وراء العالم المنظور. منطقة لم تتطرق إليها أفكار الفلاسفة. ويقطن هذه المنطقة كائنات أربعة إلهية رئيسية. *الآب غير المولود، *وصورته الإنسان الخالد، *وابن الإنسان المخلص. ولكل من أولئك دائرته أو دهره *Aeon*، وأتباعه ومرؤوسوه الذين يأتمرون بأمره. أما الغنوسيين فأصلهم وبيتهم الحقيقي هو مع الآب غير المولود.

(١٠) ويلي هذا في الترتيب، السفر الخامس، من المجلد الثالث بعنوان "محاورة المخلص" وهي نبذه مسيحية مركبة من مصادر متعددة وتقاليد كثيرة، يمكن أن نعزلها ونضع أصابعنا عليها. ومثل هذه المحاورة مع التلاميذ، يمكن أن ترجع بما ورد فيها من كلمات المخلص إلى المصادر الأولى. مثلما فعلنا في حالة "إنجيل توما" أي نضعها في قائمة المصدر "Q"

وفي الحقيقة أن الكثير فيها نجد له نظائره في "إنجيل توما". إن أقوال المسيح تقتبس هنا وتوسع وتفسر حتى تنجم عنها محاورة كاملة. وفي قلب تلك المحاورة، تدخل مصادر أخرى وتقاليد أخرى، مثل ميثولوجيا الخلق المبنية على ما ورد في (تكوين ١-٢)، وقائمة كونية تفسر على أساس تقليد الحكمة، وشذرة من رؤيا إعلانية. ويمهد لها الكاتب، بحث وصلاة وتعليم غنوسي، عن عبور الروح للدوائر السماوية، والسلطات المعادية.

إن كانت "محاورة المخلص" تتجه إلى اهتمام لاهوتي أساسي يدير به دفة اقتباساته والحوار الذي يتخذه أساساً له وضع الإسخاتولوجية (العلم المتعلق بالأخرويات) التحقيقية. في صورة مقابلة للاسخاتولوجية المستقبلية أي ما حدث مع ذلك العتيد أن يتم. هذه الثنائية لها ما يوازيها في رسائل بولس الثانوية الأبوكريفية، كما في بطرس، ورسالة العبرانيين، ومثلها في رسالة أفسس. تستخدم "محاورة المخلص" أسلوباً استعارياً سرياً أو رمزياً للتعبير عن الإسخاتولوجية التحقيقية. فالمعمودية عبرت بالمؤمنين المختارين خلال الموت إلى الحياة، ومع ذلك، يتطلع

المختارون إلى المستقبل كأساس لرجائهم. إستمع إلى القول "وأما عن الأمجاد التي تُعطون. حينما تُعطون المجد. فلتكن على هذا النحو، إسمعنا أيها الآب، كما سمعت أبنك المولود الوحيد، وأخذته إليك وأعطيته الراحة من كل أتعابه. إستمع إلينا كما استمعت لمختاريك، هؤلاء الذين بذبيحتك، يدخلون بأعمالهم الصالحة. أولئك الذين افتديت نفوسهم من هذه الأعضاء العمياء حتى يسكنوا معك إلى الأبد... آمين"

وقال المخلص: سراج الجسد هو العقل. طالما كنت مستقيماً في قلبك. فأجسادكم تكون أنواراً. وإذا كانت عقولكم مظلمة، فنوركم الذي تنتظرونه لن يكون.

وقال تلاميذه: يارب من هو الذي يُصغي؟ ومن هو الذي يُعلن لنا؟

فقال الرب: "الذي يتكلم هو الذي يسمع. والذي يرى هو أيضاً الذي يُعلن"

قال له يهوذا: " هوذا الرؤساء يسكنون في السماء وبالتأكيد هؤلاء سيترأسون علينا"

قال الرب "بل أنتم ستحكمونهم. ولكنكم حينما تنزعون الجسد منكم. سوف تُلبسون أنفسكم بالنور. وتدخلون غرفة الزفاف."

قال له التلاميذ: ما هو الملء؟ وما هو النقص؟

فقال لهم: "أنتم من البليروما (من الملء)، وتسكنون في النقص. أما نوره فقد أنسكب عليكم"

قال متى: "أخبرني يارب. كيف يموت الموتى. وكيف يحيا الأحياء؟"

قال الرب: "حينما يُنتزع الذي يُحرك الإنسان، يدعُى ميتاً. وحينما يطلق الحي الواحد، الميت، حينئذ يدعى حياً"

فقال يهوذا: "لماذا بالحق يموتون، ثم يحيون؟"

قال الرب: "الذي من الحق لا يموت. والذي من المرأة يموت"

قالت له مريم: "أخبرني يا رب، لماذا أتيت إلى هذا الموضع، هل لأربح. أم لأقاسي الخسارة؟"

قال الرب: "لأنك تعلنين عظمة المعلن."

قالت له مريم: "هل هناك مكان مجرد من الحق؟"

قال الرب: "الموضع الذي لا أكون فيه..؟"

قال له متى: "لماذا لا نضع أنفسنا في الراحة في الحال؟"

قال الرب: "سوف يحدث هذا حينما تُسقطون عنكم هذه الأثقال"

قال متى: "بأي طريق يستطيع الأصغر أن يلتصق بالأعظم؟"

قال الرب: "حينما تخلفون وراءكم الأمور التي لا تستطيع أن تتبعكم. حينئذ تضعون أنفسكم في الراحة"

قالت مريم: "يارب أريد أن أعرف كيف توجد كل الأشياء"

قال الرب: "من يعي الحياة يعرف ذلك، لأن في هذا غناهم. لأن التلذذ بهذا الدهر غش، وذهبه وفضته باطل"

قال له تلاميذه: "ماذا نفعل. حتى يكون عملنا كاملاً؟"

قال الرب لهم: "كونوا معدّين أمام "الكل". طوبى لذلك الإنسان الذي وجد تفسير هذا، إنه لم يَقتل، ولم يُقتل. ولكنه خرج ظافراً"

قال له يهوذا: "يارب أخبرني. ما هي بداية الطريق؟"

قال له: "أحبب الصلاح لأنه إن كان واحد من هؤلاء يسكن مع الرؤساء، فالشر ما وُجد فيه على الإطلاق."

قال متى: "يارب لقد تحدثت دون عناء عن غاية الكل"

قال الرب: "كل شئ قلته لكم فهمتموه. وقبلتموه بالإيمان. فإن كنتم قد عرفتموه، فقد أصبح لكم، وإن لم يكن فهو ليس منكم"

قالوا له: "وما هو الموضع الذي نذهب إليه؟"

قال الرب: "الموضع الذي تستطيعون أن تصلوا إليه. يقوم هناك"

قال يهوذا لمتى: "تريد أن نعرف. بأي نوع من الثياب سوف نكتسي حينما نخرج من فساد هذا الجسد؟"

قال الرب: "إن الرؤساء لهم ثياب أعطيت إلى حين، حيث أنها لا تبقى. أما بالنسبة لكم، حيث أنكم أبناء الحق. فلن تلبسوا مثل هذه الثياب الوقتية، بل أني أقول لكم سوف تتباركون حينما تتجردون من ثيابكم"

قال يهوذا: "متى نصلي؟ وكيف نصلي؟"

قال الرب: "صلوا حيث لا توجد المرأة"

وقال متى: "إنه يقول لنا صلوا في الموضع حيث لا تكون المرأة، وأيضاً أبيدوا أعمال الأنوثة. أي أن أعمالها تنتفي عنكم"

وقال الرب: "لقد قلت لكم هذا. حتى لا تخطئوا في أرواحكم. وفي نفوسكم"

(١١) أما "رؤيا بولس" فهي الأولى من سلسلة الرؤى الأربع في المجلد الخامس. وهي تروى لنا اختطاف بولس إلى السماء. ومع أن هناك أعمالاً أبوكريفية تحمل نفس العنوان، إلا أن "رؤيا بولس" القبطية، تبدو فريدة، في أنها تصحبنا معه في صعوده إلى السموات العشرة. ومع أن ظروف كتابة هذه النبذة لا يمكن التحقيق منها تماماً. إلا أنها من المرجح قد كتبت بواسطة جماعة غنوسية لها هدفها المعادى لليهود، زيادة على ذلك، فإن صورة الرسول كما ترسم هنا تشبه غيرها مما رسمته ريشة غير هؤلاء من الغنوسيين في أكثر من عمل، وعلى الأخص، فالنتينية القرن الثاني للميلاد.

وتفتتح الرؤيا بمنظر صبي صغير، ربما هو المسيح المقام، بعينه، يظهر لبولس، مقدماً له إعلاناً ويقوده إلى أورشليم السماوية. وربما هذا اللقاء مع الصبي الصغير، يفسر لنا ما ورد في غلاطية (١:١١-١٧)، (٢:١ -٢). وبالطبع فإن أساس القصة كلها نجد ملخصه في (٢كورنثوس١٢:٢-٤).

وإذ يصعد بولس إلى السماء الرابعة والخامسة، يرى محاكمة وعقاب النفوس الآثمة. وتذكرنا الصورة بما ورد في رؤى الأدب اليهودي الإعلاني. إن رحلة بولس يبدو أنها تعتمد على تقاليد يهودية إعلانية. ولكن الطابع الغنوسي يبدو واضحاً هنا. وأخيراً يصل بولس إلى السماء العاشرة حيث يُحيى إخوانه الأرواح. بعد أن يتغير.

وتحدث الصبي قائلاً: " إني أعرف أنك بولس. فأنت المطوب من بطن أمه. ولقد أتيت إليك حتى تصعد إلى أورشليم، إلى الرفاق رسلك. لهذا السبب دُعيت. وأنا الروح الذي يرافقك."

"ليتيقظ عقلك يا بولس. وأنظر أن هذا الجبل الذي تقف عليه، هو جبل أريحا حتى تعرف ما خفي عنك فيما هو منظور. والآن سوف تذهب إلى الرسل الإثنى عشر، حيث أنهم أرواح مختارة. وسوف يقدمون لك التحية". ورفع عينيه ورآهم يحيونه. ثم إذا بالروح القدس الذي كان يتحدث معه، أخذه إلى السماء الثالثة، ثم عبر إلى السماء الرابعة. وهنا يتحدث الرسول عن محاكمة تلك النفس الآثمة.

"ولقد رأيت الملائكة يشبهون الآلهة وقد أحضروا نفساً من أرض الموتى. ووضعوها عند بوابة السماء الرابعة، وكان الملائكة يجلدونها. وتحدثت النفس قائلة: "وأي ذنب ارتكبت في العالم؟". "فجاء جواب جامع ضرائب المرور من السماء الرابعة قائلاً: "ليس من الضروري أن تكون قد ارتكبت كل هذه الأعمال الخارجة عن القانون في عالم الموتى" وأجابت النفس قائلة :"أحضروا الشهود. لتروا في أي جسد ارتكبت هذه الأعمال. أو إذا أردتم. أحضروا السفر لتقرأوا منه"

وجاء ثلاثة شهود، أما الأول فقال: ألم أكن في الجسد حين ثرت ضدك في الساعة الثانية حتى سقطت في الغضب، والحقد، والحسد؟ وقال الثاني: ألم أكن في العالم ودخلت في الساعة الخامسة. وها أنا أتهمك بجرائم القتل التي ارتكبتها؟ وتحدث الثالث قائلاً: ألم آت إليك في الساعة الثانية عشر من النهار. حيثما قاربت الشمس على المغيب. وأعطيتك الظلمة حتى تتمم خطاياك؟

ولما سمعت النفس هذه الأشياء نظرت إلى أسفل في خجل ثم رفعت عينيها. إلى فوق فإذا بها تهوي (إلى الأرض) لتحل في جسد أعدّ لها. ثم رفعت عيني إلى فوق، ورأيت الروح قائلاً لي: بولس تعالَ وأصعد إلى، وإذا ذهبت انفتحت البوابة، وصعدت إلى السماء الخامسة ورأيت زملائي الرسل يصعدون معي، والروح يرافقنا. ورأيت ملاكاً عظيماً في السماء الخامسة وبيده قضيب من حديد. وكان هناك ثلاثة ملائكة معه تفرست في وجوههم. وكانت معهم كرابيج يسوقون النفوس بها إلى المحاكمة.

. ثم صعدت إلى السماء السادسة. ورأيت نوراً عظيماً يشع من فوق عليها. وتحدث إليّ جامع ضرائب المرور قائلاً :"افتح لي، والروح الذي أمامي"، ففتح لي، ثم صعدنا إلى السماء السابعة. وهوذا إنسان متقدم في الأيام وثيابه بيضاء. وعرشه أكثر من بهاء الشمس سبع مرات، تحدث الرجل قائلاً لي: " إلى أين أنت ذاهب يا بولس. أيها المطوب والمفرز من بطن أمك؟"

وأجبت وقلت: "إني ذاهب للموضع الذي منه خرجت". وقال لي الرجل العجوز:"ومن أين أتيت؟" فأجبت قائلاً: "وها أنا عائد إلى عالم الموتى. لأسبي السبايا الذين اقتيدوا سبايا في سبي بابل[44]"

وبعد ذلك يصعد بولس حتى السماء العاشرة، ليحيّ هناك زملاءه الأرواح. ويلاحظ أن القصة لا تتحدث عن الأرواح المجردة إلا في السماء العاشرة، أما في السموات التي دون ذلك فهناك النفوس، والمحاكمة.

(١٢) و (١٣) ثم يلي ذلك سفرا (رؤيا يعقوب الأول) الذي يتحدث عن إعداد يعقوب الرسول لما سوف ينتظره من استشهاد، والثاني يعرض لما حدث له بعد ذلك.

في الأول، يتحدث الرب إليه عن آلامه، وموته، وصعوده. أما آلام المخلص فهي رمز للصراع الكوني المستمر في أورشليم، المدينة التي هي موضع العديد من الرؤساء. وهنا ينصح الرب يعقوب، بأن يغادر أورشليم. إن أورشليم بالنسبة للغنوسيين، وكما بالنسبة للرب، وليعقوب هي مركز العذاب، والألم، والموت. وما آلام المسيح وصلبه إلا العذابات الظاهرية التي ينبغي أن نعانيها عند الموت ولكن الرب يؤكد لأخيه أنه لا ينبغي أن يحزن. لأن الخلاص أكيد، فعلى الرغم من هجوم "القوات" وضراوتها، فلابد للنفس أن تصل سالمة في نهاية الأمر إلى الآب الكائن منذ البداية، إن صبغة النبذة كلها تشير وعلى الأخص في إشارتها لـ (عدّاى) مؤسس المسيحية السريانية، إلا أن الوثيقة قد صدرت أولاً عن المسيحية السريانية اليهودية، ولكنها صبغت بالصبغة الغنوسية.

44 لاحظ هنا السبيين، سبي بابل أي الخطية، وسبي المسيح- لاحظ أيضاً الفكر الغنوسي عن وجود الأرواح المسبق في القول:إني ذاهب إلى الموضع الذي منه خرجت.

أستمع إلى يعقوب متحدثاً إلى الرب قائلاً:

"ربى إن كانوا قد تسلحوا ضدك. فلا لوم عليهم.

فلقد أتيت بالمعرفة، حتى توبخ جهلهم.

وجئت بالذكرى، حتى توبخ نسيانهم.

لقد سرت في الوحل، ولم تتسخ ثيابك بما فيه. ودفنت في حمأتهم ولكنك لم تؤخذ بها.

ثم يتحدث عن نفسه قائلاً: "أما أنا فقد ارتديت كل شئ لبسوه. ولكنى لست نظيرهم"

"ففي أعماقي النسيان" و"لكن لي كل الأشياء التي ليست لهم"

وعلى جبل جوجلان (ربما الجلجثة) يلتقي السيد مرة ثانية مع يعقوب، وهو هناك راكعاً يصلى. ويعلن له أن كيل الغضب، والحد، قد طفح ضده. ويجلس الإثنان على إحدى الصخور ويبكى يعقوب. وقد أصابه ضيق عظيم.

وقال له الرب يا يعقوب: "سوف تجتاز في مثل تلك الآلام القاسية. ولكن لا تحزن. إن الجسد ضعيف وهو سينال ما قسم له. أما أنت فلا تكن خائفاً"

ويلقن المسيح تلميذه ما سوف يقوله حينما تنطلق نفسه ويحاول الحارس أن يعيقه.

"وسوف يسألك:" من أنت؟ ومن أين أتيت؟"

فتجيبه: "أنا أبن وقد أتيت من الآب"، وعندها يقول لك:" أي نوع من الأبناء أنت؟ وإلى أي الآباء تنتسب؟" فتجيبه: "أنا من الآب الكائن قبل الكل. وأنا أبن في الواحد الكائن قبل الكل"

وعندها يقول يعقوب البار "لقد اكتفيت!"

الفصل السادس عشر

ملامح الأسفار الأخرى (تابع)

إن القارئ. ليقف في ذهول أمام "مكتبة نجع حمادي" بأسفارها التي تختلف في أسلوبها. أحدها عن الآخر. مما يدل على تعدد كتابها. وتعدد العصور التي كتبت فيها. ولكنها جميعاً يربطها الخيط الواحد، والروح النسكية الشديدة. والبصمات الغنوسية. التي نستطيع أن نستشفها من بين السطور، ولو جاءت في إطار مسيحي، أو في صورة حوار هرمسي، أو في قصة من قصص الميثولوجيا القديمة. أو من التراث الزرادشتي، أو استندت إلي ما ورد في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين. ولقد توقفنا عند نهاية الفصل السابق. لنلتقط أنفاسنا قليلاً. حتى نتابع مسيرتنا الخاطفة إلى نهايتنا. وكان أخر لقاء لنا مع يعقوب في رؤياه الأولي.

فإذا جئنا إلى " رؤيا يعقوب الثانية " فإننا نجدها تكملة لسفره الأول أو رؤياه الأولى. فبينما نجد الرب في الأولى يظهر ليعقوب. متحدثاً ومقدماً نبواته عما سوف يحدث له. ومشجعاً عبده على احتمال العذاب. والإستشهاد فإن الثانية تصف آلام، واستشهاد يعقوب في اتساق مع هذه النبوات. وإتمام لها٤٥

وهذا السفر إعلاني. وعلى أساس إعلان قدم ليعقوب من المسيح المقام. ويرويه يعقوب. وينبغي أن نلاحظ أن نسيج النبذة هو في صورة تقرير. كتبه من يدعى "ماريم" أحد الكهنة أقرباء ثيودا والد يعقوب. ومن الواضح أن كاتب هذه النبذة. اعتمد اعتماداً كبيراً على التقاليد اليهودية- المسيحية، التي كانت سائدة في الكنيسة السريانية الأولى. وهذا واضح من تفصيلات استشهاد يعقوب. التي تشابه إلى حد كبير. ما ورد في مذكرات هيجيسيبس. ومع ذلك فمن الواضح أيضاً أن النبذة غنوسية في طبيعتها. ولو أنها تتجه بشيء من التحفظ. في معالجة بعض المواضع العامة الغنوسية. وإن صور يعقوب البار. في هذه النبذة لتدعو إلى شئ من التأمل. فمن المعروف أنه كان يحتل مركزاً مرموقاً ممتازاً في كثير من التقاليد اليهودية

[45] لاحظ أن يعقوب البار هنا. هو أخو الرب. وليس يعقوب الذي مات بسبب هيرودس.

المسيحية وفي هذه النبذة الأخيرة يُصَوّر لنا كرائد للغنوسيين يقودهم في موكب عظيم إلى البوابة السماوية. فهو"المستنير" و"المفتدى الذي يذهل الشعب بأعماله الخارقة المجزية" وهو الذي تباركه السماء. وعلى حسابه "يملك الشعب". وخلاصة القول. أن يعقوب يُصَوَّر لنا في صورة الفادي الغنوسي.

لأنك لست الفادي

ولا معين الغرباء

أنت المنير

لأولئك الذين لي

والآن بالنسبة لمن هم لك

سوف تعلن لهم (البشارة)

آتيا بالأخبار السارة بينهم جميعاً

وأنت كم يعجبون بك

بسبب كل عمل قوي

أنت الذي تباركك السماوات

وأولئك الذين تلقنوا هذه الأمور معك

لأجلك

سوف يُخبَرون بهذه الأمور

فيصلون إلى الراحة

لأجلك.

سوف يملكون

ويصبحون ملوكاً.

ولأجلك

سوف يترأفون

ثم نتلو تلك البصمة الغنوسية، التي سبق أن تكررت في أكثر من نبذة من "مكتبة نجع حمادي"

لأنك كما أنك منذ البداية

قد كسوت نفسك

أنت أيضاً الأول الذي ستتجرد من ملابسك

فتصبح كما أنت

قبل أن تتجرد، وتصبح عريانا.

ويأتي اليهود بيعقوب. بعد تعذيبه، ويأمروه بأن يحفر حفرة لنفسه ينزل فيها إلى منتصفه حيث يحيطونه بالتراب. ثم يرجمونه حتى الموت.

وهذه صلاته قبل موته...

يا إلهي، ويا أبى.

يا من أنقذتني من هذا الرجاء الباطل

وجعلتني حيا، بسر إرادتك.

خلصني من مكان رحيلي

أنقذني من ميتة رديئة

أخرجني من القبر حيا

وها نعمتك تجعل محبتك حية فيّ

لتتم عمل الملء (البليروما)

أنقذني من الجسد الخاطئ

لأنني وثقت بك بكل قوتي ..

لأنك أنت حياة الحياة

لا تدعني بين يدي قاسٍ

قاسٍ في تعامله مع الخطية

أغفر ليّ كل ديون أيام حياتي

لأنني حيّ فيك. ونعمتك حية فيّ

لقد نبذت كل واحد

ولكنني اعترفت بك

والآن لقد أتى الوقت، ودنت الساعة

أرسل لي خلاصك

أيها الروح القدوس..

(١٤) فإذا أتينا إلى النبذة التالية في المجلد الخامس، فإننا نجدها تحمل عنوان "رؤيا آدم"

ورؤيا آدم نبذة شيثية. بمعنى أنها تصور شيث وسلالته على أنهم قبلوا. وتداولوا التقليد الغنوسي. ويبدو من الواضح أن النبذة– تعتمد اعتماداً كبيراً على التقاليد اليهودية الإعلانية. بل إنها في الحقيقة تمثل التحول من التقليد اليهودي الإعلاني، إلى التقليد الغنوسي الإعلاني وإن كان الأمر كذلك فلابد أن تاريخ كتابتها يرجع إلى أواخر القرن الأول، أو أوائل القرن الثاني.

وموضع السفر، يدور حول رؤيا أخذها آدم وعلّمها لأبنه شيث. فـأدم يتحدث كيف أنه بعد السقوط فقد هو وحواء، المجد، والمعرفة، ووقع تحت القوى المستعبدة للخالق "الدنيء" وللموت نفسه، ولكن ثلاثة من الزوار السمائيين. يظهرون لـشيث. ويلقنونه المعرفة هو ونسله، وعلى الرغم من محاولة الخالق "الرديء" أن يهلك العالم بمياه الطوفان، وبالنيران فإن المعرفة تبقى مستمرة وأخيراً حينما يظهر "المنير" أو مصدر "الاستنارة" الذي حل علية الروح القدس، فإن السلطات العالمية

تضطهده ولكنه في النهاية يظفر بهم. والذين عرفوا الإله الحي معرفة حقيقية. سيحيون إلى أبد الآبدين، فيه.

وللمرة الثالثة. سوف يأتي المنير، مصدر المعرفة في مجد عظيم، حتى يترك شيئاً، من نسل نوح، وأبناء حام ويافث .. حتى يترك لنفسه أشجار تحمل ثماراً. وسوف يفتدي نفوسهم من يوم الموت. ذلك لأن كل الخليقة التي جاءت من الأرض الميّتة. سوف تكون تحت سلطان الموت. ولكن أولئك الذين يتأملون متفكرين، في معرفة الإله السرمدي في قلوبهم. لن يهلكوا لأنهم لم يأخذوا الروح من هذا الملكوت وحده، ولكن ... من مصدر الإستنارة. وسوف يعمل آيات وعجائب، حتى يخزي القوات، ورئيسهم.

(١٥) وسوف نمُر مروراً سريعاً بالنبذة الميثولوجية "أعمال بطرس والأثنى عشر". فلقد عرضنا لها في فصل بعنوان "قصة تاجر "اللآلئ" فنتركها لنأتي للنبذة الثانية في المجلد السادس. وهى بعنوان "العقل الكامل الرعدي" وتتضمن خطاباً إعلانيا، تقدمه أنثى في صيغة المفرد. وهنا نرى المتناقضات الغريبة تجتمع في هذه المتحدثة بالرسالة:

"فهي الزوجة. وهي العذراء، وهى القديسة، والمدنسة"

ثم تختتم كلماتها بتقديم النصائح للإصغاء، والتأمل، والتوبيخات لمن يخفق في ذلك.

ولماذا تكرهونني. يا من تحبونني؟

وتبغضون أولئك الذين يحبونني؟

ويا من تنكرونني، تعترفون بي؟

ويا من تقّرون بي، تنكرونني؟

ويا من تتحدثون الحق عني، تكذبون عني؟

ويا من تكذبون في حديثكم عني، تتحدثون بالحق؟

ويا من تعرفونني، فلتجهلوا شخصي..

ويا من لم تعرفونني، ليتكم تتعرفون عليّ؟

في ضعفي، لا تنبذوني

ولا تخافوا من قوتي

لأنكم لماذا تحتقرون خوفي

وتلعنون كبريائي؟.

لأنني، أنا المعرفة، وأنا الجهل.

أنا القوة وأنا الخوف

أنا الحرب، وأنا السلام

لا تنبذوا فاقتي، واتجهوا لغناي

لا تتعالوا عليّ حينما أهبط للأرض

ولا تحتقروني، حينما ألقي، بين المحتقرين

لأنني أنا الرحيمة، وأنا القاسية

لا تهزءوا بي

بل كونوا على حذركم.

لأنني أنا الحكمة في اليونانيين.

والمعرفة عند البرابرة.

والدينونة على اليونانيين، والبرابرة معاً.

هلموا إلي يا من تعرفونني..

هلموا إلى الطفولة..

ولا تحتقروها لأنها، صغيرة..

ولا تنبذوا العظمة من الصَغَارْ

لأن الصَغارْ تعرف، من العظمة.

والذين لم يكونوا في عشرتي، يجهلونني

والذين هم في قربي، لا يعرفونني

والذين هم أبعد الكل عني، هم الذين عرفوني.

وفي اليوم الذي أكون قريبة منكم

ما أبعدكم عني.

وفي اليوم الذي أبعد فيه عنكم

ما أقربني إليكم..

هلموا. وأحكموا أنتم، قبل أن يحكم فيكم

لأن العدالة، والتحيز. يكمنان فيكم

فإن حلّت عليكم الدينونة. من هذا، من يبرئكم؟

وإن نلتم البراءة، من ذا يحتجزكم؟

لأن ما في داخلكم. هو ما في خارجكم أيضاً.

والذي شكّلكم في الظاهر،

هو الذي صاغ باطنكم أيضاً.

وما ترونه خارجكم

تشاهدونه في دواخلكم.

ثم تختتم رسالة"العقل الكامل" بالقول:

لأن كثيرة هي الأشكال المغرية في الخطايا

والعواصف المخزية

والمسرات الطائرة

التي يعانقها البشر. حتى يصبحوا عاقلين

ويصلوا إلى مكان الراحة

وهناك يجدونني

فيحيون

ولا يعودون للموت ثانية.

إن الباحث في حيرة أمام النبذة. فهي لا تقدم لنا موضوعاً يهودياً. أو مسيحياً، أو غنوسياً. ولا نفترض وجود قصة ميثولوجية غنوسية خلفها. وبينما نستطيع في نغمتها. أن نكتشف صدى لما ورد في بعض أسفار الحكمة اليهودية، وما ورد عن إيزيس. فإن مدلول استعلان "العقل الكامل" نستطيع أن نكتشفه في صبغته النقيضية (*antithetical*). فالنقيضية، والمقابلة، تكشف لنا عن سمو المعلن، الذي يسمو على كل إدراك، ولا يصل إلى أعماقه عمق.

(١٦) أما النبذة بعنوان "التعليم السلطاني" ففيها نلتقي بتفسير أصل النفس. وحالتها، والأمجاد العظمى التي تصل إليها. وفي حياة النفس. يستخدم الكاتب أقصى ما تصل إليه الاستعارات: فالنفس هي البغي التي تسكر بخمر الفسق، والدعارة، وهي القمح الذي يمكن أن يكون نقياً. أو مختلطاً بالعصافة، وهي المريض العليل الذي يستخدم أدوية اللوجوس. وهي السمكة التي يحاول الصياد الشيطان أن يقتنصها، ولكنها هي أخيراً، العروس التي تتكئ مع عريسها في غرفة الزفاف.

ومع أن التعليم السلطاني، أو الأساسي، لا يتضمن شيئاً من الميثولوجيا الغنوسية إلا أننا نستطيع أن نضع إصبعنا على أكثر من بصمة من الفكر الغنوسي. وهكذا كما في غيرها من الوثائق الأخرى. نجد أن مصدر النفس سماوي وهي في صراع مع عالم المادة الشرير. وأن خلاصها يكمن في المعرفة المعلنة. كما أننا لا نجد بلورة للمواضيع اليهودية أو المسيحية بين سطورها. عدا إشارة عابرة للبشيرين، وللكرازة. وكذلك استعارة القمح، والتبن..

ويا لشقاء النفس. حينما يلقي بها إلى هذا الوجود.

"فحينما تلقي النفس في الجسد. تصبح شقيقة للشهوة، والحقد، والحسد. لقد أتى الجسد من الشهوة، والشهوة من عنصر المادة ...

وعندها تقع في شرب الخمر الكثير في الفجور[46]. لأن الخمر هي الفجور. وهي لهذا السبب لا تذكر أخواتها ولا أباها لأن المسرات وإغراء المكاسب تخدعها."

"وإذ تفقد المعرفة تسقط في الحيوانية. فالجشع عندها لا يعرف الحدود. لأنه إن كانت العصافة تمتزج بالقمح، فالعصافة لا تُغِش ولكن القمح. ولن يشتري أحد القمح لأنه خليط"

إن الشيطان له دوره. فهو الصياد الماكر الذي يريد أن يصطادنا ليبتلعنا:

"أنه يتربص ليبتلعنا كصياد. وهو يصنع لنا أكثر من طعام أمام أعيننا. الأمور التي تنتسب إلى هذا العالم. وهو يرغب أن نذوق قليلاً منها. حتى يمسكنا بسمه. وينزعنا من الحرية. ويأخذنا في العبودية. لأنه حينما يمسك بنا بطعام واحد. نرغب في البقية. وأخيراً تصبح هذه الأمور طعام الموت."

لكنه يقوم أيضاً بدور الطبيب الخبيث.

"أنه أولاً يحقن ألما في قلبك، حتى تشعر بمرض القلب لأجل أمر تافه من أمور هذه الحياة فيأخذك بسمّه. ثم بعد ذلك يحقن الرغبة في مُقوى، حتى تمتلئ افتخاراً فيه. فتحب المال والكبرياء، والغرور، والحسد وجمال الجسد، والخداع. وأقصى هذه كلها الجهل والراحة.

"إن المقاوم، يُعد هذه الأمور بصورة جميلة، ويعرضها أمام الجسد، مغرياً عقل النفس. أن تتجه إلى واحدة منها. وكما بشخص يجتذبها بعنف في الجهل. حتى تحبل شراً وتلد ثمر المادة، وتقود نفسها في الدنس. وتسير وراء رغائب متعددة. بينما تجتذبها المسرات الجسدية إلى الجهالة. ولكن النفس التي ذاقت هذه الأمور. تتحقق أنها شهوات زائلة. فتتجه إلى طريق جديد. محتقرة هذه الحياة رافضة هذه الأطعمة الزائفة.

---

[46] الخمر هنا ليست الخمر المادية، بل السكر بشهوة العالم وإغراءاته

"أنها تتعلم عن نورها. وتتجه خالعة عنها العلم.(المادي) لأن رداءها الحقيقي. هو في الباطن. وعندما ترتدي ثياب العرس، في جمال العقل وليس في افتخار الجسد. وتعرف عمقها. فتهرع إلى القطيع. بينما يقف الراعي عند الباب. وبديلاً عن العار والإحتقار. اللذين أخذتها في هذا الوجود تنال عشرة آلاف مرة، نعمة ومجداً."

إن النفس العاقلة هي التي تتعلم عن الله:

"إنها تجد في الاستفسار، والاحتمال، محطمة أقدامها في سيرها في خطوات البشيرين متعلمة عن الذي لا يُستقصي. وهكذا تستريح فيه الذي هو في الراحة وتتكئ في غرفة الزفاف. وتتناول من المائدة التي جاعت إليها. وتشترك في الطعام السماوي الخالد. وتلقي الراحة من كل متاعبها. بينما النور الذي يشع عليها. لا يغرب"

(١٧) تلي هذه في المجلد السادس. نبذة بعنوان "مفهوم قوتنا العظيمة" وهي تفسير لتاريخ الخلاص. في صورة رؤوية إعلانية(*Apocalyptic*) ويمكن أن يقال عن هذه النبذة أنها إعلان أو رؤيا مسيحي باتجاه غنوسي. بل يمكن أن نرجع بأصلها إلى إعلان أو رؤيا يهودي. أما السمات الغنوسية فيها. فيمكن أن تلمسها بوضوح: فإنه العهد القديم. هو أب الجسد. والرؤساء يطفحون بالغضب والعداوة، والجسد مدنس، أما الأمجاد العظمى للمستنيرين. فهي في نور القوة العظمى.

و"مفهوم قوتنا العظمى" تعلن اللحظات الفاصلة في تاريخ الخلاص أنها تقدم لنا مفاهيم غنوسية عن الخلق، والطوفان، ومنشأ الإثم، والمخلص نازلاً إلى الهاوية ومذلاً الرؤساء ثم نهاية أو ملء كل الأشياء. والنبذة تقسم تاريخ الخلاص إلى ثلاث حقب رئيسية. الدهر الجسدي الذي ينتهي بالطوفان، والدهر الطبيعي النفسي الذي في خلاله يظهر المخلص. ثم الدهر المستقبلي الذي لا يفني.

وتاريخ كتابة هذه الوثيقة، ومكان كتابتها. يبدو غامضاً على أن ذكر الهرطقة الأنمونية، يمكن أن ترجع كتابتها في أواخر القرن الرابع. أما الإشارة إلى الشرق، كالمكان الذي ظهر فيه اللوجوس (الكلمة) أولاً. فهي تعطينا الفكرة على أن الكاتب قد يكون عاش في غربي فلسطين.

(١٨) أما الشذرة الخامسة أو النبذة الخامسة. فهي تتضمن مقتطفاً "من جمهورية أفلاطون" الأمر الذي يدهشنا على لأنه من المرجح. أن هذا الاقتطاف دخل ضمن مجموعة من الكتابات الهرمسية. على أساس الافتراض. بأن هناك صلة ما بين أفلاطون، وهرمس. أما موضوعها فهو عدم وجود العدالة الاجتماعية، ونغمتها أخلاقية قوية مما يظهر الدافع لأولئك الذين يستخدمون مكتبة نجع حمادي، بضمها إلى مجموعتهم. وأيضاً الرمزية في الحديث بأن - "الإنسان عليه أن يطرح أرضاً كل صورة للحيوان الشرير. ويدوسها مع صور الأسد" - تتمشى مع الأسلوب الغنوسي.

"لأنها صورة واحدة. ولكنها أصبحت صورة وحش مركب برؤوس عديدة. وفي بعض الأيام تبدو على صورة وحش بري وعندها نستطيع أن نطرح عنها الصورة الأولى"

(١٩) هذا يأتي بنا إلى نبذة هرمسية بعنوان "مقال عن الثامن والتاسع"، أما الثامن والتاسع فهي الدوائر المحيطة بالأرض ولقد أتجه التفكير في العصور السالفة. إلى الاعتقاد بأن الدوائر السبع المحيطة بالأرض. هي عوالم الشمس. والقمر والكواكب. والقوى السفلي التي في سيطرتها على الحياة الإنسانية. لم تكن على الدوام خيِّرة. أما الدائرة الثامنة، والدائرة التاسعة، فهي تشير إلى بداية المملكة الإلهية. وهي المستويات التي تسمو على سلطان القوى السفلى. وعند الموت، ترحل النفس، خلال هذه الدوائر السبع حتى إذا نجحت في عبورها. تصل إلى الدائرتين الثامنة. والتاسعة أي المستويات التي تستطيع أن نختبر فيها النعمة والأمجاد. زيادة على ذلك يمكن القول بأن الدائرتين الثامنة، والتاسعة، تمثلان مرحلتين من التطور الروحي.

وهنا تفترض النبذة التي نحن بصددها، وجود دائرة عاشرة، أسمى من هذه كلها. حيث يسكن الله بنفسه. ولو أن هذا لا يبدو واضحاً هنا. والنبذة هنا، تدور حول محادثة بين الأستاذ وتلميذه. والأستاذ هو هرمس المعظم ثلاثاً وهو يتقدم بأسرار المعرفة لتثبيت تلميذه في الأسرار. ويقوده في إختبار النشوة الروحية إلى المستوى الثامن والتاسع. أما الإبن المثبت مع معلمه. فهما يشتركان معاً في صلاة حارة. وفي ترنيمة حمد صامتة. إلى الإلهي: لقد قبل الإبن النور الإلهي، والحياة،

والمحبة. ثم تختم النبذة بطائفة من التعليمات لحفظ ذلك السفر. متضـمنة أقسـاماً لإستخدام كلمات هرمس بحكمة.

أما كون هذه النبذة هرمسية. فهذا واضح من استخدام اسم هـرمس، والتشـابه بينها. وبين الوثائق الهرمسية الأخرى. وبالإضافة إلي هذا فأننا لا ينبغي أن نغفـل الثنائية الغنوسية، والعناصر السرية mystery وأخيراً فإن هناك التشابه بينها، وبين الأفلاطونية الوسطى، مما يرجح الرجوع بعهد كتابتها إلى القرن الثاني للميلاد.

إن صلاة هرمس، وتلميذه، تستحق التسجيل.

"أنني أدعوك. يا من تتسلط في مملكة القوة يا من كلمتك تشرق كميلاد للنـور. يا من كلماتك سرمدية، خالدة، لا تتبدل. يا من إرادتك تلد الحياة للأشكال في كـل مكان. يا من طبيعتك تعطي الشكل للمادة يا من عنايتك تمتد لكل شئ. وتلـد كـل شئ. يا من تتحرك بك نفوس الدائرة الثامنة، والملائكة. يا من خلقت كل شئ. أيها الكامل الإله غير المرئي. يا من إليك يتحدث الإنسان في صمت.

"أعطنا الحكمة من قوتك التي تصل إلينا حتى نستطيع أن نصف لأنفسنا. رؤيا الثامن والتاسع. لقد تقدمنا إلى السابع لأننا أتقياء. ونسير في ناموسك. ونتمم علـى الدوام إرادتك. يارب امنحنا الحق في الصورة، وأسمح لنا عن طريق الـروح. أن نعاين شكل الصورة التي بلا نقص. ونقبل انعكاس الملء (البليروما)

لأنه منكِ غير المولود، والمولود. يظهران للوجود. ولادة المولود الذاتي هـي عن طريقك. ولادة كل الأشياء المولودة الكائنة. أقبل منا هذه الذبائح الروحية. التي نقدمها إليك من كل قلبنا، ونفسنا، وقوتنا. انقد ما فينا. وأعطنا الحكمة الخالدة."

لكن الكلمات تقصر عن أن تعبر عن الرؤيا التي يراها المعلم مع تلميذه :

"يا بني، أفرح لهذا، وأبتهج لأن منهم القوة، التي هي النور، تأتي إلينـا لأنني أرى .. أرى الأعماقَ التي لا توصف. وكيف أخبرك يا ولدي؟ كيف أصـف لـك الوجود؟ إنني عقل. وأرى عقلا آخر. الواحد الذي يحرك النفس. أنت تهبني القوة. أرى نفسي أريد أن أتكلم. الخوف يحجزني لقد وجدت بداية القوة التي فـوق كـل القوات. القوة التي لا بداية لها. أنى أرى ينبوعاً يفوُر بالحياة. اللغة تقصر على أن

تعلن ذلك. عن (المستوى) الثامن. يا ولدي والنفوس التي فيه، والملائكة تنشد تسبحتها في سكون وأنا العقل أدرك."

ومن ذا يستطيع أن يدرك كل هذه الأمور. ويقرأ ما هو مدوّن في ذلك السفر؟.

"أنهم الذين يخضعون لناموس الله. دون تعدّي على الإطلاق ولكنهم في نقاوة يسألون الله لأجل الحكمة والمعرفة. أما الذي لم يولَد منذ البداية من الله. فلن يستطيع أن يقرأ ما هو مدوّن في السفر. إلا بدرجات يتقدم فيها ويدخل في طريق الخلود"

(٢٠) ثم ترد بعد ذلك شذرة بعنوان "صلاة الشكر" لعلها كانت تقدم كصلاة هرمسية. لأجل قبول المعرفة في الوصول إلى الدائرة الثامنة والتاسعة. وهذه الصلاة لها أهميتها. لأنها تظهر لنا نوع الممارسة الهرمسية الطقسية. فهناك الصلاة الليتورجية. والقبلة الطقسية. والمائدة التقليدية. وهكذا فإن صلاة الشكر. كانت تمارسها جماعات الغنوسيين الهرمسيين. عند تثبيت المبتدئين.

وهذه هي الصلاة التي يرددونها. "أننا نقدم لك الشكر كل نفس، وكل قلب يرتفع إليك. أيها الاسم الثابت الذي لا يتزعزع. المكرّم باسم "الله" والذي نقدم له التسبيح باسم "الآب" لأنه لكل واحد. ولكل شئ. يأتي العطف الأبوي لأنك أنت الذي تعطينا العقل والنطق، والمعرفة. العقل حتى ندركك. والنطق حتى نفسّرك، والمعرفة حتى نعرفك. أننا نبتهج إذ نبتهج لأننا استترنا بمعرفتك. أننا نبتهج لأنك أعلنت ذاتك لنا. أننا نبتهج، لأننا ونحن في الجسد، قد جعلتنا إلهيين عن طريق معرفتك".

"طلبة واحدة نسألك إياها أن تحفظنا في معرفتك. ورعاية واحدة نشتاق إليها. ألا نعثر في هذا النوع من الحياة"

(٢١) ثم نأتي إلى نبذة هرمسية أخرى. يبدو أنها تكملة لمقالة الثامن والتاسع. أو ملحق لها. حيث أنها تعرض لما لم تعرض له تلك. وهى تحمل عنوان "اسكليبيوس"

واسكليبيوس هو أحد تلاميذ هرمس. يتحدث إليه أستاذه في حوار يدور حول الله، والبشر. كما أن الله رب الوجود يخلق إلهة هكذا الإنسان أيضاً يُخلق على شاكلة

البشر وتختتم النبذة ببحث عن الأسخاتولوجية الفردية. فبعد الموت تُحاكم النفس، فتثأب. أو يحل عليها العقاب.

وهذا يأتي بنا إلى المجلد السابع في المكتبة.

(٢٢) وأول ما نلتقي به سفر بعنوان "شرح سيم" أو "شرح سام" الذي هو أول كائن على الأرض

وتبدأ القصة حينما ينفصل عقل سام عن جسده كأنما في نوم. ويختطف إلى الكائن الأعظم النور حيث تعلن له هذه الإعلانات. وبحسب تفسير سام هناك قوات رئيسية ثلاث. النور، والظلمة، والروح. بين هذا وذاك والتقاء هذه القوي الثلاث. يُلهب الدراما الكونية. فالظلمة إذ يتحقق صَغاره، وضعفه، يوجه هجومه ضد الروح. حيث أنه يجهل النور. وعقل الظلمة هو الأداة الرئيسية الذي ينفذ مشروعات الآثم في الوجود. ومع ذلك فعقل الظلمة. مع نور الروح. هما موضوع المجهودات الخلاصية للمخلص "درديكاس"

أما ذلك المخلص فتأخذه الشفقة. وينزل إلى الهاوية ليخلص نور الروح. الذي هو قبضة عقل الظلمة. وهو في نزوله إلى الهاوية يلتقي بعداوة قوات الظلمة. ولكنه يُفلت منها حيث أنه يلبس جسم حيوان، أي الجسد. وفي هذا الجسم التفكيري يتمم عمل الخلاص الكوني. وبعد بقائه على الأرض، ينال من ثياب المجد. وأخيراً يُعلن عمله الخلاصي في صورة إعطاء المعرفة لمختاريه.

"لأني لهذا ظهرت حتى أنزل إلى العالم السفلي، إلى نور الروح المثقل. حتى أحميه من شر حمله" وحينما أعلن لك كل ما قيل حينذاك يشرق الأبرار على هذا الوجود في ثيابي. وينفصل الليل عن النهار. لأنني سوف أسرع إلى العالم. لآخذ نور الموضع الذي يمتلكه الإيمان. وسوف أظهر لأولئك الذين يحصلون على عقل النور في الروح. لأن لهؤلاء سوف تعلن جلالتي"

"ولكن النور غير النقي الذي ظهر في الظلمة. والذي ينتسب إلى طبيعة الظلمة له سلطان الذي يغشى به النفوس يا سامْ لقد خُدعوا بأكثر من شيطان. أنهم يعتقدون أنه عن طريق المعمودية بوساخة الماء. سوف تمحي الخطية عن ذلك المظلم، الضعيف، الخامل، المضطرب. ألا يعلمون أنه من الماء. وإلى الماء. هناك العبودية، والخطأ، والدنس، والحسد، والقتل، والزنى، وشهادة الزور، والهرطقات،

والشهوة، والنميمة، والغضب، والمرارة. فأني أتنبأ لكل من له قلب. أنـــه ســوف يحجم عن المعمودية المنجسة"

"والآن اذهب يا سام في النعمة. واستمر في الإيمان على الأرض. لأن كل قوى النور، والنار، سوف تكمل بواسطتي بسببكم. لأنه بدونك سوف لا تُعلَـــن. حتـــى تتحدث أنت بها بصراحة"

(٢٣) أما النبذة الثانية في المجلد السابع. فهي بعنوان "المقـــال الثـــاني لشـــيث العظيم". وموضعها حوار إعلاني يقدمه يسوع المسيح. إلى مجموعة من الكـــاملين في غير فساد أي من الغنوسيين المؤمنين. وأننا لا نجد اسم شيث. عدا في العنوان. يتردد في النبذة. ولربما كان شيث رمزاً ليسوع المسيح.

أما موضوع النبذة. فيدور حول تكليف المجمع السماوي للمخلـــص. وتكليفـــه بالنزول إلى الأرض. وصدامه مع السلطات وصلبيه "الظاهري" ثم عودتـــه إلـــى (البليروما) أو الملء وإلى قصة المخلص يُضاف حدث. لأتباع المخلـــص. ووعـــدٌ بالبركة والأمجاد العتيدة. وتختتم النبـــذة بقـــول المخلـــص للغنوســـيين المـــؤمنين "استريحوا معي، يا زملائي الأرواح، وأخوتي. إلى أبد الآبدين"

ومن الواضح أن هذه النبذة هي عمل غنوسي ذو صبغة مســـيحية. فالعناصـــر المسيحية قد نسجت بمهارة في النسيج الغنوسي. إن النبذة تثبت ما ورد في العهـــد. أو أجزاء منه. أما الصلب فهو يحتل مكانة ظاهرة في النبذة. بحسب الفكر الغنوسي حيث يصوّر الصلب واقعاً على سمعان القيرواني بديلاً عن يسوع المسيح. الـــذي يقف عن قرب منه ضاحكاً.

أما الهدف من هذه النبذة. فهو مقاومة الإيمان المسيحي القويم. بخصوص عقيدة الصلب. وأيضاً بخصوص ما نادت به الكنيسة الأولى. بأنهـــا الكنيســـة الحقيقيـــة. وبديلاً عمّ تقدمه الكنيسة لأتباعها. فإن الغنوسيين يتمتعون بالأخوة هنا. والأمجاد، والوحدة، في الحياة الأبدية.

"أما المسيح ابن الإنسان. الواحد منكم، والذي في وسطكم أنا المحتقـــر لأجـــل خاطركم حتى تسقطوا الفارق، ولا تصبحوا إناثا تلدون الشر، وشـــقيقاته: الحســـد، والانقسام، والغضب، والحقد، والخوف، والقلب المنقسم، والرغبة الجوفاء التـــي لا وجود لها"

(٢٤) وتلي ذلك النبذة الثالثة "رؤيا بطرس" وهي رؤيا تعلــن لـــه. ويفســرها شخص المسيح. أما اضطهاد يسوع المسيح، على أيدي الكهنة. فهو مثال للاضطهاد الواقع على الغنوسيين الأمناء، منذ أولئك الذين يدعون أنفسهم، أساقفة وشمامسة من تلك الكنيسة التي انقسمت على نفسها أحزاباً، وشيعا، متفرقة. يقول يسوع لتلميــذه بطرس "لقد قلت لك مراراً أنهم عميان لا قائد لهم فإن الآثم لا ينتج ثماراً صالحة. وهل يجني الناس التين من الأشواك. أو العنب من الحسك. لذلك فكل ما لا وجــود له. سوف يذوب فيما لا وجود له" "لأن كثيرين سوف يقبلون تعليمنا في البداية، ثم سرعان ما يرتدون عنه، بإرادة أبى الخطأ. الذي يعملون ما يريده"

"أنهم يقاومون الحق، ويقيمون خطأهم، وناموسهم، ضد أفكاري النقية"

"وهناك آخرون خارج عددنا، الذين يدعون أنفسهم أساقفة، وشمامســة، كأنمــا أخذوا سلطانهم من الله. وهم يرتحون تحت عبء دينونة قادتهم. هؤلاء هم جداول جافة"

(٢٥) أما "أعمدة شيث الثلاثة" أو"مسلاّت شيث الثلاث" فهي تروي مأساة قايين وهابيل، ولكن شيث يبدو متميزاً على شبه آدم، كما أن آدم على صورة الله. وحينما ابتدأ نسل شيث يتزايدون فــي الأرض، ابتــداء النــاس يــدعون باســم الــرب (تكوين٥:٨،٤:٢٥). وهكذا يرى الغنوسيون في شيث جدهم الأول، الــذي انتقــل إعلان الله لآدم عن طريقه إلى نسله من الغنوسيين. وإننا لنجد يوسيفوس المــؤرخ اليهودي، يُسّجل التقليد عن نسل شيث الذين اكتشفوا علم التنجيم، وعرفوا مــن آدم عن نكبتين كونيتين، الواحدة بالطوفان، والثانية بالنار سوف تحلان بالأرض. وهكذا سجلوا معرفتهم لنسلهم. على عمودين أو مسلّتين الواحدة من الطوب الذي لا يتأثر بالنار. والثانية من الحجر الذي لا يتأثر بالمياه. فإن كانت النكبتان تفسران لنا هاتين المسلّتين فإن ثالوث الطبيعة الإلهية في الأفلاطونية الحديثة يفســر لنــا المســلاّت الثلاث. وإن النبذة "زوستريانوس" تقدم لنا التفسير لهذه الحقيقة حيث تنتهي بــالقول "لقد سطرت هذه الألواح الثلاثة. وتركتها كمعرفة للمختارين الأحياء. الذين يــأتون بعدي .. نسل شيث المقدس. ولكن الصورة المثلثة هنا قد تشير أيضاً إلى درجــات ثلاث في اختبار الصعود الروحي.

وأننا لنجد الخلفية الشيثية واليهودية، يُطعّمه بالتعبيرات الفلســفية للأفلاطونيــة الحديثة، وعلى الأخص وجود ثالوث حياة العقل، في الألوهية. وهذا أيضاً نكتشــفه

في نُبَذْ أخرى، مثل زوستريانوس، وألوجينس، والتي ذكرها بورفرى فــي حيــاة أفلاطون، كنصوص غنوسية نبذتها مدرسة أفلاطون. وهكذا تقدم لنا مكتبــة نجــع حمادي أضواء على هذا الجانب من الخليقة الأفلاطونية الحديثة، ويمكن بــذلك لأن نرجع بتاريخ كتابتها. إلى ما قبل مناهضة تلك المدرسة للغنوسيين. أي إلى منتصف القرن الثالث.

تأمل ما ورد في المسلّة الثانية، في خطاب شيث إلى "الدهر الأول. بهاء مجــد الآب الخفي"

"أيها الإله الأبوي أيها الطفل الإلهي. يا من يتولد التعدد منه،. لقد ظهرت لهــم في كلمة".

"لقد أتانا الخلاص. ومنك الخلاص. أنتَ الحكمة. أنتَ المعرفة. أنــتَ الحــق. بسببك الحياة. ومنكَ الحياة. بسببكَ العقل. ومنكَ العقل. الحق أنكَ ثالوث. دهر كــل الدهور".

"علّمنا الأمور التي تراها، هبنا القوة حتى نخلص للحياة الأبدية لأننا نحن ظلكَ، كما أنكَ أنتَ (صورة) الواحد الكائن قبل الكل. اسمعنا. يا دهر الدهور. الواحد كلي الكمال. لقد سمعت. لقد سمعت!

لقد خلصت..لقد خلصت!

أننا نعطيك الحمد! أننا نباركك دائماً

أننا نمجدك"

فإذا وصلنا إلى المسلّة الثالثة، نصل إلى الذروة في اختبار الصعود الروحي.

"أننا نبتهج! أننا نبتهج! أننا نبتهج!

لقد رأينا! لقد رأينا! لقد رأينا الكائن الأوحد الحق السرمدي الأول الواحد.

"يا من لا يصل إلى إدراكك فهم. منك الأزليون، منك الدهور، منك الكــاملون المثبتون".

"أننا نباركك يا أيها الموجود، قبل كل وجود، يا أيها الكائن الأول، قبل كل الكائنات، يا آب الألوهية والحياة. يا خالق العقل، يا واهب الصلاح، يا معطي البركة".

"أنت الواحد! أنت الواحد! وكيف بنا نعطيك اسماً. وماذا لدينا؟ لأنك أنت وجود الكل. أنت حياة الكل. أنت عقل الكل. أنت الذي فيك نفرح كلنا أننا نباركك على الدوام، لأننا نلنا الخلاص. دائماً نمجدك، حتى نخلص للخلاص الأبدي"

(٢٦) وهنا نأتي إلى المجلد الثامن الذي يبدأ بأطول نبذة في "مكتبة نجع حمادي" وهي بعنوان "زوستريانوس" وهي نبذة زرادشية غنوسية. ترجع في الأصل إلى ما قبل المسيحية. ويذكر لنا الكاتب بروفيرى، في "حياة أفلوطين" شيئاً عن سفر أو رؤيا زوستريانوس. وهو ولا شك يشير إلى النبذة التي نحن بصددها.

وموضوع هذه النبذة سلسلة من الإعلانات. تقدمها كائنات عليا عن طبيعة المملكة السماوية. وبعد أسئلة يثيرها زوستريانوس. تروى النبذة زيارة ملاك المعرفة الذي يرسله السرمدي كدليل للرحلة السماوية. وفي صعوده للمستويات المختلفة. ينال زوستريانوس المعمودية في سماء القوات الإلهي، ويتلقن أسماء، وصلات أولئك الذين يسكنون العالم السماوي. أما الكائن الإلهي الأعظم هناك. فهو الروح الخفي. ذو القوة المثلثة. وتتضمن صدوراته الربة باربيلو العذراء، والدهور الثلاثة العظمى، وغير هؤلاء.

وبعد أن تنتهي الرحلة. يعود زوستريانوس، إلى عالم المدركات، ويكتب معرفته على لوحات ثلاث، مبشراً بالنور، والمعرفة، كالخلاص المحرر.

(٢٧) أما النبذة الثانية في المجلد الثامن فهي بعنوان "رسالة بطرس إلى فيلبس"

وعلى وتيرة النبذات التي تشابهها، نستمع فيها إلى حوار بين المخلص المقام مع تلاميذه: التلاميذ يسألون والمسيح يجيبهم. وأجوبة المسيح بالطبع، تصطبغ بالصبغة الغنوسية.

والنبذة تحاول أن تقدم تفسيراً عن معاناة المؤمنين. وآلامهم- وهناك الفارق بين آلام المسيح، وآلام التلميذ. فالألم غريب عن المسيح، لأنه إلهي ولكنه يتألم لأجل الآخرين. أما التلاميذ، فأنهم يقاسون بسبب أنفسهم، لأنهم يدورون في فلك سقوط

صوفيا أي الحكمة. وتختتم النبذة بالبركة من يسوع، والرسل وقد تفرقوا كـارزين للآخرين.

وافتتاحية وختام الرسالة، وعلى الأخص مادة القصة، لها نظائرها، ومثيلاتها في العهد الجديد، وعلى الأخص في سفر الأعمال- أما ظهور المسيح كنور عظيم، أو كصوت. فهو يتردد كثيرا في الأدب الغنوسي. وكذلك نجد له ما يماثله في أسـفار العهد الجديد، في حادثة التجلي، وكذلك في ظهور الرب لشاول، وفـي الإصـحاح الأول من الرؤيا.

"وفتح بطرس فاه وتحدث .. قائلاً: أن منيرنا يسوع نزل، وصلب، وقد حمـل إكليل الشوك، ولبس رداء الأرجوان، وصلب على الشجرة، ودفن في القبر. ثم قام من الأموات. يا أخوتي، أن يسوع غريب عن مثل هذه الآلام ولكننا نحـن الـذين قاسينا بسبب تعدى الأم. وبسبب هذا أتم كل شئ على أساسٍ شبه لنـا. لأن الـرب يسوع. أبن مجد الأب الذي لا يستقصي هو رئيس حياتنا"

ثم يصلي بطرس إلى الرب قائلاً:

"يا ربنا يسوع، أعطنا روح الحكمة حتى نعمل المعجزات"

"وإذا بيسوع يظهر لهم قائلا، سلام لجميعكم، ولكل من يؤمن بإسمي. وحينمـا تفترقون، فرحٌ لكم، ونعمةٌ وقوة. لا تخافوا فها أنا معكم إلى الأبد"

(٢٨) أما نبذة "ملكي صادق" الكائنة في المجلد التاسع فهي تدور حـول ذلـك الملك، والكاهن السرّي الغامض، الذي ورد ذكره، في العهد القديم، وفي المزاميـر (تكوين١٤:١٨-٢٠، ومزمور١١٠:٤) كما في العهد الجديد. في رسالة العبـرانيين (١٠:٥-٢٨:٧) وفي هذه النبذة نرى ملكـي صـادق فـي دورة الإسـخاتولوجى (الأخروي) كرئيس كهنة. وفي دوره المسياني، كمحارب، يُظهر كل أفكار اليهـود عنه. في هذه الحقبة الفاصلة من التاريخ. أننا نجد نفس مدار التفكير، يؤيده ما ورد ضمن اكتشافات قمران. زيادة على ذلك، نرى الفكر المسيحي عن ملكي صـادق، كما أثبتته الرسالة إلى العبرانيين.

والنبذة تتضمن إعلانات قدمت لهذا الملك عن طريـق رسـل سـمائيين. فـي الإعلان الأول، نجد نبوات عن حياة وآلام، وموت، وانتصار يسوع المسـيح، ثـم

دور ملكي صادق كرئيس كهنة عتيد. أما القسم الأوسط فهو يتحدث عن معمودية ملكي صادق مظهراً لنا الجانب الطقسي، لجماعات المسيحيين الغنوسيين الذين منهم صدرت هذه النبذة، أما الإعلان الثاني فهو ينتقل بملكي صادق إلى المستقبل. حيث نرى دور يسوع المسيح، كالمخلص المتألم والمنتصر، في دوره النهائي.

(٢٩) أما شذرة "فكر نوريا" ويرجح أنها كتبت في مصر أو سوريا، في أواخر القرن الثاني، فهي تتحدث عن صرخة نوريا. وخلاصها، ودورها في البليروما ثم خلاصها المستقبلي النهائي. ثم نسلها الروحي.ونوريا التي يتردد ذكرها في أكثر من وثيقة غنوسية هي ابنة حواء، والزوجة الشقيقة لشيث. وأحياناً كزوجة نوح. أما في الوثائق المتأخرة، فتبدو في صورة صوفيا، ترمز لسقوط، وفداء النفس البشرية. وهنا "فكر نوريا" هو أساس المعرفة اللازمة للخلاص، وللراحة المجيدة في ملء البليروما الإلهية.

(٣٠) وفي "شهادة الحق" وهي النبذة الثالثة في المجلد عينه، ويرجح أنها كتبت في الإسكندرية، في أواخر القرن الثاني.

فيمكن أن نحللها إلى قسمين: الأول يتحدث في صورة خطابات موجهة إلى المستنيرين عن مواضيع كثيرة، الحق في مقارنة مع الناموس، والمعرفة في مقارنة مع النجاسات الشهوانية، وحياة الحكماء الغنوسيين الكاملين. وللغنوسي الذي يعرف نفسه، والله الذي هو فوق الحق، وهناك الخلاص، والإكليل الذي لا يُفنى، أما ما يرد عنه الحديث حول التعاليم الكاذبة، والممارسات المضلة. فيشار بها إلى الكنيسة وطقوسها. أما القسم الثاني فهو جدلي، عنيف ليس فقط ضد المسيحية الكنسية، بل أيضاً ضد الجماعات الأخرى من الغنوسيين، مثل الفالنتنيين، والباسيليين، والسيمونيين.

وتعتمد هذه النبذة في محتوياتها، على العديد من المصادر متضمنة ما ورد في المدراش اليهودي عن الحية. ثم فقرات من العهد القديم. ومن العهد الجديد، ومن الرسائل. ومن الأدب الأبوكريفي.

(٣١) فإذا أتينا إلى المجلد العاشر فإننا بما حُفظ لنا منه. في صورة نبذة واحدة بعنوان"مارسانيس" أو "مارسيانوس" في مصادر غنوسية أخرى. وربما كانت هذه، ضمن الكتابات التي هاجمها برفيرى من مدرسة أفلوطين في روما. والنبذة، تبدأ

وتنتهي بالحديث عن مكافأة المعرفة. وهي حالة سيئة، بحيث لا نستطيع أن نصل بصورة قاطعة إلى مضمونها. أما شخصية مارسانيس، فهي لواحد من رواد الغنوسيين أو أنبيائهم الذين نسبت إليهم الرؤى والإعلانات.

(٣٢) وفي المجلد الحادي عشر تُجابهنا أولاً نبذة بعنوان "تفسير المعرفة"

وتفسير المعرفة، تقدم لنا أقوى مثال، عن كيف يمكن للمعلم الغنوسي، أن يستخدم كتابات العهد الجديد، ويطبقها على الكنيسة. وإن ملامح النبذة، ونسيجها تظهر لنا، أنها قصد بها أن تلقى كعظة. في خدمة جمهورية. وأن ما نستشفه هنا عن نظام العبادة بين الغنوسيين يدعو إلى الاهتمام والتأمل، فهناك القراءات من الإنجيل. تتبعها قراءات من الرسائل- في الجزء الأول من تفسير المعرفة، نجد فقرات من بشارة متى، تفسر لنا تعاليم السيد، وآلامه. والجزء الثاني يُبنى على فقرات من كورنثوس الأولى، وربما من رومية، وكولوسي، وأفسس، وفيلبي، لتفسر الكنيسة كجسد للمسيح.

ويبدو أن هذه النبذة كانت موجهة إلى مجتمع ممزق بالحسد والتنافس على المواهب الروحية. فالبعض كان يرفض أن يستخدم مواهبه للخدمة. والبعض كان ممتلئاً بالجسد، من نحو أولئك الذين لهم مواهبهم الواضحة القوية، مثل النبوة، والوعظ. والبعض كان يحتقر أولئك الذين كانوا يعتبرونهم جهلاء. أو لم يصلوا إلى المعرفة الكاملة بحسب المفهوم الغنوسي. وآخرون كانوا ممتلئين بالتذمر.

ولكي يعالج الكاتب هذه الصورة، يقدم لهم المسيح "الابن الأكبر" كمثال، الذي أخضع نفسه طواعية، لكي يُعلن محبة الأب، لأخوته الأصاغر. ثم ينتقل بعد ذلك إلى بولس الرسول. مقتبسا منه استعاره الجسد. والأعضاء، ومركز الرأس الذي هو المسيح. أما الجسد فهو الكنيسة التي عليها أن تدرك، أنها تشترك جميعها، معاً، مرتبطة بالرأس مؤتمرةً بأمره وعلى الرغم من تنوع المواهب الروحية التي ينالها كل واحد، فإن كل واحد، يشترك في نفس النعمة.

وبصورة تدعو للدهشة. يقدم هذا المعلم تفسيراً للمعرفة يشابه ما تقدم به بولس في (١كورنثوس١٣)، وأيضاً ما ورد في (١يوحنا). ولكنه بصورة مغايرة لهما. يقدم أيضاً تفسيراً غنوسيا، يؤكد أن أولئك الذين يظهرون روح الحسد، والكراهية،

يكشفون عن مشابهتهم لخالق الكون المادي[47] في جهلة، وحسده. بينما أولئك الـــذين يظهرون المحبة، يعلنون محبة الله الأب، ومحبة الابن الكلمة.

"اقبلوا الآن تعليم الواحد الذي أحتمل العار، وأقبلوا شبهه. فهذا هو الشبه الكائن في محضر الأب حتى تدركوه، قبل أن تضلوا، في جسد اللعنة والدينونة"

استمع إلى قول المسيح "لقد أصبحت صغيراً للغاية، حتى عن طريق اتضـــاعي أرفعكم إلى العلو الشاهق، الذي منه سقطتم. إن كنتم تؤمنون الآن بي فأنـــا الـــذي سأخذكم إلى فوق عن طريق هذا الشبه الذي تبصرونه. أنا الذي سوف أحملكم على منكبيّ. أدخلوا واختبئوا (فيّ) من الوحوش. فالحمل الذي تحملونه الآن ليس حملكم"

وأنتم يا من لم توهبوا، موهبة الكلام، والوعظ، نظير آخرين لا تحزنوا.

"إن كان واحد قد تقدم في الكلمة لا تمتعضوا بسبب هذا قائلين: لماذا يتكلم هذا، بينما أنا لا أتكلم. لأن ما ينطق بها، هو أيضاً لكم. والذي يفهم الكلمة، والذي يتحدث بها. هو من نفس القوة. وجميع الذين ينتسبون إلينا. يخدمون الرأس.

"زيادة على ذلك إن كانوا ينتظرون الخروج من نطاق التوافق الأرضي، فـــأنهم سوف يأتون إلى الدهر *Aeon* ، فإن كانوا لائقين للمشاركة في التوافق الحقيقـــي، فكم بالحري، أولئك الذين يستقون من الواحده. كم ينبغي أن يكونوا فـــي مصـــالحة أحدهم مع الأخر. لا تتهم الرأس بأنه لم يعينك عيناً بل عينك أصبعا. بـــل أشـــكر بالحري، أنك لا توجد خارج الجسد. وعلى النقيض من ذلك أنت لك نفس الـــرأس. كما توجد العين له. وكذلك اليد. والقدم.

ثم تختم النبذة بالقول

"لأننا إن أخطأنا، نصبح أشر من البرابرة . لكننا إن ارتفعنا عن كل خطية، ننال إكليل النصر، كما تمجد رأسنا، بواسطة الأب."

(٣٣) والنبذة الثانية طقسية تتضمن تفسيراً فالنتينياً عن المسحة، والمعموديـــة، والإفخارستيا، هنا نلتقي بمبدأ الخلق، وعملية الفـــداء فـــي تعبيـــرات اللاهوتيـــة الفالنتينية، وعلى الأخص في تعبيرات قصة الصوفيا الميثولوجية. وهى المصـــدر

---

47 إن الغنوسيين ينسبون الشر إلى إله العهد القديم

الوحيد، في الأدب القديم عن هذه القصة. وإننا لنجد في النبذة ذات الجوانب الثلاثة، صورة اللوجوس، بديلاً عن الصوفيا.

هنا يبدأ الكاتب بالوعد بأن يكشف السر، ويتبع القصة بصلوات وبركات، المعمودية، والأفخارستيا. هنا نستطيع أن نرى أن مثل هذه النبذة، كانت تستخدم كإقرار للإيمان للطالبين التثبيت في الغنوسية. فبعد كشف السر لهم يتقدم أولئك للاشتراك في المسحة، والمعمودية، والأفخارستيا، بحسب المفهوم.

وزيادة على كون هذه النبذة، تلقي الضوء على ميثولوجيا الصوفيا، وطقوس الأسرار. فإنها تعطي الدلائل المبدئية، على المجادلات بين الجماعات المختلفة المنتمية للميثولوجية الفالنتينية. وهذا يجد تأييداً له من الآباء مقاومي الهرطقات، حيث يذكرون أن الغنوسيين لا يتفقون على رأي ثابت فيما بينهم- هنا نجد كاتب التفسير الفالنتيني، يتحدى بعض العقائد، ويؤيد غيرها فالصوفيا أخطأت في انفصالها عن شريكها، ومحاولتها الخلق بمفردها، الأمر الذي هو من حق الله وحده. والقصة تصف لنا رجوع الصوفيا. بعد معاناة الانفصال، لتصبح في وحدة مع المسيح الذي ينزل ليصير شريكها الإلهي في الإتحاد نرى أن "الكل" قد أصبح في وحدة وفي انسجام".

(٣٤) أما " ألوجنيس" وهي النبذة الثالثة من المجلد الحادي عشر، فهي إعلان إلهي يتقدم به ألوجنيس- ومعناها الغريب أو الذي من جنس آخر، وهذا الاسم يشير إلى معلنين أنصاف إلهيين، بحسب المفهوم الذي كان سائداً آنذاك- إلى إينه ميسوس. وهذه النبذة لها أهميتها لدارسي منابع الأفلاطونية الحديثة، حيث قد ورد اسمها في كتابات بروفيرى، ومناظرات الأفلاطونية للغنوسية. مما يرجع أن بعض الأفكار التي نادت بها الأفلاطونية الحديثة لها جذورها في الفكر الفلسفي الغنوسي.

ويمكن تقسيم النبذة إلى قسمين: الأول يلقي الضوء على إعلانات تقدمت بها الربة "يوئيل" إلى "الوجنيس" عن وصف القوى الإلهية. وعلى الأخص إيون باربيلو. والثاني يصف في لغة فلسفية، صعود الوجنيس لتعلن له رؤيا بواسطة المنيرين السمائيين. وآخر مرحلة من مراحل هذه الرؤيا وهي "الإعلان المبدئي للواحد المجهول" فهي تعلن تعالي الإلهي، في صيغ النفي اللاهوتية، في صورة تقرب لما ورد في "أبو كريفا يوحنا".هنا يُعلن الله كالواحد المجهول غير المرئي،

غير المدرك، "القوة الروحية الخفية الثلاثية" التي هي أفضل الأفضل، وتوجد "كالوجود غير الكياني" *non Existing being*

وحري بالتأمل عقيدة القوة الثلاثية: ثلاثة في واحد. أما هذا الثالوث. فهو يختلف عن مفهوم التثليث المسيحي. فهو الوجود، والحياة، والعقل، الذي يتضمن كل الوجود، وكل الحياة، وكل العقل. أما صيغة النفي السلبية، فهي تظهر لنا التفاعل المتبادل، بين الغنوسية، والأفلاطونية الحديثة. ويرجح أن هذه النبذة كتبت في نهاية القرن الثالث، وذلك مما ورد في كتابات بروفيرى مشيراً إلى نظيرتها أو إلى الأصل اليوناني، الذي نقلت عنه الترجمة القبطية.

"إنه ليس جسدياً، وهو ليس غير جسدي. أنه ليس بلا حدود، ولا يحده سواه. أنه ليس عظيما، وليس صغيراً. أنه ليس عددا، وليس كائناً. أنه شئ آخر اسمي مما يعرفه الإنسان.

"إنه الإعلان المبدئي، وهو معرفة ذاته. لأنه هو وحده الذي يعرف ذاته. وهو شأن صفاته. وشأن غير صفاته، لا يشترك في دهر، ولا زمن. أنه لا يأخذ شيئاً من أي شئ آخر. أنه لا ينقص، ولا يتعرض لنقصان ولكنه المدرك لذاته بشيء يفوق الإدراك "

"وهو فائق الجمال، أكثر من كل ما هو حسن. وهو لذلك غير مدرك لهم. في أي شكل من الأشكال وعن طريقهم جميعاً، هو فيهم جميعاً".

"أنه الكائن لكل هذه، لذاته، بدون رغبة، فهو القمة العظمى للعظمة والسمو."

"وما عليك يا ميسوس -يقول الوجنيس في ختام رسالته الإعلانية- إلا أن تترك ذلك السفر على الجبل، وأنت تهيب بالحارس (قائلاً): تعال أيها الأوحد الرهيب"

(٣٥) أما شذرة "هبسفرون" فهي في حالة تلف لا يمكن الاستفادة منها. كما أن "أقوال سكستوس" قد عرضنا لها بصورة مفصلة

(٣٦) وهذا يأتي بنا إلى المجلد الثالث عشر حيث نلتقي في بدايته بنبذة بعنوان "بروتنويا صاحب الأشكال الثلاثة" أو الوجوه الثلاثة. وهذه نبذة تدور حول باربيلو، بتأثير شيثي. وفي صورتها المركبة يبدو أنها استغرقت فترة طويلة في تطورها. حتى وصلت إلى صورتها الحالية قبيل عام ٢٠٠ للميلاد. وهكذا يمكن أن تكون

معاصرة "لأبوكريفا يوحنا" التي هناك أكثر من شبه بينها وبين هذه. وشأن غيرهـا كتبت هذه النبذة باليونانية، ثم ترجمت إلى القبطية، لتأخذ طريقهـا لمكتبـة نجـع حمادي.

وفكرة "بروتنويا" تدور حول افتراضات فلسفية إعلانية عن طبيعـة التـاريخ، والعلم، والنبذة تقدم لنا ثلاثة نزولات للمخلص الإلهي بروتنويا، الذي هو في الواقع باربيلو البرية، فكر الأب الأول. وتنقسم في مضمناتها إلى أقسام ثلاثة. الأول تظهر فيه كالأب، أو الصوت *Voice*. والثاني تظهر فيه كالأم، والثالث تبدو فيه كـالابن أو الكلمة (اللوجوس). وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة يمكن أن ينقسم أيضاً إلى أقسام ثلاثة أخرى:

أولاً، تعريف نطُقي "أنا". وثانياً، تعليم عقائـدي عـن نظـام الكـون. وعـن الإسخاتولوجيا. وعن علم اللاهوت الخلاصي. وثالثاً، رؤيا إعلانية ختامية..

وكما تعلن لنا النبذة. بروتنويا هو فكر الأب، الواحد المولود الأول. قبـل كـل الكائنات. الواحد الذي له ثلاثة أسماء، ومع ذلك هو واحد. وذلك (لأن بروتنويـا، وباربليو واحد)

هي تسكن في كل مستويات الوجود. وهي المعلن الذي يوقظ النائمين، والـذي يطلق الصيحة للتذكار، والذي يخلص. وفي نزولات ثلاثة من ملكوت الحياة والنور يأتي البروتنويا للعالم الساقط بالخلاص. عن طريقة المعرفة، والأختام الخمسة.

أما الإجابة عن السؤال عن طبيعة هذه النبذة، فيمكن أن يقال أنها كتبـت قبـل المسيحية، وأعطيت بعد ذلك بصماتها المسيحية. حيث يظهر أسم المسـيح مـرات قليلة. ويمكن أن نجد مشابهات بينها، وبين البشائر التوافقية، كما مع إنجيل يوحنا، في عقيدة اللوجوس.

"للمرة الثالثة أعلنت ذاتي، في خيامهم كالكلمة، وأعلنت ذاتي في صورة شبههم. ولبست ثوب كل واحد. وتخفيت فيهم. دون أن يعرفوا الواحد الذي يهبني القوة لأني أسكن في كل سلاطينه، وقواتهم، وفي الملائكة. وفي كل حركة توجد في المـادة. أني أتخفي فيهم، حتى أعلنت ذاتي لأخوتي ولم يعرفني واحد من القوات مع أنني أنا الذي أعمل فيهم".

"أنا النور الذي ينير الكل. أنا النور الذي يبتهج في أخوتي لأنني نزلت إلى عالم المائتين"

نعم، لقد كان الخفي في الكل، والذي أعلن ذاته لأخوته.

"لقد أخفيت ذاتي فيهم، حتى أعلنت ذاتي في أعضائي التي لي، وعلمتهم عن الوصايا التي لا تمحى.

"ولقد لبست يسوع، وحملته من الخشبة اللعينة، وجلسته في مساكن أبيه. وأولئك الذين يحرسون مساكنهم، لم يعرفوني لأنني أنا غير المحدد مع نسلي. ونسلي الذي لي، سوف أجلسه في النور المقدس، في قلب الصمت الذي لا يلمس. آمين"

إلى هنا نأتي إلى ختام. ما وجد في مكتبة نجع حمادي ولا بأس أن نضيف نبذتين، ضمن ما وُجد في مجموعة برلين الغنوسية.

(أ) أما الأولى فهي بعنوان "إنجيل مريم" ومع أن تاريخ كتابتها غير معروف، إلا أنه يرجح بأنها ترجع إلى القرن الخامس، كما أن هناك جانباً منها، يرجع إلى القرن الثالث الميلادي.

وهذه النبذة يمكن تقسيمها إلى جانبين: الأول يُفتتح بمنظر اعتيادي في الأدب الغنوسي: المسيح المقام في حوار مع تلاميذه، الذين يتقدمون إليه بسؤال بعد سؤال، وهو يجيب عليهم. أما التلاميذ، فيحزنون لأنه سيفترق عنهم، ويخافون من مسئولية، ومتاعب المناداة بالإنجيل في العالم. وتحاول مريم تشجيعهم على أساس أنه معهم بنعمته، وأنه سيهبهم الحماية. وبعدها يتحدث بطرس إلى مريم، يسألها عن الكلمات التي تتذكرها عن يسوع، والتي تعرفها بمفردها. هنا يبدأ الجانب الثاني من النبذة حيث تروى مريم رؤيا أعلنت لها من السيد، وأعلاناً لنفس في صعودها، تستجوبها القوات. وبعد أن تنتهي من حديثها- الذي قد فقد منه مع الأسف، أربع صفحات كاملة- يكون هناك رد الفعل من جانب التلاميذ، ما بين شك. ووعد. ولكن لاوي، يذكرهم أن المخلص جعل مريم- وهى المجدلية- مستحقة، وهو يعرفها جيدا. ويحبها أكثر من كل تلاميذه. وعندها يتفرق التلاميذ، ذاهبين للمناداة ببشارة الإنجيل- تقول مريم.

"لقد رأيت الرب في رؤيا وقلت له. يارب أنني رأيتك اليوم في رؤيا" فقال لي: طوبى لك يا من لم تضطربي عند رؤيتي لأنه حيث هناك العقل، هناك الكنز فقلت له: ربي. والذي يرى الرؤيا، هل يراها عن طريق النفس، أم عن طريق الـــروح؟ فأجاب المخلص وقال: أنه لا يرى عن طريق النفس. ولا يرى عن طريق الروح. بل بالعقل[48] الذي بين هذه وذاك. هذا هو الذي يرى الرؤيا"

(ب) والنبذة الثانية في مجموعة برلين هي بعنوان "أعمال بطرس" وهي النبـــذة الأخيرة في المجموعة. وفيها نرى الجموع تتكاثر حول بطرس فيشفي المرضـــى فيهم. وإذا بواحد يعترض بأن ابنة بطرس نفسها مصابة بالفـــالج فكيـــف يهملهـــا؟ ويتجه بطرس إلى محاولة لشفاء الابنة. ولكنها تصير إلى حال أردأ. وفي الفقـــرة الطويلة التي تلي ذلك يؤكد بطرس. أن بقاءها على تلك الحال. هـــو إرادة عليـــا. لحفظها من الخطية، ودنس الزواج!!، على يد محب لها يُدعى بطليموس وأخيـــراً تتفتح عينا بطليموس، وترى نفسه النور!

ورسالة هذه النبذة رهبانية نسكية، فيها تفضيل للمرض، والشلل، مع البتوليـــة، على الشفاء من المرض. والصحة مع التدنس بالحياة الزوجية !!

وهذا ختام النبذة. يقول فيها بطرس للجموع .. "أعلم يا خادم يسوع المسيح. أن الله يراقب أولئك الذين له. ويعد ما هو صالح لكل واحد منهم. ولكننا نظن أن الله قد نسينا. لذلك يا أخوتي دعونا نكون نادمين تائبين، ولنسهر، ونصـــل. وصـــلاح الله سوف ينظر إلينا، ونحن في انتظاره"

"وكل هذه، وتعاليم أخرى تحدث بها بطرس في محضرهم جميعاً. ثم إذ ســـبح اسم الرب يسوع، كسر لهم الخبز. وإذ وزّعه عليهم قام، ومضى إلى بيته.

[48] لاحظ الفكر الغنوسي عن الخلاص بالعقل. والاستنارة

ملاحق للدراسة

الملحق الأول:

(قائمة مكتبة نجع حمادي)

المجلد الأول:

١- صلاة الرسول بولس.

٢- سفر يعقوب السري. (أبوكريفا يعقوب)

٣- إنجيل الحق.

٤- رسالة عن القيامة.

٥- النبذة ذات الأقسام الثلاثة.

المجلد الثاني:

١- سفر يوحنا السري. (أبوكريفا يوحنا)

٢- إنجيل توما.

٣- إنجيل فيلبس.

٤- حقيقة الأراخنة أو الرؤساء.

٥- نشأة العالم.

٦- مقال تفسيري عن النفس.

٧- سفر توما المجاهد.

المجلد الثالث:

١- سفر يوحنا السري.

٢- إنجيل المصريين.

٣- يوجنستوس المطوّب.

٤- حكمة (صوفيا) يسوع المسيح.

٥- حوار المخلص.

المجلد الرابع:

١- سفر يوحنا السري

٢- إنجيل المصريين.

المجلد الخامس:

١- يوجنستوس المطوّب.

٢- رؤيا بولس.

٣- رؤيا يعقوب الأولى.

٤- رؤيا يعقوب الثانية.

٥- رؤيا آدم.

المجلد السادس:

١- أعمال بطرس والأثنى عشر

٢- العقل الكامل الرعدى

٣- تعاليم رئيسية.

٤- مفهوم قوتنا العظيمة.

٥- من جمهورية أفلاطون.

٦- محاضرات عن الثامن والتاسع.

٧- صلاة الشكر.

٨- اسكلبيوس.

المجلد السابع:

١- شرح سام.

٢- مقال شيث العظيم الثاني.

٣- رؤيا بطرس.

٤- تعاليم سلوانس.

٥- مسلات شيث الثلاث.

المجلد الثامن:

١- زوستر يانوس.

٢- رسالة بطرس إلى فيلبس.

المجلد التاسع:

١- ملكي صادق.

٢- فكر نوريا.

٣- شهادة الحق.

المجلد العاشر:

١- مرسانس.

المجلد الحادي عشر:

١- تفسير المعرفة.

٢- تفسير فالنتيني.

٢- أ عن المسحة.

٢- ب عن المعمودية- أ

٢- ج عن المعمودية- ب

٢- د عن الأفخارستيا- أ

٢- هـ عن الأفخارستيا- ب

٣- الوجينس.

٤- هبسفرون

المجلد الثاني عشر

١- أقوال سكتوس.

٢- إنجيل الحق.

٣- شذرات.

المجلد الثالث عشر:

١- بروتينويا صاحب الأشكال الثلاثة.

٢- عن منشأ العالم.

أعمال ناقصة:

١- إنجيل مريم.

٢- أبوكريفا يوحنا.

٣- صوفيا يسوع المسيح.

٤- أعمال بطرس.

الملحق الثاني:

الغنوسيين: نظرة تحليلية نقدية

ولا خير علينا. في أن نقدم لقارئنا العزيز. نظرة أخرى لهذه الجماعات. نعتمد فيها على ما ورد في دائرة معارف "تشاف هرزوج" حتى يستطيع القارئ من ملامح ما أوردناه سابقاً، ومن انطباعاته مما سنقدمه هنا، أن يكون لمحه خاطفة، عن هذه الهيئات التي تضاربت آراء العلماء، والمؤرخين، فيها أن أول ما نلتقي به. هو الاسم: غنوسية. وهو مستمد من الأصل اليوناني جنوزيس أو غنوسس ومعناه المعرفة. فالغنوسية، هي صورة مشوهة للمعرفة الصحيحة. أما المعرفة الصحيحة. فأننا نستقيها من الكتاب المقدس، وهي معرفة خطة الله في المسيح، للخلاص كما يعلنها الله لنا. بإنارة بصيرتنا وإفهامنا.

وبحسب حديث الرب إلى تلاميذه قائلاً "قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات" (متى١٣: ١١).

وبحسب ما كتب بولس، فإن المعرفة (غنوسس) هي وظيفة الإنسان الروحي. ويمتلكها كل مسيحي في جوهرها الأساسي (١كورنثوس١٢: ٤) ولكن هناك تعدد في المواهب، مع وجود نفس الروح. على أن موهبة المعرفة. شأنها شأن أية موهبة أخرى من مواهب الروح القدس. يمكن أن تزداد لواحد بصورة مميزة. وفي إطار ضيق نقول أن الرسول أعتبر لمعرفة. كتمييز للطرق التي بها يصل البشر عبر الأجيال وعلى الأخص شعب العهد إلى إتمام القصد الإلهي في الخلاص. الأمر المعلن في أسفار الكتاب.

ولقد كان بولس يعرف أن من يمتلكها، يظن في نفسه انه أرفع من سواه. وهو لم يضع المعرفة ضمن الثلاثة التي ينبغي أن تثبت. وهي الإيمان، والرجاء، والمحبة (١كورنثوس١٣: ١٣) فالمعرفة أكثر ارتباطاً بدائرة اللاهوت، أو اللاهوت الفلسفي. ولذلك ينبغي أن تخضع للإيمان، أساس حياة التدين. هذا المفهوم. هو الذي سارت عليه الكنيسة في كافة العصور. وحتى على الرغم من أن من يمتلك المعرفة. يبدو في مقام أعلى من المساكين بالروح. فإننا نراه يؤكد أن العلم وحده لا يحمل في طياته، تأكيد الفداء. وأننا لنجد أكليمندس الاسكندري صاحب المعرفة

فالكنيسة تكتب: "أننا لا نكتشف في كلمة الله، أن هناك فئتين: الإنسان الطبيعي، أو الحيواني، ومن نال الاستنارة أو الغنوسي. بل كل من رفض شهوات الجسد. هـو روحياً. في مركز متساو أمام الرب.

ولكن الكل لم يكونوا بحسب هذا الرأي. ومنذ العصور المسيحية الأولى، ظهـر للوجود الفكر المناقض، الذي يتحدث عنه الرسـول فـي رسـالته الأولـى إلـى تيموثاوس. بأنه التمسك بالمعرفة الكاذبة أو العلم الكاذب (٦:٢٠) ولم يكن في هذا إشارة إلى حالات فردية فحسب. بل جماعات بأكملها كانت مـن صـميم الشـعب المسيحي. وكانت تلقب نفسها بالغنوسيين، أو أصحاب المعرفة، كمـا يؤكـد ذلـك إيريناءوس، وأبيفانوس، و أوريجانوس. وكان أولئك يفخرون بأنهم وحدهم الـذين وصلوا إلى أعماق المعرفة. أما تلك المعرفة. فقد أشرقت علـيهم. عـن طريـق نظريات فلسفية غير مبنية على الكتاب.

أما إيريناءوس الذي قاومهم. فقد أورد هذا المفهوم عن الغنوسيين. ومنذ ذلـك الحين، كان هذا هو الطابع المميّز لهم. ولكن هذا في أفضل ما نفترضه. هو الإطار العريض لتلك الجماعات. حيث أن التغلغل إلى أفكار كل جماعـة يوصـلنا إلـى متاهات فكرية منضاربة. لا يمكن أن تجتمع تحت عنوان واحد.وهكـذا نقـول أن الغنوسية. لم تكن ظاهرة خاصة بالمسيحية فحسب، بل كانت تنتسب إلى التـاريخ الديني بصفة عامة. وكثيراً ما كان يحدث أن تلبس مثـل تلـك الجماعـات، رداء المسيحية الظاهري مدعّية نسبتها إلى أخوة المسيح، وهي في الواقع أبعد ما تكـون عن المسيحية. وأننا لنجد "أوريجانوس" ، يقول "وما استطاع سيلسـوس Celsus، في هجومه على المسيحيين، أن يتقدم في التهم الموجهة ضدهم، بتقارير لم ينطقوا بها" وأننا لنجد من الجانب الآخر، أكثر من طائفة غنوسية، تبـدو مسـتقلة تمـام الاستقلال عن المسيحية، مثل المنديين، والمانشيين. وعلى أية حال أن النظرية التي تنادى بأن الغنوسية. هي ظاهرة مسيحية متافيزيقية تصوفية، هي أضـيق مـن أن تحيط بمفهوم هذه "الظاهرة" لأنه لكي نفهم الغنوسية تماماً علينا أن ننظـر إليهـا. بعين المؤرخ الكنسي، والباحث العقائدي. وهما اللذان يهمهما أن يصلا إلى دلالـة هذه الجماعات بالنسبة لتقدم المسيحية. هذا على الرغم من أننا لم نصل إلى الوسائل التحقيقية الكافية، التي بها ندرك النتائج المقنعة.

فمن الجانب الواحد فأن هناك من يربط بين الغنوسية، والهلينية، حيث أنها يمكن أن تفسّر في مفاهيم الخلفية الفلسفية اليونانية.(يوئيل). وآخرون فسروها، في مفاهيم الديانات السرية الإغريقية (ونجارتن وغيره) وهناك نظرية قامت على ما نادى به هرناك "أن الهيئات الغنوسية تمثل أقوى ما يمكن أن يصل إليه صبغ المسيحية بالهلينية، أو يَونَنَة المسيحية".

وهناك من رجح أن الغنوسية هي العرفية المسيحية (وبرمن)، ويدلل على ذلك، بأن نسيج الكتابات الغنوسية، تضم العناصر اللاهوتية، مع الكونية. في اتجاهات الكفاءة والتكريس، والخلاص.على أن البعض ذهب إلى أن جذور الغنوسية تمتد إلى الجانب الديني السحري. العبادة البابلية (كسلر). وأن بابل هي التربة الأصلية للغنوسية. كما أنها لا تغفل دور الزرادشتية وأثرها، في الافتراض أنه، في زحف الغنوسية، على المناطق اليونانية المسيحية، فقدت الكثير من صورتها الأصلية، وتأقلمت إلى حد ما. بالفكر المسيحي، ولو أنها ظلت محتفظة بطابعها. لكن الباحث "جان ريفيل" رفض نظرية الرجوع بها إلى المنابع الكلدانية، والفارسية، على أساس أنها تضم أيضاً، في نسيجها أفكاراً، ومعتقدات، من المدارس الفلسفية، الدينية الفرعونية (ضمن مكتبة نجع حمادي نلقبها بإنجيل المصريين).

أما بوسيت. فقد أخذ دليلا له. التقاويم *Data* التي أوردها آنز. أن المشكلات الغنوسية يمكن أن تفسّر في نور مفاهيم الديانات الشرقية (الأم، والأب المجهول- الثنائية- الإنسان الأول- العناصر والمادة- شكل المخلص- الأسرار). وفي كل الهيئات الغنوسية، رأى فروعاً، تصل إلى شجرة واحدة، تمتد جذورها، في تربة المحاولات التوفيقية، للديانات القديمة المائتة. ويبدو أنه أصاب الحقيقة حينما قال. أن الغنوسية ليست ظاهرة تقدميه إلى الأمام، لكنها حركة خلفية، في محاولة توفيق، وتطوير القديم، في وجه المسيحية الصاعدة. ولقد كان الأباء على حق. في مقاومتهم لأتباع تلك الهرطقات، حتى وأن اتخذوا أسلوب العنف. وبصورة عامة، يمكن أن نقسم الغنوسيين إلى هذه الطوائف: الغنوسيون المتهودون- الغنوسيون المضادون لليهودية- الغنوسيون الوثنيون- العوفيون- المانشيون، والمانشيون الجدُد.

وبين المماثلين لليهودية، يبرز أتباع باسيليدس، وفالنتنوس، وكيرنثوس، وبرنسانس. أما أعمدة الغنوسيين المضادين لليهودية، فقد كان منهم كيردو،

زماركيون. وهناك طائفة غريبة منهم، تُدعى الأرخونيون، مؤسسها واحدٌ من الرهبان في فلسطين يدعى بطرس. ولكن مقر رئاستها كانت في أرمينيا. وبحسب كتبهم المقدسة (وقد اكتشف بعضها ضمن مجموعة نجع حمادي) هناك سبع سموات، لكل سماء منها أرخن، أو رئيس يشرف عليها. ومن هنا جاءت تسميتهم. وهناك سماء ثامنة تسكن فيها "أم النور" أما رئيس السماء السابعة فهو إله العهد القديم، أو إله اليهود وابنه هو الشيطان. وأولئك كانوا ينبذون المعمودية، ولكنهم يقومون بمسحة الموتى بالزيت، والماء، لحمايتهم من أراخنة السموات السفلى. وبين الغنوسيين الوثنيين، طائفة تلقب بالبربوربين، أو آكلي الأوساخ من الكلمة اليونانية بربورس ومعناها طين.

أما كتابات الغنوسيين، فقد كانت تضم كل لون. ولقد أسهمت مكتبة نجع حمادي، إسهاماً كبيرا في إلقاء الضوء على الأدب الغنوسي فهناك الأناجيل، ولو أن لها صورتها المغايرة لما درجنا عليه في الأناجيل التقليدية (مثل أناجيل مريم، وحواء، وتوما وأندراوس، ومتى). وهناك المزامير (مثل ناسيني، وبرديسانس، وأسفارجيو) وهناك التفاسير(فالنتينوس) وللغنوسيين أيضاً أدبهم اللاهوتي، ومقالاتهم الفلسفية (إزدور، وفالنتنوس، ماركيون). والأبحاث النقدية (بطليموس، وابلس) والتفاسير على كتاباتهم (باسيليدس، وهيراكليون) وكتبهم السرية (بستسْ صوفيا، وأسفار جيو) والقليل قد وصل إلينا. قبل الاكتشاف الأخير. ولكنه يكفي ليلقي الضوء على معتقداتهم، وممارستهم. وزيادة على ما وصل إلينا من كتاباتهم هناك، ما تضمنته كتابات الأباء منها، في دفاعهم عن المسيحية وأدانتهم للآراء التي تضمنها.

وهناك العديد من هذه وعلى الأخص ما ورد في كتابات أوريجانوس، وأكليمندس، والتي تعطينا فكرة واضحة عن باسيليدس، وهيراكليون، واكليون، وازيدور، وعن الفالنتنين، في المدارس الشرقية. أما برديسانس، فقد كتب عنه بالتفصيل أحد تلامذته، في "سفر النواميس والبقاع" وأن كتابات الآباء، على الرغم من أهميتها، إلا أنها في كثير من الأحيان تقسم بالعنف، والتحيز، حتى أنه لا يمكن الاعتماد عليها دائماً. كمراجع للحقيقة. ومن المؤسف أن الكثير من الأدب المسيحي الأول في هذا المجال، (لأمثال أغريبا، وكاستور وجاستن مارتير، ورودون وهجسبس) قد فُقد.

وعلى أي حال، فإن آراء هؤلاء، قد اقتبسها من جاءوا بعدهم (أمثال ترتليانوس، وابيفانيوس، وهبوليتس) فيما لقب "بكتالوج الهراطقة" الذي نسب إلى ترتليـانوس. وبالإضافة إلى ذلك ورد في كتابات أفلوطين محاضرته ضد الغنوسيين. علـى أن العيب في مثل هذه الكتابات، هو لهفة الكاتب إلى الانتصار على خصومه، وإلـى إلصاق دوافع، ومقاصد له، هي أبعد ما تكون عنهم على الإطـلاق. أن مقـاومي الهرطقات. نادوا بأن أقوال الغنوسيين، وأفكارهم فلسفية، وليسـت دينيـة، كونيـة وليست خلاصية ولكن هذا الرأي كان خاطئاً. ذلك لأنه بحسب المفهوم الغنوسـي، فإن المعرفة هي الدين. والفهم هو الفداء. والذي يعرف. هو الذي نال الفداء. هـذا هو الإنسان الذي نزل من السماء، وأعدّ للأبدية. لذلك فعندهم كلمة غنوسي وإنسان روحي، هما مترادفان. والمعرفة هي عطية النعمة التي توهب للإنسان الروحي في مهده، وتستمر معه، وتنمو، لتحل كل الألغاز التي تحيط به. فبالمعرفة نتحرر مـن مثل هذه العقد أو الألغاز المحيرة. من نحن؟ إلى أي حال صرنا؟ أين نحن؟ وإلـى أين مصيرنا؟ ما هو الميلاد؟ وما هو التجديد؟ إن وسائل حل مثل هذه المشـكلات يختلف في كل حاله تبعاً للمستوى الروحي للذي يسأل: هل هو ثنائي العقيدة؟ أم هو حلولي؟ هل يعتنق الميثولوجية سواء كانت شرقية أم غربية؟ هل صـوفي عميـق التفكير؟ إن دائرة مثل هذه المشكلات تختص بالدين، وليس بالفلسفة. كما أنه مـن الواضح من أسفار نجع حمادي، أنه كانت هناك اجتماعات دينية، تضم أولئك، لهـا طقوسها، وقراءتها، ونظمها، وصلواتها، وترانيمها. وأحياناً كانت هذه الاجتماعات تتخذ شكل فصول دراسية. ولو أننا لا نجزم متى تنتهي المدرسة لتبدأ الكنيسة. ولا حتى واحد مثل فالنتنوس، نستطيع أن نضعه ضمن الصُوفيين المتصـوّفة *mystic* على الرغم من اتجاهاته التصوفية. بل أننا نجد أنه ليس بين أولئك فقط، *Ophites* بل بين كافة المجتمعات الغنوسية، كان يمارس التكريس الصوفي. مع كافة المراسيم الرمزية الأخرى في بداية ونهاية كل خدمة دينية: مثل الدخول إلى غرفة الزفاف، ووسْم الأذن اليمنى، ومعمودية الماء والنار والروح، وممارسة المناولة أو المائـدة المقدسة، ومسحة المرضى، وغير ذلك. كما أننا لا ينبغي أن ننسـى أن الطريـق الديني للخلاص، كان مرتبطاً بالطريق الخلقي. فالإنسان الروحي، أما أن يجاهـد، ليقمع، ويقهر القيود التي تربطه بالمادة عن طريق إذلال جسده وإماتتـه، أو أنـه، اعتماداً على الحالة العقلية التي وصل إليها، في حصوله على الخلاص، لا يلقي بالاً لما يأتيه جسده من أعمال، حيث أن هذا لا يمس جوهرة. فيطلق العنان لشـهواته-

قصارى القول أن الغنوسية، كانت تضم النسكية المتزمتة، كما تبدو في جماعة نجع حمادي، كما تضم الإباحية المطلقة.

على أننا لا نكون منصفين للحقيقة، إذا أغفلنا أن الغنوسية أو المعرفة الزائفة، قد قامت أيضاً على إعلانات أعلنت لمؤسسيها، بحيث أنها تقلد في هذا الجانب المسيحية القويمة فمؤسسُو مذاهبها، والمنادين بأقوال الروُح فيها، استمدوا تعليمهم، وسلطانهم، من التحدث مع الآلهة. لقد كانت النبوة ذات شأن عظيم بينهم. وكان التقليد يحتل مكانا رفيعا. وبحسب الخطوات التي سارت فيها المسيحية الأولى، كان أولئك يسيرون، ويقلدّون، ليربطوا أنفسهم بالمسيحية الأولى. وأننا لنجد باسيليدس يلقب جلوكياس- وهو على ما يبدو مفسراً لبطرس- بأنه معلمه. وفالنتينوس كان ينادي بأنه سمع ثيوداس تلميذ بولس. وناسيني أشار إلى يعقوب أخي الرب.

كما أن التقليد الكتابي كان معتبراً للغاية وسطهم. وذلك على الرغم من أن كافة الغنوسيين المسيحيين أو معظمهم كان يرى في إله اليهودية العدو الأكبر للمعرفة، وهكذا رفضوا أسفار العهد القديم، على الرغم من أنهم أقروا، على ما يبدو، بما جاء في سفر التكوين. وهذا واضح من كتابات نجع حمادي، ولكن وثائق المسيحية الأولى، طالما يمكن أن ترجع إلى العهد الرسولي، كانت معتبرة لديهم للغاية بل أنهم حاولوا أن يثبتوا تعاليمها في أذهان أتباعهم، عن طريق التفاسير، والتأويل وما إلى ذلك. وفوق كل شئ، نقر بأن اكثر ما نادوا به في هذا المجال، كان فعالاً في إثراء المسيحية. واعتقد أننا بذلنا بعض الجهد، في إثبات ذلك في الصفحات السالفة.

أما الاتجاه الجذري، الذي أدّى إلى امتعاض الكنيسة الأولى واضطهادها لهم، فوق مجابهتهم، ومقاومتهم لطقوس الكنيسة، وسخريتهم من قادتها، كان الثنائية أو الأثنينية التي تمسكوا بها. مبنية على المونية أي وحدة الأصل، والمصدر في الكون. هذه الثنائية، يمكن أن نفصلها، تحت العناوين الفرعية التالية:

١- ثنائية في اللاهوت، والفكر الكوني. فأولئك فصلوا ما بين الإله (الأعظم) الواحد العظيم، وخالق هذا الكون. وأيضاً في الصور الراقية من الغنوسية، نجد أن الإله الأسمى، هو إله العهد الجديد، بينما خالق الوجود المادي هو إله العهد القديم. ولكنهم في محاولتهم إكرام المسيحية، عن طريق رفع إلهها، إلى مستوى أعلى من إله اليهودية، قد اقتلعوا المسيحية من التربة التي نمت فيها، وترعرعت، وسلخوها من تراثها التاريخي الأصيل. فأصبحت نباتاً بلا أصل

٢- ثنائية في علم المسيح[49] أو شخصية المسيح. فالدهر الإلهي الذي أرسل من فوق ليخلص الروحيين المسجونين في سجن المادة، هو المسيح. لكن هناك الفاصل القوى بين المسيح الإلهي، ويسوع التاريخ. فمع الأخير، أرتبط الدهر الإلهي ***aeon*** ارتباطاً مؤقتاً في المعمودية، ثم فارقه قبل الصلب، أو أن يسوع اليهودي كان مجرد إظهار للمخلص السماوي الذي أرغم أن يلبس جسداً حتى يصبح منظوراً للناس أو إن كل ظهور المخلص، وإحداث حياته، منذ ميلاده، حتى موته، كان مجرد شبه فقط.

٣- ثنائية في علم وصف الإنسان. فالناس يرتبون كأناس روحيين الذي ينبغي أن يُفتدى فيهم الجانب الإلهي المرتبط بالجانب المادي، ثم هناك الماديون الذين انحلوا إلى مجرد مادة، فهم لا يستحقون أن يصبحوا موضوعاً للخلاص، أو هدفاً للفداء. ولكن هناك، في بعض الحالات، إنسان النفس المقدر له بعض درجات البركة. والذي لأجل فهمه، ينبغي أن تُلبس أنواع الخلاص، رداءها التاريخي.

٤- ثنائية في الخلاص. فالفداء، هو فصل الروح عن المادة

أ- وهو يبدأ في الحاضر. ولذلك أن تكون هناك إماتة المادة، ونبذها، وتحقيرها، إما عن طريق النسك العنيف أو الإباحية المفرطة.

ب- لكن العملية تصل إلى تمامها في المستقبل. ولذلك هم يرفضون الرجاء المسيحي الأساسي بحياة مستقلة، ولا مكان لقيامة الأجساد في معتقداتهم.

ولقد أحسنت الكنيسة صنعا، في محاربتها لهذه الثنائية البعيدة كل البعد، عن المعتقدات المسيحية. ولقد وصلت الأزمة إلى ذروتها في البقاع التي كان للغنوسيين فيها أكثر بينهم وسلطانهم. ولكن جوهر الخطر الحقيقي، ما كان في هذا، بقدر ما كان يكمن في شئ آخر. فلو قدر للغنوسية الانتصار لكانت المسيحية قد فقدت منبعها الأصيل أي اليهودية وكانت قد ارتبطت بتلك الهيئات الغريبة، والدوامة الهائلة من تلك التعاليم، والعقائد المتهاوية، للديانات البائدة، وكان الأمر قد انتهى باندثارها معها، في مسار التاريخ. ولقد كان الخطر أكثر، بالنسبة لأن المسيحية، كانت في طور طفولتها، ولم تكن قد وصلت للنضوج بعد في تنظيمها، بحيث كان

Christology [49]

من الممكن، أنّ تصبح بذلك عرضة، لهجمات الأعداء ونقدهم، وعلى الأخص، إذا تذكرنا أن الإسلام كان على الأبواب.

وهكذا اتجه جبابرة الكنيسة الأولى، لتقوية كيان المسيحية وتنظيمهـا. بوضـع أسس، ومُثُل، أصبح من اللازم إقرارها لكل من يريد أن يعتنق المسيحية، أو يقـر بها. من هنا تبلور إقرار الإيمان الرسولي، وظهرت مجموعة الكتابات الرسـولية الدفاعية، وتبلور أيضاً كيان الكنيسة في وظائفها، وتنظيمها، ورئاساتها، وإلى غير ذلك. وشأن الأطباء الماهرين، لم يتراجع آباء الكنيسـة، عـن أن يحقنـوا جسـم الغنوسية المريض، ببعض السم الذي أخذ منه، سواء في الإيمان أم في التقاليـد، أم في التعاليم. وهكذا ردّت الكنيسة الصاع صاعين لتلك الفئات التـي اتجهـت إلـى محاولة توفيقية تلفيقية بين القديم، وبين العقيدة المسيحية.نقول أخيراً أن الغنوسـية، كانت الطفل غير الشرعي، للمعرفة الحقيقية. لقد كانت ثمرة عنيفة مميتة من شجرة معرفة الخير والشر. ولكننا نكون متحيزين ضدها، إذا نسينا، أنه وسـط الدوامـة الهائلة من التعاليم، والفلسفات، والأفكار، الغريبة، هناك اكثر من شئ رائـع، هـو نتاج الفكر في أسمى حالاته. وإن قارئ "أسفار جيو" ليقف في ذهول، أمام جمـال وروعة التسابيح المقدمة للمسيح. ولكنه يجدها، وقد اندفعت بعد ذلـك، فـي تيـار الأناشيد السحرية، وغير من الجمل التي يلقبهـا أفلـوطين بالشقشـقة، والنميمـة، والأصوات غير المفهومة.

ومن الجانب الآخر الذي يمسك بالنشيد الناسيني، سرعان ما يلقي به متسائلا هل يعرف الكاتب معنى الدين؟. وأيضا في وسط إطار شعر فالنتينوس عـن الكـون، نستطيع أن نصل إلى لمحات رائعة من أرقى، وأسمى الأفكار، التـي وردت فـي صورة جميلة وإطار رائع.

الملحق الثالث:

سيمون الساحر: صورة غنوسية

سيمون الساحر، الذي ورد ذكره في سفر الأعمال (٩:٨) سامري؛ عاش في العصر الرسولى، ونسب إلية لقب الساحر أو المجوسي، لممارسته لأعمال السحر. وتاريخه يستحق منا بضعة سطور، حيث أنه يرتبط. بتاريخ الغنوسيين ويظهر لنا موقف الرسل، منه، ومن شيعته. وبحسب ما ورد في كتابات (جاستن مارتير). وُلد في السامره، في جيتوس (حاليا في موضعها تقوم قرية جت بالقرب من نابلس) ويرجح، على حسب ما ورد في كتابات أكليمندس الإسكندرى، أنه تلقى تعليمه في الإسكندرية وهناك وقع تحت تأثير إحدى مدارس الغنوسيين. وربما في ذلك الوقت، أو في وقت لاحق، تتلمذ على يدي دوسيتيوس، الذي عينه مدرساً للغنوسية في السامرة. وبعد وفاة دوسيتوس، خلفه في المركز.

وأننا نلتقي به في الكتاب، ربما وهو يمارس السحر، في سوخار وهي إحدى مدن السامره (أعمال٨:٥) قارن ما ورد في (يوحنا٤:٥). ولقد كان نجاحه بهذا القدر، حتى أنه دُعي بقوة الله العظيمة.(أعمال٨:١٠). ولكن بشارة فيلبس والمعجزات التي جرت على يديه، أذهلته، فصار واحداً من تلاميذه، ونال المعمودية على يديه، ثم شاهد تأثير وضع الأيدي وحلول الروح القدس، كما كان يقوم به بطرس، ويوحنا فإشتاق، بخبث رديء، أن تكون له هذه الموهبة حتى إن كان من يضع يده عليه، ينال موهبة الروح القدس، لكي يستخدم قوة الروح، في إتمام أغراضه السحرية. وهكذا في غباوة الجهل والخطية، قدّم للرسولين دراهم، لكي ينال هذه الموهبة. وبالطبع كان نصيبه الرفض، والتوبيخ العنيف من بطرس، مما سبب له الرعب، ولكن ليس التوبة.(أعمال٨:٩-٢٤) وقد خلدت جريمته في إطلاق اسم السيمونية على المتاجرة في المواهب الروحية، والوظائف الكنسية. وبعد هذه الأحداث، يدخل تاريخ سيمون الساحر في متاهات من الغموض، والتقاليد، والكتابات الأبوكريفية مثل "أعمال بطرس" وما يماثله، وكلها تدور حول المناظرة ما بين سمعان بطرس، وسيمون المجوسي. أما مسارح الصراع فأحيانا السامرة، أو اليهودية، في أورشليم وقيصرية، وأحيانا تكون روما نفسها. أما الزمن فهو عهد

كلوديوس قيصر. ولكن الصفة الوحيدة التي تنسب إليه، هي محاولته التشبه بالمسيح في صعوده إلى السماء، حيث يصلى بطرس، فتكون النتيجة سقوطه وتحطيم ساقيه.

على أن الآباء المقاومين للبدع، يقدمون لنا صورة مغايرة بالكلية. ففـــي عمـــل مفقود ليوستينوس الشهيد، يذكر لنا أن سيمون المجوسي، ولد، كما أسلفنا في جيتون أو جته، بالسامرة ورحل إلى روما، في عهد كلوديوس، وهناك أكرمه الإمبراطور، وأقام له تمثالاً يحمل الكلمات "إلى سيمون الإله القدوس" في جزيرة بالتيبر – ويبدو أن يوستنوس أخطأه التوفيق، لأن التمثال الذي أقيم هناك يحمل لقب إلـــه ســـابينى يُدعى "سيمو سانكوس". ولأجل هذا التشابه في الاسم، حدث هذا الخلط.

أما رحيل سيمون إلى روما، فقد كان واقعه معروفة لدى القدماء. ويروى لنـــا يوستنوس أيضاً، إن جميع أهل السامرة، كانوا يكرمون سيمون كالإله الأول، فوق كل القوى والسلاطين. ولقد كانت تصحبه بغيٌ من صور، قال عنها أنهـــا "الفهـــم الأول النابع منه" ومما ورد عنه، في مقـــاومي الهرطقـــات، أمثـــال أريـنـــاعوس، وترتليانوس، أن سيمون كان يتزي بزي الغنوسيين، وكانوا ينظرون إليـــه كالإلـــه الأعظم. أو الآب السماوي، وأحياناً كانوا يتحدثون عنه "كقوة الله العظمـــى" بينمـــا كانوا يعتبرون هيلين، "كالمفهوم الأول لعقل سيمون" وأم الكل، والحكمة، والـــروح القدس. فهي قد صدرت عن الآب، لتنزل إلى الدوائر السفلى حيث خلقت بإرادتـــه، قوى الملائكة وهذه بدورها، بدون علم الآب السماوي، خلقت العالم، والإنسان ولقد ثار الملائكة عليها، وحبسوها في جسد أنثى فأصبحت الخروف الضال، الذي لأجل خلاصه ظهر سيمون ليخلصها، ويخلص كافة جنسها من سلطان الملائكة الكوني. ولكي يخدع السلطات الملائكية ظهر في صورة إنسان، وكأب للسامريين، وكـــابن لليهود، محتملا الألم الكفاري على أن إكليمندس، وأوريجانوس، يقدمان لنا نظريـــة أخرى عن سيمون. هنا يسقط دور هيلين، وتبرز شخصية سيمون كما يرمز إليهـــا اسمه "الثابت الذي لا يتزعزع" هنا"القوة العظمى" هي مركز كل الأشياء فهي فوق الوجود "الصمت المقدس الذي يسمو على الإدراك" وفي قلب الوجود، الآب الثابـــت الذي لم يتزعزع، في صيغة الماضي والذي لا يتزعزع في صيغة الحاضر، والذي لن يتزعزع، في صيغة المستقبل– قوة وحيدة الجنس (خنثى)، أحادية، لا بداية لها، ولا نهاية. وبينما تبقى متميزة كالقوة السابقة، فإن الآب تصدر عنه ثلاث مـــدارات القوى الكونية– في مظهرها الروحي، العقل، والذكاء، والصوت، وفـــي مظهرهـــا

الطبيعي، السماء، والأرض، والقمر. وفوق هذه كلها، فإن الآب هو "الثابت الذي لم يتزعزع" في وجود ما قبل البشر، "والثابت الذي لا يتزعزع" في صلته بالكائنات الحاضرة."والثابت الذي لن يتزعزع" في نسبته إلى ملء كل الأشياء. أما الإنسان فهو مجرد تحقيق هذه القوة اللانهائية، وهو الغاية القصوى للعملية الكونية التي تصل فيها الألوهية إلى تحقيق ذاتها.

بعد أن عرضنا للفكر الفلسفي، نأتي إلى التفسيرات التي تنسب إلى إكليمندس، والتي أتت بعد ذلك. هنا يوصف سيمون كساحر مشعوذ يطارده بطرس إلى إنطاكية ثم إلى روما. حيث يُعلن في كل مكان أنه المسيح، ولكنه يوقف عند حده، بواسطة المعجزات الإلهية أما هيلين فتظهر كالحكمة، وأم الكل. التي ترسل ملاكيه من قبلها، الواحد يخلق العالم، والثاني يُعطى الناموس. وتصور هذه الكتابات سيمون أيضاً. كرائد العبادة السامرية على جبل جرزيم، حيث كان يفسر الناموس رمزيا، منكراً قيامة الموتى، ومقدماً للسامريين الفلسفة الوثنية، وعلى الأخص تأثير النجوم في مصائر البشر. وأيضاً المدافع عن نقائض مركيون عن الخير والإله البار.

وفي بعض ما ورد أيضاً، نقرأ أن سيمون كان يهاجم بولس، متخذاً من بعض تعاليم بطرس وسيلة لذلك. أو أنه كان يميل إلى بولس، مهاجماً اليهود. ثم هناك من وصل إلى حد أنه قرن ما بين سيمون، وصورة الوحش الواردة في الرؤيا (١٣:١١-١٧).

كل هذه الخيالات المتباينة، تصل بنا إلى تأكيد حقيقة واحدة أن سيمون قد أحترف السحر. وقد كان هذا دافع انجذابه للرسل في السامرة، حيث رأى، وقد جرت على أيديهم آيات وعجائب، تفوق سحره. أما كونه قد أدعى أنه إله متجسد، بحسب المفهوم الوثني فهذا لا يؤكد ادعائه أنه المسيا. ولا يوجد هناك ما يشير سواء في كتابات يوستنوس، أم في سفر الأعمال، إلى أنه مسيح كذاب. وحتى في أعمال الرسل الأبوكريفية، أو في الأدب المنسوب إلى اكلمندس، لا منسب إليه أنه مسيحٌ زائف. على أساس كونه. المولود البكر من الشيطان. صحيح أن تلاميذه الذين أتوا من بعده، ربما نسبوا إليه أنه المخلص، ولكنه هو لم يناد بذلك. بهذا تتقوض النظرية بأن سيمون المجوسي، كان رائد ديانة تهدف إلى هدم المسيحية، أو منافستها.

أما حقيقة كون سيمون قد صار موضوع افتراضات الغنوسية، ونظرياتها، فهو يُظهر لنا أنه ليس مؤسس الغنوسية، ولا تدعي المصادر الأولى ذلك. تاريخياً تقول أن سيمون ليس سوى ساحر أهلته شهرته ونجاحه في السامرة، إلى ادعاء الإلوهية، كما أن نجاحه هذا وصل إلى أعلى مستواه في اقتران قصته، وشخصه بأسطورة إله الشمس "شمَش" Shamash، الذي ارتبطت طقوسه بالإلهة القمر عشتار، أو عشتاروث. وقد ساعد رسوخ ذلك.في عقول الأقدمين، ارتباطه بهيلين، الصوريه، أو هالة– والاسم هنا يشير إلى القمر أيضاً– التي كانت حياتها الدنسة في صور، تشير إلى الإلهة القمر، حيث كانت تعبد هناك، بممارستها الإباحية. أما إلى أي مدى انتشرت هذه العقائد السيمونية، وإلى أي وقت استمرت في السامرة، فهو أمر يصعب تحقيق. لكن السيمونية في زمن أوريجانوس، كانوا قلة ضئيلة في فلسطين، وفي المناطق المجاورة، حتى ما كان لهم وجود، في عهد أبيفانيوس ولكنهم من الجانب الآخر قد انتشروا في الغرب قبل القرن الثاني للميلاد، متطورين إلى نوع من العبادة يتسم بالإباحية

والتعيد لسيمون، انتهت أخيراً إلى نظامين أو هيئتين: نظام "الإعلان الأكبر" والنظام الذي تحدث عنه علماء الهرطقات، الذين بنوا نظرياتهم على ما ورد في كتابات يوستنوس.أما تاريخية "الإعلان الأكبر" فقد هاجمها كثيرون من العلماء، على أساس مشابهته للنظم الغنوسية الأخرى، التي ذكرها هيبوليتس، وعلى أساس انحرافه عن تعاليم سيمون، كما ذكرها علماء الهرطقات في أكثر من عصر.

علة أن هاتين الحجتين لا تكفيان لإثبات أن الوثيقة مزيفة على أساس ما ورد هيبوليتس، وغيرة. الحل الوحيد للخلاف بين ما أوردة يوستينوس، وبين ما أورده هبوليتس، يكمن في الحقيقة أنه كان هناك نظامان سيمونيان الواحد تأثير بالأسكندرية، والثاني تأثير بسورية. أما الأول فواضح في الاعتقاد بجوهر الألوهية أنه "الثابت الذي لا يتزعزع "والتي نجد موازيات له في التعليم الغيلوني، كما أنه واضح في طريقة الرمزي للكتاب، كما يتبناها" الإعلان الأكبر.

وأننا لا نستطيع أن نجزم إذا كان "الإعلان الأكبر" قد كتب في الإسكندرية. ولكن على أي حال إيراده لاقتباسات من الأنبياء غير السامريين، ومن الأمثال، يظهر لنا أنه كتب ليس بواسطة سيمون، ولا بواسطة واحد من أتباعه السامريين. وما يرويه يوستينوس ومن جاءوا بعده، يظهر لنا أن النظام السيموني الثاني قد نبع

في سورية، وأن عناصره تُظهر محاولة توفيقية بين الميثولوجيا البابلية، والرمزية الهلنسية.

إن كلاً من السيمونية الإسكندرية، والسيريانية، فريد في تاريخ الغنوسية، فـــي كونهما تقدمان شخصية تاريخية للإله الأعظم. وعلى الرغم من إننا لا نجد في أي واحدة منهما أي صله للمســيحية الحقيقــة، فأنهمــا تظهــران طــابع المســيحية عليها."فالإعلان الأكبر" الإسكندري يقتبس من الأناجيل، ومــن رســائل بطــرس، وبولس، كما أن" الإعلان الأكبر" السيرياني، يربط ما بين الدور الذي لعبه سيمون مع هيلين، وقصة الراعي، والخروف الضال، كما وردت في (لوقا١٥: ٦).

ملحق خاص

مخطوطات نجع حمادي
ونظرة معاصرة

إعداد
الدكتور القس
عبد المسيح استفانوس

مخطوطات نجع حمادي

ونظرة معاصرة

لمتابعة مخطوطات نجع حمادي نحتاج لأن نلقي نظرة على الغنوسية لمزيد من التعرف عليها ثم ننتقل لنستعرض تأثيراتها في الفكر المعاصر.

فإن كانت بعض مخطوطات نجع حمادي قد أحدثت ضجة كبيرة عند ترجمتها وما لبثت أن هدأت هذه الضجة، إلا أنه برزت بعد ذلك تيارات كثيرة حاولت أن تجد في مخطوطات نجع حمادي ما يؤيدها ويدعمها. ولذلك نحاول أن نتعرف من جديد على الغنوسية ثم نستعرض بعض التيارات المعاصرة، وإن كانت بعضها قد بدأ من قبل إلا أن أصداءه لا زالت تتردد حتى اليوم.

أولاً ــ نظرة عامة معاصرة للغنوسية

الغنوسية حركة تشتق اسمها من الكلمة اليونانية γνῶσις التي تعني معرفة. ولكنها ليست معرفة بمفهومنا المعاصر، فهي معرفة تفوق المعرفة الطبيعية، أنها حكمة فائقة تقود لتفهّم الكون، وتخلّص من عالم المادة الشرير[٥٠] ولذلك فأتباعها يدّعون أن لديهم معرفة، ليست متاحة لغيرهم. وهي حركة ظهرت في الثقافة الوثنية قبل المسيحية[٥١]. إلا أنه عندما ظهرت المسيحية حاول اتباعها أن يضيفوا تعاليم المسيحية إلى تعاليمهم الأخرى. ووجدوا في المسيح بالذات شخصية مناسبة للحديث عن "المعرفة"[٥٢] وأدى ذلك لأن تعامل بعض الكُتاب المسيحيين مع الغنوسية وكأنها هرطقة من الهرطقات[٥٣] ومن هذا المنطلق حذّر راعي هرماس من الغنوسية[٥٤]. فالغنوسية نشأت متأثرة بالفلسفات اليونانية التي كانت منتشرة من قبل المسيحية وبصفة خاصة الفلسفة الأفلاطونية بتنبيرها على أن عالم "الأفكار" (المُثُل) هو العالم الحقيقي، وعلى المرء أن يتخلص من الماديات، بما فيها الجسد، بما في ذلك من نظرة سلبية إلى الإله الخالق. إلا أنه بالإضافة إلى هذه الفلسفات كانت هنالك

---

[50] Walker. Williston, *A History of the Christian Church*, Revised, Charles Scribner's Sons, N.Y., 1959, p. 51f.
[51] Neve, *op. cit.*, p. 52; Berkhof, *op. cit.*, p. 45.
[52] Walker, *op. cit.*, p. 52.
[53] Kelly, J.N. D., *Early Christian Doctrines*, Harper & Brothers, publishers, N.Y., 1958, p.22.
[54] راعي هرماس، المثل التاسع، الفقرة ٢

تأثيرات أخرى أنتجت الغنوسية. فالغنوسية كانت خليطًا غريبًا من ديانات الشرق المختلفة، مثل ديانات الفرس التي أخذوا عنها إزدواجية النور والظلمة، والخير والشر، وديانات قدماء المصريين مما دفعهم لأن يضعوا علاقة مفتاح الحياة (عنخ) على غلاف بعض مجلداتهم الغنوسية التي اكتشفت بالقرب من نجع حمادي، وديانات بابل التي أخذوا عنها التنجيم وما إلى ذلك، مضافًا إليهما تعاليم الديانة اليهودية والديانة المسيحية[٥٥]. ولذلك فلا يمكن الحديث عن نمط واحد في الغنوسية وعلى ذلك فيستطيع المرء أن يقول أنه بينما انتصر الغرب على الشرق سياسيًا وعسكريًا انتصر الشرق على الغرب فلسفيًا ودينيًا.

ومن المهم أن نتذكر من البداية أنه في الوقت الذي أدعت فيه الغنوسية بأنها تقدم المعرفة التي تقود للخلاص فإن كثيرين من قادة المسيحية نبّروا أيضًا على المكانة السامية للمعرفة. بل أن "كليمنت الإسكندري" كما سنرى، أطلق على المسيحي الذي يفهم الإيمان فلسفيًا اسم "العارف" **Gnostic**[٥٦] واعتبر أن المعرفة أسمى من الإيمان. ولذلك فكانت هنالك "معرفة" مسيحية مؤسسة على إيمان سليم جنبًا إلى جنب مع "معرفة" ضلت السبيل إلى الإيمان. ولذلك فلم يكن غريبًا أن نلاحظ أن مخطوطات جماعة الغنوسيين التي أُكتشفت بالقرب من نجع حمادي كانت لها علاقة وثيقة بدير القديس باخوميوس الذي أُكتشفت المخطوطات بالقرب منه[٥٧].

ولعل من أهم العقبات التي تقف في سبيل كل دارس للحركة الغنوسية أن هذه الحركة لم تكن حركة موحدة، بل كان لها قادة كثيرون لكل منهم تعاليمه الخاصة التي تختلف عن غيره، وله أتباعه الذين يعتنقون أفكاره وتعاليمه ولو بشيء من التحفظ أو التعديل في بعض النقاط. وقد أشار "جستنيان الشهيد" إلى أن "سيمون الساحر" المشار إليه في (أع ٨) هو مؤسس الغنوسية[٥٨] إلا أنه يبدو أن ما قصده "جستنيان الشهيد" هو أن المسيحية واجهت نمطًا من الغنوسية في سيمون الساحر (أع ٨). وبصفة خاصة لأن الناس كانوا يقولون عنه: "هذا هو قوة الله العظيمة" وهو تعبير يطابق تعاليم الغنوسية.

---

55 Neve, *op. cit.*, p. 52; Gonzalez, *op. cit.*, p. 129; Walker, *op. cit.*, p. 52.

56 كليمنت الإسكندري، الطنافس (السجادة) ٥، ١: ٦، ٣: ٤٣: ٧

57 على سبيل المثال فإن "تبطين" بعض أغلفة بعض مجلدات مخطوطات نجع حمادي احتوى بعض الأوراق الخاصة بالدير

58 الدفاع الأول لجستنيان الشهيد ٢٦، ٥٦، وهنالك دراسة جادة لدور سيمون الساحر في: Gonzalez, *op. cit.*, p. 134ff;

وجدير بالملاحظة أن الغنوسيين استخدموا الكثير من تعبيرات بولس الرسول لتقديم أفكارهم بأسلوبهم الخاص كالتعبير عن "الحكمة بين الكاملين" (١كو٢: ٦) والتعارض بين الروح والجسد (رو٨: ٢٢ـ ٢٥؛ غل٥: ١٧++) وانتصار المسيح على "الرؤساء والسلاطين وقوات الظلمة" (كو٢: ١٥؛ أف٦: ١٢) والحديث عن المسيح كالإنسان الذي من السماء (١كو١٥: ٤٧) والحديث عن الملء **πληρωμα** (بليروما) (أف٢: ١٩؛ كو١: ١٩) وملء اللاهوت (كو٢: ٩) الذي اعتبره الغنوسيون على قمة العالم الروحي ومنه تخرج القوات. كل هذه التعبيرات وجد فيها الغنوسيون مجالاً خصبًا لتقديم أفكارهم.

ونجد في العهد الجديد تحذيرات كثيرة ضد تعاليم الغنوسيين فإذ نادى بعض الغنوسيين بالتقشف بأشكاله المختلفة كتب بولس الرسول محذرًا الكولوسيين ضد الذين يقولون "لا تمس، لا تذق، لا تجس" (كو٢: ٢١) وكذلك في تحذيره من المنادين "بالتواضع وقهر الجسد" (٢كو٢١ـ ٢٣) والتي تزايد تنبير الغنوسيين عليها فحذّر بولس الرسول من تعاليمهم "مانعين عن الزواج، وآمرين أن يُمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق. لأن كل خليقة الله جيدة..." (١تي٤: ٣، ٤) وفي سبيل تنبير بولس الرسول ضد هذه التعاليم يُنبّر على أن المسيح هو الخالق "فإنه فيه خلق الكل" (كو١: ١٦).

وتحذير بولس الرسول ضد هيمينايس وفيليتس اللذان قالا بأن القيامة قد صارت (٢تي٢: ١٨) يضعنا وجهًا لوجه أمام التعاليم التي نجدها في المقالة عن القيامة في مخطوطات نجع حمادي. فبرغم اقتباس كلمات (رو٨: ١٧؛ أف٢: ٥، ٦) إلا أن نجد إشارة واضحة لفكرة أن القيامة قد تمت فعلاً[٥٩].

كما أن يوحنا الرسول يحذّر أيضًا من تعليم الغنوسيين وبصفة خاصة في (١يو٤: ٢، ٣) "بهذا نعرف روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد، فليس من الله".

وهنالك تفصيلات كثيرة تتعلق بقادة الغنوسية وتفصيلات بشأنها[٦٠]. إلا أن أهم شخصيتين من قادة الفكر الغنوسي ممن نقرأ عنهم هما "فالنتيناس **Valentinus** "

---

[59] Treatise on Resurrection
[60] Kelly, *op. cit.*, p. 23ff; Gonzalez, *op. cit.*, p. 134ff; Bethune –Baker, *op. cit.*, p. 84.

الذي علَّم بالإسكندرية ثم بروما في وسط القرن الثاني الميلادي، و"باسيليدس Basilides" الذي علم بالإسكندرية ما بين ١٢٠، ١٤٠م كما كان هنالك "سيرنثوس" الذي يقتبس "إيريناوس" عبارة عن "بوليكارب" تدل على أنه كان معاصرًا ومقاومًا للرسول يوحنا[٦١] وما نعرفه عن هذين وعن سائر قادة الفكر الغنوسي كنا نستقيه حتى وقت قريب من كتابات بعض اللاهوتيين المشاهير في الكنيسة المسيحية ممن كتبوا ضد تعاليم الغنوسية وأهمهم "إيريناوس[٦٢] Irenaeus" و"ترتليان[٦٣] Tertullian " و"هيبولايتس Hippolytus " و"كليمنت الإسكندرى"، أما كتابات الغنوسيين أنفسهم فلم يكن لدينا منها سوى بعض الأجزاء اليسيرة، حتى اكتشفت مخطوطات نجع حمادي[٦٤] في ديسمبر ١٩٤٥ بالقرب من موقع دير الأنبا باخوميوس، والموجودة حاليًا بالمتحف القبطي بالقاهرة، فألقت كثيرًا من الضوء على الفكر الغنوسي.

وكان إطلاق اسم نجع حمادي على هذه المخطوطات لأن العلماء الذين تابعوا هذا الكشف الهام كانوا يقيمون في استراحة الآباء الكاثوليك في كنيستهم الملحقة بمصنع السكر بنجع حمادي لعدم توافر فنادق مناسبة.

اهتمت الغنوسية بأن تقدم الإجابة للأسئلة التي كانت البشرية تقف حائرة أمامها. فاتجهت ديانات الغرب إلى تعاليم وممارسات الشرق لتجد فيها راحة البال وسلام النفس[٦٥]. فقد كان الإنسان في حيرة من جهة نفسه: من أين جاء؟ ما هو هدف حياته؟ وما هو مصيره؟ بل أنه كان يتساءل: من أين جاء العالم؟ وما هو مصيره؟ بل أكثر من ذلك كان يتساءل عن الله فيقول: من أين جاء الله؟ وكيف كانت الخليقة؟[٦٦] إلا أن السؤال الأساسي الذي عنيت به الغنوسية هو عينه السؤال الأساسي الذي شغل البشرية، فهو بشأن الخلاص وكيف يتحقق؟ فالإنسان يشعر

---

[61] Ireneaus, Exposition of the Faith 2,4.

[62] إيريناوس، ضد الهرطقات وبصفة خاصة الكتاب الأول

[63] وصفه ضد الهرطقات ٧: ٣٠

[64] هنالك كتابات كثيرة جدًا تتعلق بمخطوطات نجع حمادي. والنصوص نفسها منشورة بالإنجليزية
Robinson, James M., General Editor, *The Nag Hammadi library in English*, Revised ed., Harper & Row Publishers, San Francisco, 1988.
Robinson, James M., *The Nag Hammadi Codices, Institute for Antiquity & Christianity*, 1997 وهنالك سرد تاريخي مختصر

[65] Berkhof, *op, cit.*, p. 46.

[66] Neve, *op. cit.*, p. 53.

ببؤس حاله فيفتش عن الخلاص، وإذا بالغنوسية تتطوع في ذلك العصر لأن تشرح له طريق الفداء وطريق الخلاص[٦٧].

واعتبرت الغنوسية أن حجر الزاوية في قضية الخلاص هو المعرفـــة **γνώσς**. فالغنوسيون جماعات كانت تدَّعي الحكمة والمعرفة أساسًا للخلاص. ولعل الرسول بولس وهو يكتب لتلميذه تيموثاوس ناصحًا إياه بأن يُعرض عن "مخالفـــات العلـــم الكاذب الاسم" (١تي٦: ٢٠) إنما كان يشير إلى بعض تعاليم الغنوسية التي كانـــت منتشرة في تلك الأيام. ويمكننا أن نرى الفكرة أكثر وضوحًا متى لاحظنا أن بولس إنمـــا ينصـــح تيموثـــاوس بـــأن يتجنـــب "معارضـــات مـــا يســـمونه خطـــأ بالمعرفة"**ἀντιθέσεις τῆς ψευδωνύμου γνώσεως**، وربما كان يفكر فـــي الغنوسيين عندما قال: "العلم ينفخ" (١كو٨: ١).

بل لعل يوحنا أيضًا وهو يقول "من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصـــاياه فهـــو كاذب وليس الحق فيه" (١يو٢: ٤) إنما كان يشير بذلك إلـــى تعـــاليم الغنوســـيين. فالغنوسية نادت بالمعرفة، واعتبرت أن المعرفة ضد الإيمان، أو على الأقل أسمى وأعلى من الإيمان.

والمبدأ الأساسي في الغنوسية هو التعارض بين الروح والمـــادة ولـــذلك فقـــد صوروا الله وقد خرجت منه بعض القوى (أو الآلهة الأقل منه شأنًا) وهـــذه عـــادةً تخرج أزواجًا فيخرج منه العقل **νους** والفكر أو الكلمة **λογος** ومن كل من هذين يخرج زوج وهكذا.

إلا أن "بسيليدس" مثلاً رأى أن الله تخرج منه قوات أو ملائكـــة موجـــودة فـــي طبقات من السموات عددها ٣٦٥ بنفس عدد أيام السنة[٦٨]وكلما ابتعـــدت القـــوة (أو الإله الأصغر) من الإله الأعلى، كلما ضعفت درجة "الروحانية" ويمكننا أن نـــرى هذه الفكرة في صورة ضعف الفولت الكهربائي بمرور التيار إلى مسافات بعيـــدة. ويستمر الأمر على ذلك حتى يقوم الإله الذي في أدنى المستويات بعمـــل الخليقـــة، وذلك إما عن قصد وإما بأن يسقط في فخاخ المادة نتيجة لجهله بالإلـــه الأعلـــى، وبذلك تختلط الروح بالمادة. وبناء على هذا الأساس علل الغنوسيون وجود الكـــون

---

[67] Neve, *op. cit.*, p. 53.
[68] Kelly, *op. cit.*, p. 25.

وفكرة الخلق. وقادهم ذلك لأن يعتبروا أن الإله الخالق هو إله اليهود وإن إله العهد القديم بعيد عن الإله الأعلى.

أما فيما يتعلق بشأن المشكلة الأساسية التي أهتم الغنوسيون بها، شأنهم في ذلك شأن سائر الفلاسفة والمفكرين في عصرهم وهي مشكلة الخلاص، فاعتبروا أنه يتحقق بتحرر المرء من المادة. فروح الإنسان أسيرة الجسد المادي، ويتحقق الخلاص بالتحرر من الجسد والارتباط أكثر فأكثر بالروح التي لا تنتمي في حقيقة الواقع لهذا العالم[69]، واعتبروا أن الخلاص إنما يأتي عن طريق هذه المعرفة. إلا أنهم اعتبروا أن هذه المعرفة ما كان يمكن للإنسان أن يصل إليها لو لم يرسل الإله الأعلى، وهو الإله الروحي، أحد الآلهة المقربين إليه جدًا. ولذلك أرسل الإله الأعلى أقرب الأقربين إليه وهو "الكلمة" أو "الفكر" (اللوجس) λογος إلى أرضنا ليُعرّف الناس بالإله الأعلى. وطبيعي أن إلهًا على مستوى اللوجس لم يكن ممكنًا له أن يمتزج بالمادة ولذلك ففكرة التجسد بعيدة كل البعد عما نادت به الغنوسية. ولذلك اعتبروا أن المسيح (أي اللوجس) إنما حل على يسوع الناصري عند المعمودية، إذ حل عليه الروح القدس، ولكنه فارقه قبل الصلب بقليل[70]. ونلاحظ هذا بوضوحٍ في كتابات الغنوسيين التي أُكتشفت بالقرب من نجع حمادي.

فالشخص الذي وُلد في بيت لحم إنما هو إنسان عادي لا أكثر ولا أقل. وكل ما عمله المسيح هو أنه أتى للبشرية بالمعرفة عن طريق تعاليمه التي قدمها بعد اندماجه مع يسوع الناصري ليقوم بدور النبي والمعلم[71]. والمعرفة هنا ليست مجرد معرفة عقلية ولكنها في نظر الغنوسيين إعلان إلهي لا يستطيع أن يصل إليه كل البشر.

ولهذا السبب قسّم الغنوسيون وبصفة خاصة فالنتينس البشر إلى ثلاث جماعات[72]: الجماعة الأولى هي جماعة الروحانيين وهؤلاء هم المسيحيون الحقيقيون، أما النوع الثاني فهم جماعة النفسانيين وهؤلاء هم المسيحيون واليهود. واعتبر الغنوسيون أن هؤلاء يمكن لهم أن يخلصوا متى وصلوا إلى المعرفة الصحيحة، أما النوع الثالث فهم الجسديون وهؤلاء هم الوثنيون، واعتقدوا أن لا

---

[69] Gonzalez, *op. cit.*, p. 130
[70] Berkhoff, *op, cit.*, p. 45.
[71] Neve, *op. cit.*, p. 54.
[72] Berkhoff, *op. cit.*, p. 48.

يوجد أي أمل أو خلاص لأمثال هؤلاء. وبذلك نرى أن الخلاص في نظر الغنوسية إنما هو أن يتخلص المرء من الجسد والمادة ما أمكن له ذلك من سبيل. ويجب أن نلاحظ أنهم لم يفكروا في هذا الأمر بالمعايير الأخلاقية بل بالمعايير المادية (الكيميائية) فعلاً ولقد قاد هذا البعض منهم إلى إذلال الجسد لدرجة شديدة بينما أنغمس آخرون في الشهوات المختلفة باعتبار أن هذا يجعل الجسد يزداد انحطاطاً مما يُحرر الروح[٧٣]. إلا أن الغنوسيين بوجه عام كانوا لا يتناولون اللحوم بل يعيشون على البقول ولعلنا نرى هنا بعض التأثيرات التي لازمت المسيحية فيما بعد وأثرت عليها، سيما وقد أشرنا للارتباط الوثيق بين الغنوسية وبعض الأديرة.

وإذ رفضت الغنوسية فكرة التجسد اعتبرت الخلاص عن طريق المعرفة التي أتى بها المسيح. إلا أن المرء ليتقدم في هذه المعرفة ويتأكد منها يجب أن يختبر كثيرًا من الأسرار. وهنالك ما أطلقوا على الارتباط بالمسيح، بأنه رابطة زواج، وحديثهم عن أكلات ومعموديات وأشياء كثيرة قد ينم عن شيء من التفاهة، إلا أن الغنوسية اعتبرتها أسرارًا يجب ممارستها لينال الإنسان الخلاص وكان أغلب هذه مزيج من الأسرار التي كانت في الديانات الشرقية المختلفة. ورفضت الغنوسية أيضًا فكرة الكفارة لأنها اعتبرت أن الإنسان لا يحتاج إلى أكثر من معلم ينير له الطريق إلى الإله الأعلى ويتحقق ذلك بأن تكون النفس عند الموت على دراية بكلمة السر التي عن طريقها تعبر بين الأجرام السماوية التي اعتبروها كائنات حية، في طريقها للإله الأعلى[٧٤]. ولم يكن هنالك بد من أن ترفض الغنوسية فكرة القيامة وفكرة الدينونة فلا يوجد في الغنوسية مكان لخلود الأفراد، بل عودة للأرواح إلى حيث كانت؛ أي إلى الإله الأعلى الذي هو الملء (بليروما) **πληρωμα**، أما النفوس التي لم تنلِ شيئًا من الأسرار فتعود إلى أجساد أخرى، بينما يفنى من يتمادون في الشر.

بقي علينا أن نلاحظ تأثيرات الغنوسية على المسيحية. ولا شك أن المرء يستطيع أن يلاحظ هنا عدة موضوعات أجبرت الغنوسية المسيحية لأن تحدد موقفها منها. وهذه يمكننا أن نلخصها فيما يلي:

---

[73] Neve, *op. cit.*, p. 55
[74] Richardson, Alan, *Creeds in the Making*, SCM Press, London, Reprint 1958, p. 41.

١ ــ بشأن الكتب المقدسة

لاحظنا كيف أن الغنوسيين اعتبروا الإله الخالق (إله العهد القديم) أقل شأنًا من الإله الذي أعلن نفسه في شخص المسيح يسوع كما أنهم فسروا كتابات العهد الجديد بطريقتهم الخاصة بالتفسيرات التي أسموها التفسيرات الروحية والتي استطاعوا بها أن يدّعوا بأن تعاليمهم إنما قد استقوها من الكتابات الرسولية. كل هذا حدا بالكنيسة لأن تحدد موقفها في وضوح من جهة العهد القديم من ناحية، وأن تضع الحدود لكتابات العهد الجديد بأن تقرر الكتب القانونية وتفصل بينها وبين الكتب التي اعتبرتها غير قانونية[٧٥].

٢ ــ بشأن العقيدة المسيحية

لم يكن هنالك بد من أن تقرر المسيحية عقائدها في وضوح. فلقد حاولت الغنوسية أن تكتسح الجو بتعاليمها التي جمعت بين الفلسفة اليونانية والديانات الشرقية المختلفة. ولذلك اضطرت الكنيسة لصياغة ما أسمته قاعدة أو قانون الإيمان **Regula Fidei**[٧٦]. لقد كانت هنالك قوانين إيمان كثيرة في بداية الأمر، وكان كل منها مستخدمًا في إحدى المناطق ويُعرف باسمها. فكان هنالك مثلاً قانون الإيمان الأورشليمي، والقيصري، والروماني نسبة لروما... الخ. وقد كانت هذه القوانين هي النواة التي نبتت منها قوانين الإيمان الشهيرة التي نعرف منها اليوم قانون الإيمان النيقوي، وقانون الإيمان الرسولي... الخ. كان الغنوسيون يقتبسون من الكتاب المقدس ولذلك اضطرت الكنيسة لصياغة قوانين الإيمان لتحديد الفهم الصحيح للكتاب. إلا أن قوانين الإيمان لم تكن كافية لردع الغنوسيين وإسكاتهم ولذلك ظهرت الحاجة إلى وسيلة أخرى لتثبيت العقيدة الصحيحة.

٣ ــ بشأن الكنيسة وأساقفتها

لاحظنا ولا شك أن الغنوسية حاولت أن تمزج بين أشياء كثيرة لتربط الشرق بالغرب، مدعية لنفسها صفة المسكونية وعندئذ هبت المسيحية لتثبت كاثوليكيتها أي عموميتها وشمولها لكل أنحاء المسكونة، وأنها الكنيسة الجامعة. إلا أننا نلاحظ أيضًا أن الغنوسية أجبرت المسيحية على أن تبحث بين صفوفها عمن يدافعون عن إيمانها وعقيدتها. ولم يكن غريبًا أن انبرى الأساقفة للدفاع عن العقيدة مما أدى إلى

---

[75] Neve, *op. cit.*, p. 56.
[76] *Loc. cit.*

ازدياد أهمية تلك الوظيفة وإلى تطور دورها في تقديم التفسير الصحيح لكلمات الكتاب المقدس وشيئًا فشيئًا وصلت وظيفة الأسقفية إلى ما وصلت إليه فيما بعد[٧٧]

٤ ــ بشأن الحياة المسيحية بصفة عامة

لا شك أن نظرة الغنوسية إلى المادة بل وإلى الحياة بجملتها كان لهـا التـأثير الكبير على الفكر المسيحي والحياة المسيحية. وربما تكون الغنوسية قد لعبت دورًا هامًا في أجواء الرهبنة المسيحية، والأصوام المختلفة التي لا زالت لها دور هـام حتى اليوم. ولذلك فلم يكن غريبًا أن الغنوسيين الذين اُكتشفت كتاباتهم بالقرب مـن نجع حمادي كانوا يعيشون فترة من الزمن داخل دير القديس باخوميوس، وأقـاموا بالقرب منه عند طردهم من الدير، حيث خبأوا كتاباتهم عندما اضطهدتهم السـلطة المسيحية.

ثانيًا ــ مخطوطات نجع حمادي وتيارات معاصرة

وجدت بعض الحركات والأفكار المعاصرة، بالعودة لمخطوطات نجع حمـادي مجالاً خصبًا لنشر وتدعيم أفكارها ونذكر منها ما يلي:

١. الحركـة الأنثويـة

بتزايد نشاط الحركة الأنثوية وجدت هذه الحركة في مخطوطات نجع حمـادي مجالاً لتدعيم أفكارها. ووجدت لنفسها دعمًا بصفة خاصة بالرجوع إلى مخطوطين من مخطوطات نجع حمادي هما إنجيل مريم (المجدلية) وإنجيل فيليب (فيلبس).

ويشتمل إنجيل مريم على جزئين: الجزء الأول يقدم منظرًا متكررًا في الكتابات الغنوسية، وهو منظر الرب يسوع المقام وهو يتحدث مع تلاميذه الـذين يسـألونه بعض الأسئلة وهو يجاوبهم. ويحزن التلاميذ لفراقه وللمسئولية الكبيرة الموضوعة على عاتقهم لتبشير الأمم (غير اليهود). إلا أن مريم تشجعهم بأن نعمتـه سـتكون معهم وتحفظهم. وهنا يسأل بطرس مريم عما قاله المخلص لها مما لا يعرفه أحـد سواها. وهنا يبدأ الجزء الثاني من إنجيل مريم والذي تتحدث فيه مريم عن رؤيـة للرب وتشرح عن صعود الروح البشرية، وسؤال القوات لها خلال هـذه الرحلـة. وهذه فكرة غنوسية تمامًا. وإذ تنتهي من حديثها الذي ضـاع مـن المخطوطـة

---

[77] *Loc, cit.*

الخاصة به أربع صفحات، يعبّر بعض التلاميذ عن عدم تصديقهم لما قالته مـريم، ومنهم اندراوس وبطرس الذي يتساءل: "هل تحدث المخلص فعلاً على إنفراد مـع امرأة، وليس علناً معنا؟ هل علينا كلنا أن نستمع لها؟ هل فضّلها هي علينا؟"

وهنا يوجه لاوي حديثه لبطرس ويقول له: "لقد كنت دائمًا حاد الطبـاع وأنـت تعترض على المرأة وكأنها من مقاومينا. فإن كان المخلص جعلها مستحقة، فمـن أنت لتوقفها. يقينًا أن المخلص يعرفها جيدًا جدًا ولذلك أحبها أكثر منـا. فلنخجـل ونلبس الإنسان الكامل. ولننصرف للكرازة كما أمرنا"[٧٨]

أما النص الثاني الذي استخدمته الحركة الأنثوية لتأييد اتجاهاتها فنجده في إنجيل فيليب (فيلبس) الذي هو ترجمة قبطية عن اليونانية التي كُتب بها في النصف الثاني من القرن الثالث[٧٩] وفيه إشارة إلى أن مريم المجدلية كان يطلـق عليهـا "رفيقـة" السيد[٨٠] ثم ترد إشارة بعد ذلك تشير إلى أنه كان يحب مريم المجدلية أكثر من سائر التلاميذ، بل إنه كان يقبّلها في أحيان كثيرة في (فم)[٨١]ها[٨٢]

استخدمت الحركة الأنثوية هذه الإشارات من مخطوطات نجع حمادي للـدعوة ليكون للنساء دور أكبر ومكانة أعظم في المجتمع وفي الكنيسة.

ومن الغريب أن الحركات الأنثوية في استخدامها لمخطوطـات نجـع حمـادي تناست أن نفس هذه المخطوطات أعطت مكانة أعظم للرجال عن النساء ويظهر هذا بوضوح في العبارة التي جاءت في الإنجيل المدعو إنجيل توما، وهو من ضـمن مخطوطات نجع حمادي ويشتمل على أقوال منسوبة للمسيح وجاء في القول الأخير (رقم ١١٤) هذه العبارة:

"قال سمعان بطرس لهم: لتتركنا مريم، لأن النساء لا تستحق لهن الحياة

فقال يسوع: إنني بنفسي سأقودها لأجعلها ذكرًا لتصبح هي أيضًا روحيًا حيـة تشبهكم أيها الذكور. لأن كل امرأة تجعل مـن نفسـها ذكـرًا سـتدخل ملكـوت السماء"[٨٣]

---

[78] The Gospel of Mary, 17, 18.
[79] Robinson, James, M. General Editor, Ibid., p. 141.
[80] Ibid. p. 145
[81] يلاحظ أن الكلمات الموضوعة بين قوسين تمثّل فراغات بسبب تلف المخطوطة
[82] Ibid. p. 148
[83] Gospel of Thomas., 114, Ibid. p. 130.

وهنالك الكثير من الإشارات التي تحول دون استخدام الحركة الأنثوية مخطوطات نجع حمادي لتأييدها[٨٤]

٢. دان براون ورواية وفيلم شفرة دافنشي

رأت مختلف الدراسات والإحصائيات أن دان براون عندما نشر روايته "شفرة دافنشي" التي تحولت إلى فيلم سينمائي أنه ركب موجة الحركة الأنثوية الكاسحة ونشر روايته التي أثبتت الإحصائيات أن العدد الأكبر من قرائها كن من النساء.

واستخدم دان براون مغالطات كثيرة ليهاجم الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان بصفة خاصة وادعى بأن القيادة في الكنيسة كانت للنساء، وأن الإمبراطور قسطنطين كان له دور أساسي في إحلال الرجال مكان النساء في قيادة الكنيسة وزعم أن الفاتيكان كان له دور أساسي في هذا الشأن، وادعى بأن الأناجيل المزيفة وبعضها ضمن مخطوطات نجع حمادي هي الأناجيل الأصلية. وبناءً على ذلك اعتبر أن الأناجيل الموجودة في العهد الجديد لم تكن لها الصفة الرسمية إلا بعد مجمع نيقية ٣٢٥م. كل هذا رغم أن الفاتيكان كمؤسسة كنسية بهذا الاسم لم تكن قد ظهرت بعد!!

وقد لاقت رواية شفرة دافنشي رواجًا كبيرًا كما سبقت الفيلم دعاية كبيرة وثارت ضجة حوله. فهنالك بعض البلاد التي اهتمت بعرض هذا الفيلم. إلا أن هنالك بعض البلاد التي منعت عرضه، ومنها مصر وذلك بسبب التشويه الكبير والأخطاء الكثيرة في تقديم المسيح والمسيحية.

وهنالك كتابات كثيرة تناولت ما قدمه دان براون في رواية شفرة دافنشي بالنقد والتفنيد[٨٥] إلا أننا نكتفي بأن نشير إلى حقيقتين: الحقيقة الأولى هي أن العديد من مخطوطات نجع حمادي يقتبس بوضوح الكثير من كتابات العهد الجديد ويعترف بأنه يقتبس من هذه الكتابات، ولذلك فمخطوطات نجع حمادي نفسها تشهد بأن تدوينها تم بعد انتشار كتابات العهد الجديد بل ولدرجة الاستناد إليها كوثائق معتمدة في الكنيسة.

---

[84] Bart D. Ehrman, *Truth and Fiction in The Da Vinci Code: A Historian Reveals What We Really Know about Jesus, Mary Magdalene and Constantine.*, Oxford: Oxford University Press, 2004.
[85] Ibid.

أما الحقيقة الثانية فإنه بعد اكتشاف مخطوطات نجع حمادي ببضع سنوات تم اكتشاف مخطوطات العهد الجديد وباللغة اليونانية التي عُرفت في الأوساط العلمية باسم مخطوطات بودمار (وعُرفت بعد ذلك باسم مخطوطات دشنا وهي المخطوطات التي كانت في دير الأنبا باخوميوس) ومن بين هذه المخطوطات مجلدين codices يشتملان على الجزء الأكبر من إنجيل يوحنا، وكذلك مجلد codex يشتمل على الجزء الأكبر من إنجيل لوقا وأجزاء أخرى كثيرة من العهد الجديد وكلها تعود إلى بداية القرن الثاني الميلادي. وكل هذا يدحض تمامًا نظريات دان براون ورواية شفرة دافنشي.

٣. صلب المسيح والأحداث التي أحاطت بالصلب

لم تكد تنشر بعض الحقائق عن مخطوطات نجع حمادي حتى قام البعض سيما من يرفضون قصة صلب المسيح بالترحيب ببعض ما انطوت عليه هذه المخطوطات، لتأييد وجهة نظرهم فقام شخص اسمه أحمد عثمان عرّف نفسه بأنه باحث مقيم بلندن بكتابة سلسلة مقالات لجريدة الحياة (التي تصدر في لندن) وأشار إلى أن أغلفة بعض مجلدات مخطوطات نجع حمادي كانت تحمل علامة "مفتاح الحياة" "عنخ" لدى قدماء المصريين بدلاً من علامة الصليب ثم أشار إلى بعض ما جاء في هذه المخطوطات من إنكار لحقيقة صلب المسيح إلى أن خلص للقول:

"والمشكلة التي يواجهها الباحثون هي أن الأناجيل الأربعة هي المصدر الوحيد لقصة صلب الرومان للسيد المسيح، ولو ثبت أن رواية الأناجيل هذه كانت نفسها إضافة لاحقة ولا تمثل حدثًا تاريخيًا، فإن هذا سوف يؤدي إلى ضرورة إعادة النظر في قبول ما ورد في قصة الأناجيل باعتباره لا يمثل الحقيقة التاريخية للأحداث. ومع إننا نقترب الآن من نهاية الألف الثاني للتاريخ الميلادي، إلا أنه يكاد لا يكون لدينا أية معلومات تاريخية مؤكدة عن حياة السيد المسيح نفسه. وكان الاعتقاد السائد فيما مضى هو أن كتبة الأناجيل سجلوا أخبارًا ووقائع كانوا هم أنفسهم شهودًا عليها، إلا أنه تبيّن الآن عدم صحة هذا الاعتقاد. فلم تتم كتابة أول الأناجيل التي لدينا الآن إلا بعد مرور حوالي نصف قرن من الزمان على الأحداث التي يتكلم عنها، ثم أدخلت عليها تعديلات بعد ذلك خلال الأعوام العشرين التالية".

ولازال البعض حتى اليوم يرددون نفس ما قاله هذا الباحث. ولعله يحسن بنا أن نعود فعلاً إلى مخطوطات نجع حمادي لنتأمل ما جاء بها من إشارات تنفي صلب المسيح. فيتحدث أحد الكُتاب عن بعض أقوال الغنوسيين فيقول عن المسيح:

"إنه لم يتألم، إلا أنهم سخّروا شخصًا اسمه سمعان القيريني ليحمل الصليب عوضًا عنه، وسمعان هذا غُيِّرَ يسوع شكله حتى ظنوا أنه يسوع نفسه، وصُلب رغم أن ذلك عن جهل وبطريق الخطأ. أما يسوع فأتخذ لنفسه شكل سمعان ووقف جانبًا يضحك عليهم"[86]

كما نجد في أحد كتاباتهم هذه الكلمات:

"... لم أخضع لهم كما خططوا، ولكنني لم أتألم مطلقًا. والذين كانوا هنالك عاقبوني ولكنني لم أمت حقًا ولكن ظاهريًا ... فإن موتي الذي ظنوا أنه حدث، قد حدث لهم في خطئهم وعماهم. فقد سمّروا رجلهم لموتهم ... لقد رأوني وعاقبوني، إلا أن ذاك كان شخصًا آخر، إن أباهم هو الذي شرب المر والخل ولم أكن أنا إياه. لقد ضربوني بالقصبة إلا أنه كان شخص آخر، سمعان الذي حمل الصليب على كتفه ... وكنت أضحك لجهلهم"[87]

بل إن كتاب (رؤيا / إعلان / بطرس) من مجموعة مخطوطات نجع حمادي يقدم لنا المسيح وهو يشرح لبطرس الفارق بين الكنيسة "المسيحية" بأساقفتها وشمامستها والكنيسة الغنوسية التي يعتبرها الكنيسة الصحيحة ويقول عن الكنيسة "المسيحية" "إنهم يلتصقون باسم إنسان ميت، ظانين أنهم سيكونون طاهرين"[88]

فالمسيح بالنسبة للغنوسيين هو شخص روحي بينما يسوع هو إنسان عادي لا أكثر ولا أقل، كما أشرنا أعلاه. فالمسيح كشخص روحي لم يصلب، أما الإنسان العادي يسوع فقد فارقه المسيح قبل الصلب، وعلى ذلك فالمسيح نفسه لم يُصلب.

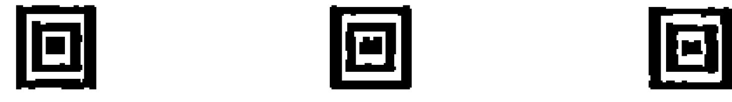
ولقد انتشرت فكرة عدم صلب المسيح بين الغنوسيين، ومضوا بها إلى الجزيرة العربية حيث وجدوا لأنفسهم ملاذًا بعد أن ضيّق عليهم المسيحيون الخناق في كافة

---

86 Dart , John, *The Laughing Savior*, Harper & Row Publishers, N.Y. 1976, p. 108 f.
87 Robinson, James M., General Editor, *The Nag Hammadi Library in English*, Revised ed., The second Treatise of the Great Seth, 55: 4-56: 20, p. 365.
88 Apocalypse of Peter 74, 13 f.

أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وكانت موانئ البحر الأحمر ما بين الساحل الغربي (مصر) والساحل الشرقي (الجزيرة العربية) في نشاط متزايد منذ عهد البطالمة من القرن الثاني قبل الميلاد، وكان لها دور كبير في القرون الأولى للمسيحية[٨٩].

ولا زالت نفس الادعاءات التي ساقها أحمد عثمان في جريدة الحياة سنة ١٩٩٥ يرددها كثيرون اليوم بأنه لا توجد لدينا معلومات تاريخية مؤكدة عن صلب المسيح بل عن حياة المسيح نفسها!! كل هذا برغم الوثائق التاريخية التي تؤكد صلب المسيح ومنها ما كتبه بليني من بيثينية إلى الإمبراطور تراجان سنة ١١٠م وما كتبه المؤرخ تاسيتوس سنة ١١٥م مؤكدًا دور بيلاطس البنطي في صلب المسيح وغيرهما[٩٠]



نعم! لازالت مخطوطات نجع حمادي وتعاليم الغنوسية تتردد أصداؤها حتى اليوم والتي نحتاج لأن نضعها في إطارها الصحيح، لنقدم للقارئ نظرة موضوعية لخيره، وليكن الحق واضحًا جليًا للجميع.

---

[٨٩] حسين العودات، العرب النصارى، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٢، ص ٥٢

[90] Roderic Dunkerley., *Beyond the Gospels*, Pelican Books, 1957, p. 24 ff.

الخاتمة

وهكذا نأتى إلى ختام، تلك الملامح التخطيطية، التي عرضنا فيها، لتلك المجموعة من المخطوطات التي اكتشفت بالقرب من نجع حمادي منذ ما يقرب من أربعين عاماً، التي يرجع تاريخ جمعها في نطاق واحد- ولا نقول كتابتها، أو نسخها- إلى القرن الرابع الميلادي. هكذا نأتي إلى كلمة في الختام.

وعن المجموعة نقول أنها غاية في الأهمية، والتنوع، حيث تقدم لنا عينات وافية من الأدب الغنوسي، كتبت كلها باللغة القبطية، كما تقدم لنا أشكالاً متباينة من الغنوسية نفسها، وطوائفها. أما أهمية المجموعة في تاريخ الأديان كما في تاريخ المسيحية الأولى كما في دراسة اللغة القبطية، وأيضاً في كثير من المجالات الأخرى، فهي لا تقدر بثمن. فلأول مرة في التاريخ يجد العلماء بين أيديهم مجموعة كاملة من الكتابات الغنوسية الأصلية، يصلون عن طريقها إلى تفهم تلك الحركات الدينية التي قاومتها السلطات الكنيسة قديما واستطاعت أن تنتصر عليها- هنا نلتقي بالعناصر الرئيسية المكونة للنسيج الغنوسي، ونستطيع من خلالها، أن نصل إلى مفهوم صحيح، عن تلك الحركات الفلسفية، التي تدخل في عناصرها العقائد لمسيحية، واليهودية، والوثنية، بصورة تتميز في طوائفها المختلفة، في كثير أو قليل.

المجلدات التي اكتشفت، وتقع في ثلاثة عشر مجلدا، تحمل أكثر من قلم ناسخ. وهى لذلك ليست كلها متجانسة، وهي ليست كلها ترجع إلى تاريخ كتابتها. فالبعض منها منقول عن كتابات أكثر قدما. ومعظم المجموعة مكتوبة باللهجة الصعيدية. ولكن المجلدين الأول، والعاشر، مع جزء من، المجلد الحادي عشر كتبت باللهجة تحت الأخميمية. أما طبيعة اللهجات المتباينة فقد تكون علامة لمرحلة أولية في تطور تلك اللهجات. أو قد تكون دليلاً على تأثيرات من لهجات مجاورة.

والنظرية السائدة بين العلماء، هي أن تلك الكتابات قد كتبت في الأصل باليونانية، ثم ترجمت إلى القبطية بعد ذلك. وفي بعض الحالات القليلة، مثلما في حالة إنجيل توما، نلتقي بنظائر لها في الأصل اليوناني. وهناك محاولات من بعض العلماء للرجوع بهذه المخطوطات، أو بعضها، إلى أصل سامي، أو اصل قبطي صميم، ولكن هذه المحاولات لم تنل قبولا من جمهرة العلماء.

والذي يهمنا في خاتمة دراستنا، هو تبويب هذه المكتبة، بحسب النوعية الأدبية، ثم دراسة للطوائف الغنوسية التي كانت سائدة آنذاك، بحسب ما تشير إليه تلك الكتابات، وأخيراً تخلص إلى الاتجاهات العلمية، في تفسير ما يمكن أن نسميه "ظاهرة الغنوسية" والعناصر التي كونتها. وهو الأمر الذي لم نعرض له في دراستنا.وأول ما نبدأ به

ولا يمكننا تبويب المكتبة بصورة حاسمة الآن سواء على أساس النوعية الأدبية، أو في نسبة الكتابات للمذاهب الغنوسية، حيث أن العلماء، لم يخلصوا بعد لدراسة تحليليه لتلك الكتابات وقد يلزم الأمر السنوات الطوال القادمة- إن كل ما وصلنا إليه هو نشر ترجمات لمحتويات المكتبة ونصوصها. وكان أكثر هذه شمولاً، ما قام به روبنصون مؤخراً، في نشره ترجمة كاملة لكل الكتابات، باللغة الإنجليزية، مع تقديم مختصر لكل سفر منها. وكتابات نجع حمّادي، تتضمن نوعيات أدبية عديدة، المثير منها خاص بالأدب الغنوسي، والبعض الآخر تقليد لنوعيات الأدب المسيحي الكائن آنذاك، وغيره من الأدب. والقائمة التالية مبنية جزئياً على عناوين المجلدات، وجزئياً على أساس المقارنة مع الأعمال الأخرى. والنوعيات غالباً ما نجدها ممتزجة ونادراً ما نجدها في حالة نقية، حتى أن الكراريس الفردية يمكن أن نضعها تحت عناوين كثيرة. وزيادة على ذلك. هناك البعض في صورة مفتتة حتى أن تبويبها يحتاج إلى دراسة طويلة، أن لم يكن ذلك مستحيلاً.

(١) وأول ما نلتقي به هو ما يلقب "بالأناجيل" والأعمال المعنونة باسم أناجيل، مثل "إنجيل الحق" و"إنجيل توما" و"إنجيل المصرين" و"إنجيل مريم" لا نجد لها أدنى صلة، بينها وبين الأناجيل المعروفة في العهد الجديد.

وعلى سبيل المثال "إنجيل الحق" هو تأملات في شخصية المسيح وعمله الخلاصي. و"إنجيل مريم" هو محاورة بين المسيح المقام وأتباعه كما يتضمن رسائل إعلانية، وأهم ما في المجموعة"إنجيل توما" وهو مجموعة من أقوال المسيح، معظمها مصدّر بالجملة "قال يسوع" دون إطار قصصي مثل هذا "الإنجيل" ربما كان سليلاً أو شبيهاً، لمجموعات أقوال يقول عنها العلماء، أنها المصدر الأصلي. لأقوال المسيح بالأناجيل. ويرمزون لها بالحرف Q كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك.

(٢) ثم هناك ثانياً: "**الرؤى والإعلانــات**" والعديد من الكراريس نلتقي به بعنوان "رؤيا" كما أن عدداً أخر يمكن أن يوُصف على هذا النحو. مثل "رؤيــا بــولس" و "رؤيا يعقوب" و "رؤيا آدم" و "رؤيا بطرس" و "رؤيا اسكليبوس" و "صياغة شــيم" وغيرها.

وأقوى أمثلة هذه المجموعة "رؤيا آدم" وهو إعــلان أو رؤيــا عــن مســتقبل الغنوسية في التاريخ. هذا التاريخ يقدمه إلى آدم "زُوّار سمائيون" وينقله إلى أبنــه شيث.

وهناك أعمال أخرى، مثل "رؤيا بولس" لا تُشابه ما ورد في سفر الرؤيا والعهد الجديد، وهى اختبارات إعلانية لشخصيات العهد الجديد ألبست لباساً غنوسيا.

(٣) ونلتقي ثالثاً بما يلقب "بالأعمال" .....

وهناك كراستان تحملان عنوان الأعمال "أعمال بطرس والأثنى عشر رســولاً" و"أعمال بطرس" والأخير ليس عملاً غنوسياً، ولكنه كسرة من عمــل كبيــر أبــو كريفي، له انتشاره الكبير وتاريخه المعقد، في حياة الكنيسة الأولى. ومع أن العنوان ينطبق فقط على بداية العمل.

(٤) ثم هناك رابعاً "**الرسائل**"

والعديد من الكراريس يأتي أيضاً بعنوان رسالة، لأنه موجّه شخصياً إلى القراء. ومن تلك "رسالة إلى رجينوس" و"رسالة إلى يوجنستوس" وهذه مجرد مقــالات أو أبحاث ومن الملاحظ أن مثل هذه الرسائل، لا تتضمن أي تقليد لرسائل بولس فــي العهد الجديد. وهناك "رسالة بطرس إلى فيلبس" وهى تحوى خطابا، يشبه الخطابات التي تتضمنها الروايات

(٥) ثم نأتي خامساً إلى مجموعة بعنوان "**المحاورات**".

وهذه من أقوى الملامح المميزة للمكتبة الغنوسية: محاورات بين المسيح المقام، وبين التلاميذ، أو مريم المجدلية. فيها يستعلن التعليم الغنوسي. مثل هــذه نلتقــي" بصوفيا يسوع المسيح" و"محاورة المخلص" ولكننا نلتقي أيضاً بهذا النوع في كثير من الأعمال الأخرى ويتضمن المجلد السادس نوعاً من المحاورات الهرمسية فــي صورتها الكلاسيكية .....

(٦) ثم لدينا سادساً "**الأسفار السرية**" .....

وهذه تأتي تحت عنوان "أبو كريفا" ونلتقي بها في عملية "أبوكريفا يعقوب" و"أبو كريفا يوحنا" ونستطيع أن نقول أن مثل هذه الأسفار لا تمثل نوعية خاصة ويمكن أن نفسرها على أنها مزيج من الرؤى والحوار الإعلاني ....

(٧) وسابعاً هناك "**الأبحاث النظرية الفلسفية**" ... والكثير من الكراريس يأتي تحت هذا العنوان البعض منها مثل "نشأة العلم" و"يوجنستوس" يبدأ تقليدياً بمناقشة الآراء المتضاربة، أو الخاطئة ثم يتدرج إلى المقارنة بينها وبين التفسير الصحيح الذي يأتي بعد ذلك.

(٨) ولدينا ثامناً "**أدب الحكمة**" ... وأن وجود نص قبطي "لأقوال سكنوس" في الكودكس الثاني عشر يقدم لنا مثالاً عن أعمال الحكمة الذهبية التي لا تنتسب لمصدر غنوسي ولكن يرجح أن لها تفسيرها الذي يتمشى مع أفكار جامعي المكتبة وسلوانس هو أحد الشواهد الهامة لإحياء الأدب الحكمي المسيحي، ربما في الدوائر الرهبانية. وهو مبني على مثال ما ورد في أدب الحكمة في العهد القديم ولكن يبدو أن ليس له أصله الغنوسي

(٩) وهناك تاسعاً "**التفاسير**" .... والكراسة في المجلد الثاني بعنوان "تفسير عن النفس" هي فريدة في المجموعة كلها من حيث أنها تقدم لنا تفسيراً مثلوجياً أو رمزياً عن مصير النفس في نزولها إلى "مصيدة" العلم مع اقتباسات عديدة من العهد القديم والعهد الجديد وأوديسة هوميروس كآيات وأسانيد .

(١٠) وهذا يأتي بنا عاشراً إلى "**المقالات الإعلانية**" وتحت هذا العنوان نستطيع أن نجمع كافة الوثائق التي فيها يتحدث المُعلن "كالصُوفيا" في صيغة المتكلم الأول. وهناك أمثلة شذرية في هذه الفقرات مثل "نهاية أبوكريفا يوحنا" أو "الكراسة ذات الأقسام الثلاثة" وأقوى هذه الصور هو المقال بعنوان "الرعد"، الذي فيه يمثل صوت الرعد، صوت الإعلان الإلهي معبراً عن نفسه في سلسلة طويلة من الأقوال "أنا هو" مع تنبؤات نقيضيه، ومقالات*Paradoxes*

(١١) ثم نأتي في نهاية الأمر إلى "**الصلوات**". وتتضمن المكتبة مجموعة من الصلوات ذات أنماط خاصة متباينة. فهناك كراريس كاملة، تتضمن صلوات البعض منها مسيحي، والأخر غير مسيحي. والكودكس الأول، ينهي بصلاة للرسول بولس،

والسادس يتضمن صلاة هرمسية، ونظائرها موجودة في النصوص اللاتينية واليونانية. أما الكودكس السابع، فيتضمن صلاة قوية تحت عنوان "أعمده شيث الثلاثة"

وهذا يأتي بنا. إلى ما يمكن نتحدث عنه عن أنواع الغنوسية ولعله من الأهمية بمكان، بادئ ذي بدء، أننا لا نستطيع أن نقسم كتابات نجع حمادي بحسب أنواع الغنوسية التي تمثلها. والمهمة عسيرة- جزئيا لأن أنواع الغنوسية التي وردت في كتابات الأباء غير واضحة بالكفاية لتقدم لنا المعونة لتبويب تلك الطوائف. وجزئيا لأن اكتشاف مخطوطات نجع حمادي قد دفع بعض العلماء حالياً، إلى فحص كتابات الآباء عن الغنوسية، في نور ما لدينا من معلومات حديثة.

I والتقسيم التالي هو مجرد تقسيم تخميني، أو محاولة افتراضية. وأول كل شئ إلى ما نسميه **بالغنوسية الشيثية:**

والحقيقة أن الكثير من المجلدات التي وصلت إلينا، مثل "رؤيا آدم"و "شيث العظيم"و."الأعمدة الثلاثة لشيث" وغيرها، تعطينا فكرة عن شيث كمصدر للمعرفة أو تقدم لنا ملامح عن شيثية آباء الكنيسة، مما دعا "دوريس" وغيرة، أن يعتبروا مكتبة نجع حمادي كمجموعة شيثية أساسا، أفسحت صدرها لخليط من الكتابات الأخرى. وقد يكون هذا صحيحاً، ولكن يبدو أنه ولا واحد من هذه الكراريس تسهم بتفاصيل قصص الأباء عن الشيثية- وهناك كراسة واحدة " إعادة تعاليم شيم". وهي نبذة غنوسية عسيرة من كتابات الرؤى الغنوسية، وتشترك مع وصف هيبوليتس لعقيدة شيث. ولكن الباحث لا نستطيع أن يرى فيها المصدر الذي عنه نقل "هيبوليتس"... ثم لدينا ثانية...

II الغنوسية الفالنينية:

ويبدو أنه لا يوجد من الأسباب ما يدعونا إلى أن نشك في وصف الآباء للفالنتينية، كجماعة مميزة في القرن الثاني ولو أنها متشبعة، لها الكثير من التشكيلات الداخلية.

ومكتبة نجع حمادي، تتضمن عددا من الأعمال، يمكن أن نضعها ضمن دائرة الفالنتينية في درجات متفاوته. وضمن هذه كافة كتابات المجلد الأول، مع "إنجيل

فيلبس" من الثاني، و"رؤيا يعقوب" من الخامس، وأيضاً بعض الكراريس من المجلد الحادي عشر.. وهناك ثالثاً

أنواع غنوسية أخرى:

من الواضح أن كتابات مثل "إنجيل توما" و "بوجنستوس" و"الرعد" و"ملكي صادق"، لا تتفق مع النمطين السالفين. لقد كان الغنوسيين من التوفيقيين كما هو معروف لنا. ولكن هناك من الأسباب ما يجعلنا نفتقد بأن مكتبة نجع حمادي قد ضمّت الكثير من الكتابات المتباينة. أما ما يقال بأن المكتبة ضمت المجموعة، لتقدم لنا مادة لتفنيد كتابات الأباء عن الغنوسية، فهو رأي تسنده بعض الهوامش في المجلد السادس. ولكن ليس هوامش الصلوات، أو ما ورد في المجلدات الأخرى. إن الجامعين لمكتبة نجع حمادي قد يكونوا من غنوسي القرن الرابع، الذين اهتموا فقط، بجمع أية أنواع من الأدب وهذا يأتي بنا رابعاً إلى التوافقي.

III الغنوسية الهرمسية:

والمجلد السادس يتضمن ثلاث قطع تنتمي إلى الغنوسية الوثنية المعروفة بالهرمسية. وهذه تتضمن محاورات هرمتيكية، وجزءاً من اسكلبيوس. وأيضاً صلاة خاصة بهم- إن التلاقي بين الغنوسية الهرمسية، والغنوسية المسيحية، لا نستطيع أن نبرهن. أو نؤكد مداه وهذه الحصيلة المكتبية الزاخرة قد تكون الواسطة لدراسة كافة الديانات الأخرى، التي كانت سائدة في مصر في العصور الأولي للمسيحية- على أن هناك أيضاً.

IV الكتابات غير الغنوسية:

ومما أدهش الباحثين، اكتشاف أعمال لا صلة لها بالغنوسية على الإطلاق ضمن المجموعة. من هذه الاقتباسة المجددة من جمهورية أفلاطون، في المجلد السادس والتي تفترض أنه لابد لها من تفسيرها الغنوسي. نفس الرأي يمكن أن يطبق أيضاً على "حكمة سكستوس"و "أقوال سلوانس" ولعلة عمل من أعمال الرهبنة الأرثوذكسية وأيضاً كراسة "التعليم السلطاني" وهي بحث عن خط وجود النفس في العالم. أما كون أن هناك تقليدا عن تفسير غنوسي للنصوص الكتابية، فهو أمر أكيد معترف به من الجميع. واحتمال كون آداب أخرى قد تعرضت للتفسير الغنوسي، هو أمر لا يدعو للغرابة حيث نجد شذرة من جمهورية أفلاطون تتعرض لذلك.

وهذا يأتي بنا إلى اتجاهات العلماء في تفسير الغنوسية ... هل هي خليط من منابع مسيحية، وغير مسيحية.. وسواء فهمنا الغنوسية على أنها هرطقة مسيحية أو ديانة غير مسيحية كان لها طابعها الخطير الذي طبعت به المسيحية الأولى، هي أراء كانت مثار الجدل بين العلماء إلى ما يزيد على قرن من الزمان.

أما مجموعة نجع حمادي فهي تقدم لنا رأيها. أنها تحتوي العديد من الكتابات التي لا تمت للمسيحية بصلة. أو على الأقل لا تتضمن عناصر مسيحية واضحة. وفي هذا المجال نرى كراريساً مثل يوجنستوس، ورؤيا آدم، وإعادة كتابات شيم، وكلها في غاية الأهمية. وإذا كنا نرجع أن مثل هذه الأعمال من غنوسيين ما قبل المسيحية فأننا نكون مجانبين للصواب، وذلك بالنظر إلى تاريخ المجموعة المتأخر. ولكن كونها غير مسيحية أمر واضح لا سبيل لإنكاره شأنها شأن الأعمال الهرمسية في المجموعة. ومع ذلك فهي تقدم لنا ميثولوجيا غنوسية متكاملة لها "مخلصها" الغنوسي، الذي لا صلة له بمسيح لعهد الجديد.

ومن الملذ لنا أن ندرس أحد الأمثلة التي فيها نرى التحول من الغنوسية غير المسيحية، إلى الغنوسية المسيحية. وهو بعنوان يوجنستوس. وفي هذا العمل نرى بكل وضوح، أنه لا أثر للمسيحية فيه. فإذا أتينا للعمل، صوفيا يسوع المسيح، فأننا نجد نفس المقالة تحولت إلى إعلان من يسوع المسيح المقام لتلاميذه ولقد أظهر "كراويس"، بما لا يدع مجالاً للشك، إن الصلة بين الوثيقتين، تتجه إلى الصيغة المسيحية. ولربما نجد أيضاً صله بين رؤيا آدم، وإنجيل المصريين، حيث يظهر المسيح كإعلان لشيث الغنوسي- نفس الاتجاه تتجه إلى صيغة العناصر المسيحية في "أبوكريفا يوحنا" وبعض الكتابات الأخرى.

وهناك أثر الفكر اليهودي في كتابات أخرى، مما يؤيد وجود عناصر يهودية بين الغنوسيين

ومفسرو الأدب الغنوسي، لا يدهشهم أن يكتشفوا استخدماً رائعاً لقصة الخليقة. كأساس للميثولوجيا الغنوسية عن البدايات. ولكن زيادة على ذلك اكتشف العلماء في مكتبة نجع حمادي، عناصر من تقاليد الهتجادة اليهودية مما يشير إلى الدور البارز لليهودية في تكوين الغنوسية وعلى الأخص في الوثائق الشيثية. زيادة على ذلك، هناك ما يشير إلى التأثير القوى اليهودي، على كيان ميثولوجيا الصوفيا، وعلى

التفسيرات الكتابية، وعلى التطوير الإعلاني للتاريخ. وعلى محتويات الكثير من الكراريس في تلك المكتبة- مثل هذه التأثيرات اليهودية قد فتحت المجال للجدل، إن كان نوع من اليهودية المتجهة إلى الحكمة والإعلان قد خدم كخلفية، أو نسيج لظهور وتطوير الميثولوجيا الغنوسية. ومع ذلك فالمجهودات الدائبة لتمييز عنصر اليهودية في هذا المجال لم تنجح. كما أنه لا يوجد مجال للافتراض بأن "الثنائية ضد الكونية" لأي نظام غنوسي *anticoomic* مستقاة من تقليد يهودي.

أما عن تفاعلات العهد الجديد ضد الغنوسية فسنحاول أن نختم بكلمة عنه.

ومنذ بداية الاكتشاف في نجع حمادي، وعلماء العهد الجديد دائبون، على دراسة الأدب الغنوسي بشغف بالغ. وهناك أكثر من رأي ينادى بأن المسيحية قد تأثرت بالغنوسية وتفاعلت معها. وسواء كانت كتابات نجع حمادى، سابقة للمسيحية في التتابع الزمني أو لا حق لها، فأنها لا تعطينا الحل. ولكن على أقل تقدير نقول بأن الغنوسية كانت معاصر للمسيحية الوليدة.

وفي أكثر من طريق نرى أن مكتبة نجع حمادي تدفع بنا إلى دراسة العهد الجديد. وهذا واضح في "الرعد العظيم" حيث المقارنة ما بين صوت الرعد. وأقوال يسوع، مع التقليد التوافقي، وصلت إلى حد تضمن الرعد العظيم، في إنجيل توما

وهناك بعض الكتابات تتضمن الهجوم على الكنيسة مثل رؤيا بطرس. في المجلد السابع. وهو يدخل في مجالات عن السلطان الرسولي، والقانونية. وهناك أيضاً ما نكتشفه في بعض النصوص من المواقف المتباينة عن المعمودية ....

إن العديد من الأبحاث الإعلانية التي تقدمها مكتبة نجع حمادي مثل الرعد والنبذة ذات الجوانب الثلاثة. تقدم لنا أمثلة غنوسية لنوع النقاش الإعلاني الذي نلمسه في البشارة الرابعة. ولكن مثل هذه الوثائق لا تسمح لنا بالافتراض بأن فيها الوصول إلى منبع المجادلات اليوحنية. وبقيت سنين طويلة قادمة ليقول العلماء أكثر من كلمة في مكتبة نجع حمادى وكل ما يتعلق بها.

وبهذا نكون قد أعطينا للقارئ العزيز "نظرة طائر" على حد التعبير الإنجليزي، على موضوع، ما يزال موضع بحث، ودراسة، وجدال، بين العلماء في الدوائر العلمية، في اكثر من بلد من بلدان الغرب. وكم كان الأجدر بنا، نحن الذين يمس هذا الموضوع جوهر كياننا، ومجتمعنا المسيحي، وتاريخنا التليد، وتراثنا الفكري

الديني، أن نكون أول من يدعو العلماء، ويعقد الندوات، ويسـجل المحاضـرات، وتتبنى وسائل الأعلام في مصر كل ما يتصل بهذا الأمر، وفي هذا اكثر من دعاية طيبة لبلادنا ...

ولعل إحدى الجامعات في بلادنا تتبنى هذا الأمر مستقبلاً .. والله المستعان

المراجع

1-The Nag Hammadi Library *Edited by Prof.james Robison*

2-Biblical Arceology *April-80 isswe*

3-Oxford Dictionary of the christion church.

٤- الغنوسيون وصلب المسيح عوض سمعان

٥- "أقوال المسيح غير المدونة في البشائر" الدكتور يواقيم ارميا
ترجمة د عزت زكي

٦- القاموس الفلسفي جميل صليبا. الجزء الثاني

هل قرأت لنفس المؤلف؟

السلسلة الفلسفية ومقارنه الأديان.

١- الآداب الجنسية في مختلف الأديان.

٢- الموت والخلود في الديانات المختلفة.

٣- الأخلاقيات، بين الفكر، والديانات.

٤- فلسفة الألم في كافة الأديان.

٥- المسيح وفلاسفة أثينا وروما.

٦- التصوف المقارن في نور المسيحية.

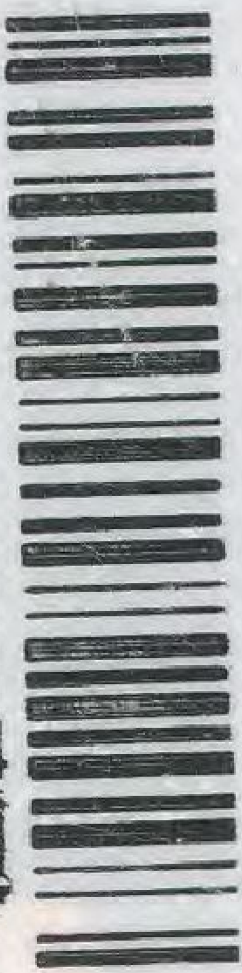
٧- "صعود إلى الله" فلسفة التصوف المسيحي عند يوحنا الصليبي.

٨- علم اللاهوت الكتابي- (فوس)

في ديسمبر من عام ١٩٤٥، بالقرب من مدينة نجع حمادي، اكتشفت في حوزة بعض القرويين، مجموعة تكاد تكون كاملة، تعتبر من أقدم الذخائر المسيحية في مجال الأدب المسيحي القديم وقد ظلت هذه المخطوطات في طي النسيان أو الغموض طيلة خمسة وثلاثين عاماً كاملة بعد اكتشافها.

- أين اكتشفت هذه المخطوطات؟
- ومن الذي له الفضل الأول في اكتشافها ؟
- وما هو عدد النصوص المتضمنة فيها ؟

كل هذا تقرأه في هذا الكتاب الذي بين يديك



الحرية